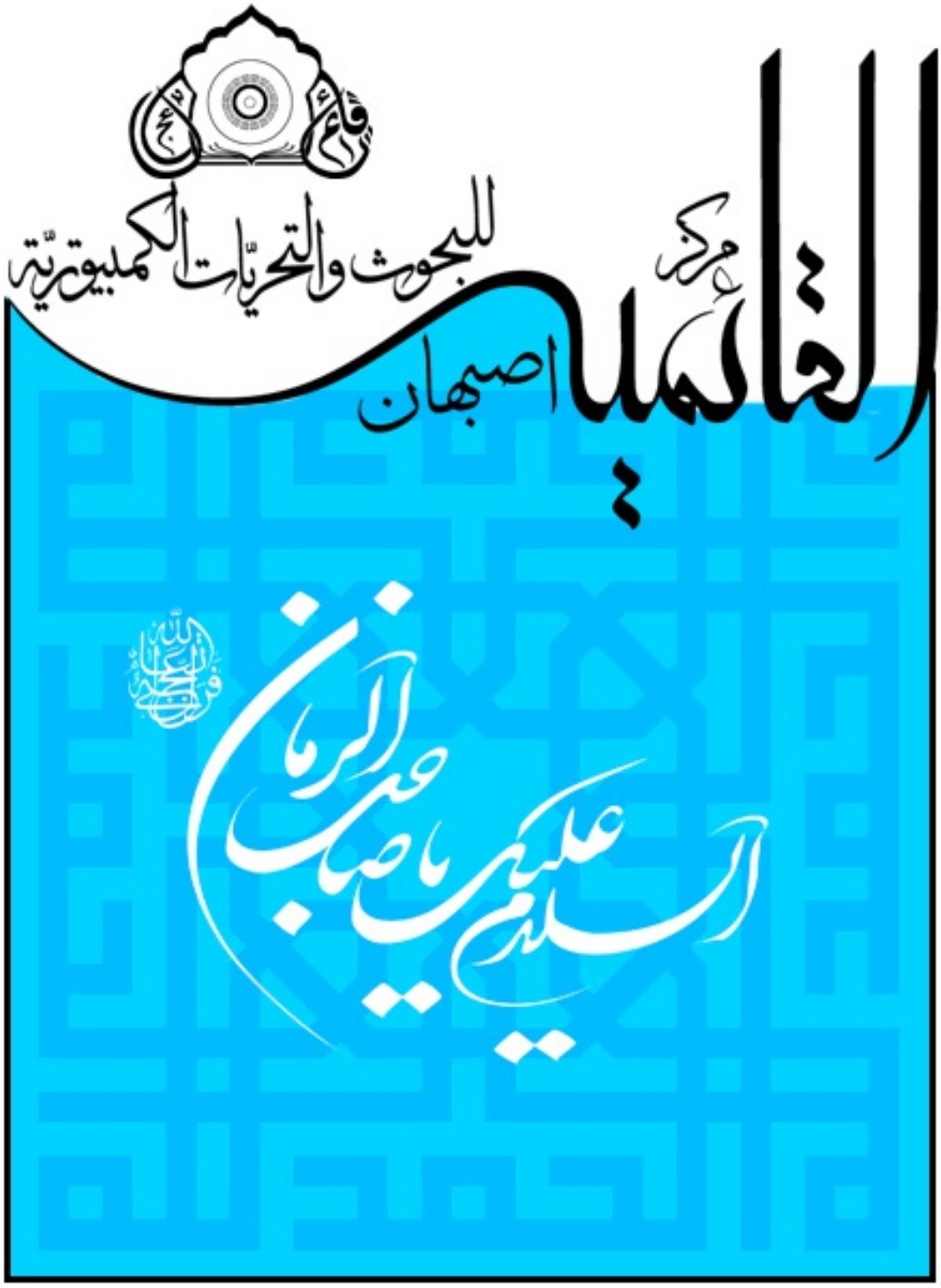

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

تاريخ اليمن الإسلامي

من سنة ٤٠ هـ إلى سنة ١٠٠٦

تأليف الأديب العلامة الشهيد
أحمد بن أحمد بن محمد المصباع

تحقيق
عبد الله محمد الحبشي

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ اليمن الاسلامى

كاتب:

احدبن احمدبن محمد المطاع

نشرت فى الطباعة:

منشورات المدينه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
تاریخ الیمن الإسلامی ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
تمهید فی التاریخ الیمنی ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
التاریخ لغة و اصطلاحا و کیف یجب أن یکتب ----- ۱۵
الیمن مهد الحضارة البشریة ----- ۲۰
مقدمة المحقق ----- ۲۶
اشارة ----- ۲۶
المطاع مؤرخا ----- ۲۸
المؤرخ الثائر ----- ۳۳
(تنبیه) ----- ۳۴
(بنو زیاد و أول من ملک منهم أسباب خروجهم الیمن و اختطاط مدینة زبید) ----- ۳۵
اشارة ----- ۳۵
ابو الجیش اسحق بن ابراهیم ----- ۳۶
ایام ابن أبی الجیش: هند بنت أبی الجیش: مولاهم رشید الزمام مملوک رشید الحسین بن سلامة ----- ۳۷
آخر طفل من بنی زیاد مرجان العبد و احداثه ----- ۳۸
انتقام نجاح و استیلاؤه علی زبید ----- ۳۹
ذکر عمال بنی العباس علی الیمن ----- ۳۹
أول دولة الحوالیین ----- ۴۰
ظهور الدولة العلویة الإمام الهادی نسبه و مناقبه آثاره العلمیة فتوحه و حروبه ----- ۴۱
خبر صلح الإمام بین قبائل صعدة و عزمه إلی نجران ----- ۴۴
عزم الإمام إلی و شحة ثم إلی برط ----- ۴۴

خلاف أبو دغيش الشهابى ----- ۴۵
الدعام و كتبه إلى الامام، انتقال الإمام إلى خيوان و أثافت خبر الصلح و غدر أرحب بن الدعام ----- ۴۵
(أبو العتاهية و نسبه مكاتبته للإمام و امداده) ----- ۴۷
عزم الإمام إلى نجران و ثورة ابن عباد ----- ۴۸
أبو جعفر محمد بن عبد الله العلوى و ولايته على نجران ----- ۴۹
دخول الإمام صنعاء قتال الجفاتم و آل طريف تسليم أبى العتاهية، و تنقل الإمام فى البلاد ----- ۴۹
إنتقاض أهل صنعاء و ضهر على الإمام و تداعى سائر البلاد ----- ۵۲
عودة الإمام إلى صنعاء المرة الثانية ----- ۵۳
إنتقاض أهل نجران و مسير الإمام لتأديبهم ----- ۵۴
الخلاف بين آل يعفر و عبيدهم و استقدامهم الإمام و ما كان من الأحداث ----- ۵۴
دخول على بن الحسين جفتم صنعاء و خروج أبى القاسم محمد بن الإمام من السجن، و ما كان من الأحداث ----- ۵۶
خلاف أهل نجران ----- ۵۷
وصول الإمام عليه السلام الى نجران ----- ۵۷
نزول الإمام إلى تهامة و عزم ابى القاسم محمد بن الإمام لحرب القرامطة ----- ۵۸
كلمة عن القرامطة و ما قيل فى هذه النحلة الباطنية أو الإسماعيلية ----- ۵۹
اليمن و حظّه من الدعايات الثلاث منصور اليمن و ابن خليع على بن فضل ----- ۶۱
أحوال صنعاء بعد عزم الطاغية عنها و رجوع الإمام الهادى إليها ----- ۶۵
رجوع الطاغية إلى صنعاء ----- ۶۶
نجران و ما كان به من الأحداث ----- ۶۶
رجوع الإمام إلى صعدة و قتل عامله على نجران ----- ۶۸
أخبار القرامطة و استيلاء الإمام على صنعاء ----- ۷۱
وفاة الإمام الهادى إلى الحق عليه السلام ----- ۷۱
قيام الإمام المرتضى محمد بن يحيى عليه السلام ----- ۷۲
بقية أخبار القرامطة و الحرب بين الطاغية ابن فضل و منصور بن حسن ----- ۷۳

خلافة الإمام الناصر احمد بن يحيى عليه السلام ---- ۷۴
هلاک الطاغية على بن الفضل القرمطى ---- ۷۵
استئصال القرامطة و خراب المذيخرة ---- ۷۶
بقية أخبار الإمام الناصر ---- ۷۶
وقعة نغاش ---- ۷۶
وفاة الإمام المرتضى محمد بن يحيى عليه السلام ---- ۷۸
حرب الباطن و مقتل الحسين بن الإمام الهادى ---- ۷۹
وفاة الإمام الناصر عليه السلام ---- ۷۹
تتمة أخبار ثورة قبائل صعدة ---- ۷۹
دخول حسان بن عثمان الحوالى صعدة و قيام الإمام يحيى ابن الناصر و خلاف اخوته و ما كان من الأحداث ---- ۸۱
خلاصة ما كان من الأحداث بين أولاد الناصر ---- ۸۱
وفاة الأمير أسعد بن أبى يعفر الحوالى ---- ۸۳
هلاک منصور بن حسن و مقام الشاورى و قتله و ما كان من الأحداث ---- ۸۴
احداث على بن وردان و الأسمر بن أبى الفتوح و آل الضحاک ---- ۸۶
استنجاد الضحاک بآل زياد و دخول عبد الله بن قحطان صنعاء ---- ۸۶
قيام الإمام المنتصر لدين الله محمد بن المختار ---- ۸۶
قيام الداعى الإمام يوسف بن يحيى بن الناصر ---- ۸۷
نزول عبد اللّه بن قحطان لمحاربة ابن زياد ---- ۸۹
الامام المنصوب باللّه القاسم بن على العيانى ---- ۸۹
نهوض الامام القاسم الى صعدة و انتقاله إلى عيان ---- ۹۰
الامام القاسم بعيان و انتقاض بعض قبائل خولان ---- ۹۰
رجوع الإمام الى عيان و مسيره الى الجوف ---- ۹۱
مسير الامام القاسم بن على الى نجران و خبر صلح الإمام الهادى الى الحق و احتجاج نصارى نجران به ---- ۹۲
رجوع الإمام إلى صعده ---- ۹۳

کتاب الامام القاسم بولایة الزیدی علی صنعاء و مخالیفها ---- ۹۳
و الذی فی صفقة الحسین بن المختار ---- ۹۳
وصول الأشراف و وفد عنس إلی الامام القاسم ---- ۹۴
إختلال صعدة، و أحداث المليح بن إبراهيم و إخوته، و أخبار الزيدی و ما كان منه ---- ۹۴
عزم الإمام لحرب نجران ---- ۹۵
الوحشة بين الامام و القاسم الزيدی ---- ۹۵
ولایة جعفر بن الإمام علی صنعاء و وثوب الزّیدی علیها ---- ۹۶
و فی سیرة الإمام القاسم ما خلاصته ---- ۹۷
أحداث الزيدی و اضطراب الأحوال ---- ۹۷
الدسائس و المؤامرات ---- ۹۸
انتقاض الاشراف و بقیة أخبار الإمام ---- ۹۸
خروج الامام القاسم من صنعاء و انتشار دعاية الزيدی ---- ۹۸
اطلاق الزيدی جعفر بن الإمام و طلبه الصلح ---- ۹۹
رجوع الإمام القاسم إلی عيان و وفاته عليه السلام ---- ۱۰۰
بقية أخبار الداعی يوسف ---- ۱۰۰
تهافت المتغلّبين علی صنعاء و اضطراب أحوالها ---- ۱۰۱
دعوة الإمام المهدی الحسن بن العلم العيانی ---- ۱۰۱
دخول الإمام المهدی صنعاء و قتل الشريف الزيدی ---- ۱۰۲
احداث زيد بن محمد الزيدی ---- ۱۰۲
إعتزام الإمام الرجوع إلی صنعاء و قتله ---- ۱۰۲
بقية أخبار المتغلبين علی صنعاء ---- ۱۰۴
نفوذ الأحباش أمراء زبيد فی بلاد الجبال ---- ۱۰۴
ظهور المعيد الناعطی ---- ۱۰۵
الإمام ابو هاشم النفس الزكية ---- ۱۰۶

الإمام أبو الفتح الديلمى ----- ۱۰۶
قيام على بن محمد الصليحى و أخباره ----- ۱۰۷
عزم الشريف الفاضل الى صعدة و طلوع الصليحى من تهامة ----- ۱۱۰
الهرابة و ما كان بها من الأحداث ----- ۱۱۱
عزم الصليحى الى جنوب اليمن و محاربة آل الكرندى ----- ۱۱۲
مسير الصليحى للحج و مقتله ----- ۱۱۴
أحوال صنعاء بعد قتل الصليحى ----- ۱۱۵
ظهور الإمام حمزة بن أبى هاشم عليه السلام ----- ۱۱۵
رجوع الشريف الفاضل إلى اليمن ----- ۱۱۶
استنجاد الحرّة أسماء ولدها المكرم، و ظهور الشّريف الفاضل ----- ۱۱۶
اندحار الأحباش و دخول المكرّم زبيد ----- ۱۱۷
ما كان بين الأشراف و المكرم بعد عوده من زبيد ----- ۱۱۷
اتخاذ الأشراف لشهارة معقلا، و أول اختطاطها ----- ۱۱۸
الإمام ابو الفتح الديلمى و الشّريف الفاضل و مهاجمة صنعاء ----- ۱۱۹
حصار شهارة و ما بعده من الأحداث ----- ۱۲۰
استيلاء الشريف الفاضل على صعدة ----- ۱۲۲
إحتلال حصن مسور و الاستيلاء على بلاد المغرب ----- ۱۲۳
محاولة المكرم لإسترجاع يناع ----- ۱۲۳
إضطراب الحبل و انعكاس الأمور ----- ۱۲۴
مصرع الشريف الفاضل ----- ۱۲۵
الامير بعد هلك الشرفين ----- ۱۲۵
عودة الأمير الحبشى سعيد الأحول إلى زبيد ----- ۱۲۶
قتل سعيد الأحول و فرار جياش الى الهند ----- ۱۲۷
وفاة المكرم و قيام الداعى سبأ بن أحمد الصليحى ----- ۱۲۹

زواج الداعی سبأ بن أحمد بالحرة السیدة ----- ۱۲۹
طائفة الغز الواصلة لإنجاد جیاش بن نجاح ----- ۱۳۰
وفاة الداعی سبأ بن احمد الصلیحی ----- ۱۳۰
السیدة بنت احمد بعد وفاة الداعی سبأ ----- ۱۳۱
ذکر المتغلبین علی صنعاء بعد بنی الصلیحی ----- ۱۳۱
الحرب بین الخطاب ابن أبی الحفاظ الحجوری و أخیه ----- ۱۳۲
قیام الامام المحسن بن محمد ----- ۱۳۶
طریق البصرة و طریق حضرموت ----- ۱۳۸
ظهور الإمام علی بن زید و قتله ----- ۱۳۸
الامام المتوکل علی الله احمد بن سلیمان علیه السلام ----- ۱۴۰
عزم الإمام إلی نجران و استیلاؤه علی صعدة ----- ۱۴۴
عزم الإمام لتأدیب الشقی ابن الطحل و فساد ابن القدمی، و أهل الحقل ----- ۱۴۵
خلاف اهل الجوف ----- ۱۴۶
ظهور علی بن مهدی الحمیری ----- ۱۴۶
ثورة الشریف المهول بحقل صعده ----- ۱۴۶
ذکر من وفد علی الإمام المتوکل من العلماء و خبر نزوله الی تهامة ----- ۱۴۷
اجتماع الأشراف و مبایعتهم الإمام المتوکل علی الله ----- ۱۴۸
إنتقال الإمام إلی عمران و فتح صنعاء ----- ۱۴۹
ظهور دولة علی بن مهدی الحمیری ----- ۱۵۰
بقیة اخبار الامام المتوکل بصنعا ----- ۱۵۲
حرب القلیس و سیر الإمام الی الجوف ----- ۱۵۲
تظاهر یام بمذهب الباطنیة و مسیر الإمام لحربهم ----- ۱۵۴
وقعة الشرزة أو نجد شیعان و دخول الإمام صنعاء ----- ۱۵۵
عزم الإمام إلی ذمار ----- ۱۵۶

ذکر مهاجمة علی بن مهدی لمدینة زبید و أحداثه، و استنجاد أهل زبید بالإمام أحمد ----- ۱۵۷

قیام مهدی بن علی و احداثه ----- ۱۶۰

أحداث عبد النبی بن علی بن مهدی، و مقتل الشریف وهاس ----- ۱۶۱

خلاف الشریف فلیته بن القاسم القاسمی و احداثه ----- ۱۶۵

وفاة الامام أحمد بن سلیمان علیه السلام ----- ۱۶۶

الفهرس ----- ۱۶۷

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۷۱

تاريخ اليمن الإسلامى

اشارة

سرشناسه : مطاع، احمدبن‌احمدبن‌محمد

عنوان و نام پديدآور : تاريخ‌اليمن‌الاسلامى من سنه ۲۰۴ – الى سنه ۱۰۰۶/ تاليف احدبن‌احمدبن‌محمد المطاع ؛ تحقيق عبدالله‌محمد الحبيشى.

مشخصات نشر : بيروت: منشورات‌المدينه (شركه دارالتنوير،)۱۴۰۷ق= ۱۹۸۶م= .۱۳۶۵.

مشخصات ظاهرى : ۳۶۸ص.

وضعيت فهرست نويسى : برون‌سپارى.

يادداشت : عربى.

يادداشت : كتابنامه به صورت زيرنويس.

موضوع : اسلام -- يمن -- تاريخ

شناسه افزوده : حبيشى، عبدالله محمد

رده بندى كنگره : DS۲۴۷ /ى۸۸م۶ ۱۳۶۵

رده بندى ديويى : ۹۵۳/۳

شماره كتابشناسى ملى : ۲۲۲۳۰۶۶

نام كتاب: تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع

نويسنده: مطاع، احمد بن احمد بن محمد

تاريخ وفات مؤلف: ۱۳۶۷ ه. ق

محقق / مصحح: حبشى، عبد الله محمد

موضوع: جغرافياى كشورها

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱

ناشر: منشورات المدينه

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ۱۴۰۷ ه. ق

تمهيد فى التاريخ اليمنى

اشارة

(اليمن فى مدارج التاريخ) (التاريخ و فوائده) بسم اللّه الرّحمن الرّحيم من القضايا المسلمة تقدم العلوم و المعارف فى هذا العصر، و ارتقاء العقل البشرى إلى غاية قصر عن التحليق فيها الآباء منذ أحيال قديمة، و من الفنون التى بلغت أقصى ما يتصوره العقل من العناية و الاتقان فن التاريخ و معرفة أحوال الأمم، إذ من بين صحائفه تشرق أنوار الهداية، و من أسفاره تشع شموس الدراية، و فى حوادثه و

ما يلابسها من نعم و بؤس و إقبال و إدبار و ما يتخلل ذلك: من قيام ممالك، و هلاك أمم، و سقوط عروش، و زوال تيجان، عبرة و أية عبرة، و نذير مبين، يحذر بلسان الأبدية غب المآثم و عاقبة الإعراض و الإيغال فى الجرائم.

و من قمته الشامخة تستعرض مواكب العالم فى مشارق الأرض و مغاربها، و تلتمس معارف الشعوب و رقيها و ادابها و حضارتها و أخلاقها و علومها و عمرانها و معتقداتها و كل ما له صلة ما و علاقة بحياتها.

فإذا ما أراد الإنسان مرافقة الأمم، و مسايرة الشعوب ساميّها و آريّها،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۶

و الاطلاع على تكون نهضاتها من أقدم عصورها و مشاهدة أجيالها و هى تخرج من الكهوف إلى الصروح، و من الأكواخ إلى القصور، و من الأودية و الغابات إلى المحاكم و الكليات، و من نقش الآثار على الأحجار إلى استنطاق الجماد و استخدام البخار، فعليه بما خلدته الأيام على صحائف التاريخ

و إن شاء الرجوع إلى العصور العافية، و التغلغل فى مهاوى القرون السحيقة، كى يرى الإنسان الأول يزاول أعماله بسائق الفطرة، و يترصد فريسته فى ألفاف الشجر، و أجواف الحفر، و يتعقب الطرائد فى مخارم الجبال و بطون الأودية، أيام كان يستوطن الكهوف و الغيران، و يتسلح الحجر، فليرجع إلى آثار تلك العصور، (لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ).

و لا نبالغ إذا قلنا ان التاريخ ما عرف فى جميع أدواره عصرا هبت فيه الشعوب عن بكرة أبيها لدراسة الماضى و الارتواء من مناهل ثقافته، و التنقيب عن آثار البشرية من أقدم أزمنتها، و البحث عن الحضارة الإنسانية كهذا العصر.

هبت أمم العالم اليوم تنقب عن مفاخر الماضى و اثاره، لتضع على كواهل أبنائها من قدسية ماضيهم و أمانة تاريخهم ما تنوء بحمله الجبال، و تجعل من آثار ذلك الماضى أدوات تستخدم لإيقاد جذوة الوطنية فى الصدور و إلهاب نار الحماسة فى الرؤوس مستلهمة وحى النبوغ و التقدم من أرواح الآباء و الأجداد.

و لذا كان لزاما على كل أمة تحاول النهوض الالتفات أولا إلى الماضى بدراسة تاريخها، و معرفة ما فيه من الحوادث و الكوارث، و الوقائع و الكوائن و أسباب الصعود و الهبوط، فإن حياة الأمم موصولة، و حاضرها القريب وليد ماضيها البعيد، و لذا قيل: «إن الأمة التى تهمل ماضيها و لا تعرفه مثل الرجل الذى يفقد ذاكرته»، و يقول علماء الاجتماع و تباريس علم الأخلاق: (إن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۷

ماضى الأمة لا يموت أبدا، و لكنه يكون حيا) تاريخه إلى آلاف السنين يستوحى منه.

فدراسة التاريخ إذا من ضروريات البقاء، و معرفة الأمة نفسها من أكبر عوامل الارتقاء، و لا سيما إذا كان فى تاريخ الأمة من أعمال المجد و العظمة ما يثير الفتوة، و يبعث النشاط و القوة فى شرايين الأجسام المنحلة، و يدفع بالأبناء إلى ترسم آثار الآباء، فإنه يستحيل أن يرضى لنفسه بالذل و المهانة من كان أبوه يعزم العزمة الفاصلة فيملى إرادته على الملوك و الجبابرة، و يقول الكلمة فتطفىء الحرب العوان و تشعل، و إذا ريع كان له السيف و الردينى أمنع معقل.

و كيف يجمل بأبناء الأرواح اللهاميم فراجو الغمم من دانت لسطوتهم الملوك، و ذلت لهيبتهم الأقاليم، أن يكونوا نقدا تتناشهم سباع الأطماع و هم فى غفلتهم ساهون، أو تنزل بهم عون الخطوب فيذلون و يسمدون، و (يفتتون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون و لا هم يذكرون).

أجل، إن من يدرس أصول النهضات العالمية يجد فى قرارتها أثرا للتاريخ و ضاح الجبين و عوالم و أرواح الآباء مصدر تلك القوة و أساسها المتين، فلا غرابة إذا رأينا جبابرة العقول، و فطاحلة الفكر الإنسانى، تعد التاريخ من أكبر الوسائل لتنمية العقل و تهذيب الشعور، و بسط النفوذ، و سعة الملك، و تضخيم الثروة، و عظمة الشأن، و نرى علماء الغرب على اختلاف مشاربهم، و تنوع معارفهم، و تباين مباحثهم، و مناحيهم، عاكفين فى جامعاتهم السنين الطوال: هذا يدرس أجناس البشر و أصول الشعوب، و متى وجد الإنسان

على الأرض، و مدنيته الأولى، و صفاته و قسمات وجهه إلى آخر ما هنالك.

و ذلك مكب على تمثال قديم يرجع فنه و جماله و دقته مبلغ حضارة الأمة التى وجد فيها، كما أن زميله و ضريبه قد شغلته لفظة لغوية فى أدب أمة لا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۸

يمت إليها بصلة عن كل ما فى الوجود، كل ذلك رغبة فى العلم، و وصلة إلى فهم الشعوب و عاداتها و أخلاقها، لوسائل كثيرة، منها: علمية محضة، و منها سياسية و اقتصادية و نحو ذلك. و من التواريخ التى أصبحت اليوم تدرس فى جامعات الغرب كفن مستقل: تأريخ اليمن القديم و ما به من النقوش و الآثار و العاديات و ما خلفه آباء اليمنيين من آداب و ثقافة صقلت العقل الإنسانى و ازدانت بها حضارة البشر فى أيامهم، و هى اليوم كعبة تحج إليها أفئدة النوابغ افتنانا بروعتها و جلالها، و ترتشف من معينها العقول و يتخذ منها الأقوام درعا لتوطيد أركانها و تخليد كيانها.

ذلك ما حدا بى إلى تقليب صفحة من صفحات تاريخ هذه الأمة الضخم، و التنقيب عن بعض فرائد عقدها الثمين، و إن كان ماضيها كثير الظنون قل أن يفوز الخرّيت منه بما يشفى الأوام، و يطفى لاعج الغرام، لما على لياليه الماضية، و أيامه الخالية، من غبار الدهور، و كلاكل العصور.

و هيهات أن يجد المشتاق بالرسوم العافية، و الأطلال البالية، ما يجده بمطرحات تفيض النعمة من ثناياها، و تتسابق الشموس متطاولة من أبراجها و حناياها.

اللهم إلا أن تكون مرابع أنس، و مراتع سرور، أقوت عن القطان و فارقها السكان، و نزع عنها الأخلاء، و لم يبق من أثا فيها إلا: (نقط يشك الشاك فيها)، فإن لها ذكريات لا تقوى يد الحدثان على الدنو من قدس تذكرها.

و هذه الذكريات إحدى عناصر التاريخ و مميزات هذا الإنسان، فهو لا- يقنع بما هو آت، و لا يسأم الوقوف أمام المخبآت: غاص أعماق البحار، و ركب متون الأخطار، و استنطق الجماد، و غزا اللانهاية بقوة فكره، و حاول أن يفجع الغد فى مخبآت سره رغبة فى الاطلاع، و هياما بالرواية و السماع ثم هو مع هذا: (دائم الحنين إلى سالف خال و البكاء على دارس بال)، لا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۹

يقف عند غاية الأوهام بما خلفها، و ساقته الفطرة إلى استكشاف ما وراءها، فلا غرو أن اصبح علم التاريخ من مشتهيات النفوس و أغراضها، و شؤون الحياة و لوازمها.

و إذا كان من طبع الإنسان و غريزته الحنين إلى الفائت المندثر، و الالتفات إلى أطلال الأحبة، و الوقوف بآثارهم الدوارس، و الاعتزاز بتقاليده و ماضيه و مجده و تاريخه، و ما كان لأجداده من سجايا و مفاخر، و عادات و مآثر.

فأخلق بأبناء من ملكوا الخافقين، و بسطوا سلطانهم على العالمين، أن يعتزوا بتاريخهم، و يفاخروا بماضيهم، و يكاثروا بنوابغهم و أبطالهم الذين تساقطت تحت أقدامهم عروش الفاتحين، و ملكوا الأمور على من كان يملكها فى أطراف الأرضين.

و أن يقفوا وقفات كبرى لا- كلوث أزار أو كحل عقال، بل وقوف جميل فى عراص بثنية، أو وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه، بآثار أسلافهم الغر حيث كانوا يتناغمون و يتسامرون و ينثرون طرائف الحكمة و روائع الكلم، بان يعرجوا بأطلال ماضيهم المجيد لينظروا أبدع ثمرة تركها الإنسان، و أجمل نتاج للعبقرية و النبوغ، و أسمى حضارة عرفها التاريخ.

و بهذا الالتفات و ذلك الوقوف ما يوقظ الهمم، و يهيب بالأبناء إلى متابعة الآباء، و بشوارد الأنفس إلى سواء السبيل، ليقرنوا شرفهم التليد بمجدهم الطريف كما قيل:

إنا و إن كرمت أوائلنالسنا على الأحساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلناتبنى و نفعل فوق ما فعلوا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۰

و لا يـدع فحفظ مناقب الآباء و الاعتـداد بآثارهم الصالحة من أكبر العوامل المثيرة لعزة النفس و يقظة الوجدان و سـمو الغاية، و قديما كانت العرب تفاخر بأمجادها و آبائها فى انديتها و اسواقها و مجتمعاتها و مواسم حجها، قال تعالى:

فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً.

و كل شعب يحمل أمانة التاريخ، و تجرى فى عروقه مناعة دم شريف، و تدور فى رأسه ذكريات الماضى، لا يطمئن إلى حياة لا تصله بماضيه:

«فإن من فاته حسب نفسه لا ينفعه حسب أبيه».

و التاريـخ كمـا قلنـا هو سـجل الحياة، و الصورة الفنيـة للعصور الغوابر، و محقق آمال المنبت الحائر، و قـد طمحت به النفس إلى ذرى المجد و سنام المفاخر، و حفزته غريزته البشرية إلى معرفة تراثه من الأكابر، و مشاهدة معرض الوجود الحاشر.

منه يسـتلهم وحى النبوغ، و من أرواح أبنـائه و آثـارهم يسـتملى روحـا تسـمو به إلى أبعـد شأو كتب له فى الحياة، بعزيمـة أمضـى من القضاء، و صدر أوسع من الفضاء، و شجاعة فى الله يكلؤها الحجى.

و أحر، بمـن عرف الماضـى، و أفنى القرون، و سـاير ركـب الزمـان، ان تسـمو نفسه و تتهـذب مـداركه، و تلطـف شـمائله، و تتحرك مشاعره، و تحفزه المؤثرات الحرة إلى مطمح الإنسانية و مثلها العالية: (و ان لا يكون كمستمع اللدم يسمع الناعى و يحضر الباكى ثم لا يعتبر، و إنما البصير من سمع فتفكر، و نظر بأبصر، و انتفع بالعبر، ثم سلك جددا واضحا يتجنب فيه الصرعة فى المهاوى، و الضلال فى المغاوى).

فـإن التاريـخ هو الشاهـد العـدل، و الرقيب العتيـد، و المراقب المشـرف على أعمـال الأمم و مجرياتها لا تفوته صـغيرة و لا كبيرة، و لا يترك حسنة و لا سيئة إلا أتى عليها و نقلها، يرمى فيقرطس، و يضرب المحز و يقطع المفصل.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۱ من عادة التاريخ ملء قضائهعدل و ملء كنانتيه سهام

هـذا و للتاريـخ من الفوائـد غير مـا مر من تهـذيب الأخلاق، و إيجـاد الشـعور القومى، و إذكاء نيران العواطف الكامنـة فى القلوب، و توحيد كلمة الأمة و صـهرها فى بوتقة واحدة، و جعلها كتلة لا تتجزأ و لا تتفرق، يقودها المجد إلى ميادين العظمة، و سعة السلطان، و بسـطة النفوذ و يزجيها الاخلاص و الحرص على كنوز تراثها و تقاليدها إلى المحل اللائق بها تحت الشمس، و تؤازرها فى سيرها نحو الغاية حرارة عقيدة شب عليها الصغير، و ورثها مجموع الأمة عن أسلافه، و غير ذلك من خلال الكمال.

مقام لا ينكر فى خدمة الكتاب العزيز و السـنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و التحية، فهو عمدة المفسر لمعرفة الناسخ و المنسوخ و غيره من الأسـباب المتوقفـة على نتائجهـا، و هو دليـل المحـدث، و معلم الفقيه، به تعرف الآجـال و حلولهـا، و الأخبار و ناقلوها، قال سفيان الثورى رحمه الله:

«لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ»، و قال حماد بن زيد: «لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ».

و بمقدار ما يسـتفيد منه الملك لإصلاح رعيته، و السياسى لمهمته، و الفاتح لغايته، و الاجتماعى لعمله، و المزارع لحاجته، يستفيد منه القاضى و المرشد و المعلم و المحدث و غيرهم من جميع الأصناف فى جميع الشؤون، فله بكل مقام مقال:

لا تقل دارها بشرقى نجدكل نجد للعامرية دار

و لها دمنة على كل رسمو على كل دمنة آثار

التاريخ لغة و اصطلاحا و كيف يجب أن يكتب

قـال المقريزى رحمه الله فى خططه: «التأريـخ كلمـة فارسـية أصـلها (ماروز) ثم عربت، قال محمـد بن يوسف البلخى فى كتابه مفاتيح

العلوم:

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۲

«و هـذا اشـتقاق بعيـد لو لاـ أن الروايـة جاءت به»، و قال قدامـة بن جعفر فى كتاب الخراج: «تأريـخ كل شـىء آخره، و هو فى الوقت غـايته، يقـال فلاـن تاريـخ قومه أى إليه ينتهى شـرفهم، و يقال و رخت الكتاب توريخا، و أرخته تأريخا، الأولى لغـة تميم و الثانيـة لغة قيس.»

و قال الأسـتاذ العلامـة محمـد كرد على فى كتابه خطط الشام، قال العلامـة البروتى «التأريخ هى مدة معلومة من لدن أول سـنة ماضـية كان فيها مبعث نبى بآيات و برهان، أو قيام ملك مسـلط عظيم الشأن، أو هلاك أمة بطوفان عام مخرب، أو زلزلة خسف مبيد، أو وباء مهلك، أو قحط مسـتأصل، او انتقال دولة، أو تبديل ملة، أو حادثة عظيمة من الآيات السـماوية أو العلامات المشهورة الأرضية التى لا تحدث إلا فى دهور متطاولة، أو أزمنة متراخية تعرف به الأوقات المحددة، فلا غنى عنه فى جميع الأحوال الدينية و الدنيوية»، انتهى و كـانت العرب تؤرخ بـالنجوم، و منه قول الكـاتب: تجمعت على فلاـن كـذا ليؤديه، و بكـل عـام حـدث فيه أمر مشـهور، فقـد أرخوا بالختان لأنهم كانوا قد تهاونوا فيه و عظم عندهم أمره، قال النابغة الجعدى:

فمن يك سائلا عنى فإنىمن الشبان أيام الختان

و قـد أرخوا ببنـاء الكعبـة، و بموت كعب بن لؤى، و بعـام الفيل، و اسـتمر ذلك حتى جاء الإسـلام و كانت الهجرة، فكان ذلك العام الأول تاريخ هذه الأمة زادها الله شرفا و علوا و أعاد عليها سالف مجدها و هداها إلى منهج الحق و صراطه المستقيم آمين

يلوح مما تقـدم من مدلول كلمة تاريخ أن معناها التوقيت، و هذا ما يظهر جليا فى كتب المتقدمين، فإنه قل ان يجد القارىء فيما دوّنه القدماء فى فن التاريخ شـيئا فى تعليل الحوادث و تحليلها و النظر فى اسـبابها و عواقبها، أو استخلاص النتائج منها، كما انهم لم يحوموا حول بيان الحالة الاجتماعية

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۳

و الاقتصادية و كيفية سير العلوم و المعارف و سير الأدب و عوامل العمران و كل ما له علاقة بالأمة، و غاية ما صرفوا فيه عنايتهم أخبار الحروب، و وصف المجازر الدموية، و الملاحم البشـرية، و حياة الملوك، و ذكر العزل و التولية، و ما إلى ذلك من الحوادث الطبيعية كهطول الأمطار، و فيضان الأنهار، و أخبار الزلزال و البراكين و نحو ذلك.

و لعل ذلك الداء سرى إلى المؤرخين من مدلول كلمة تأريخ الفارسية التى معناها التوقيت، و لو أنهم عدلوا عنها إلى الكلمة اليونانية (هستوريا) و معناها الرواية و التحقيق لكانت طريقتهم فيما أخال غير ما كان.

و لم تزل هوة البعـد عن الحقائق و الغرض الأصـلى من كتابة التاريخ تتسع حتى أصـبح سـلطانه منهار الجرف، منقض الدعائم لطول ما عبثت به أحـداث الزمـان و أحـداث الانسـان فى عصور الوهم و أزمنـة الانحطـاط، و صـار أسوأ من الأـدب حظـا، و أنحس منه طالعا، تتلاعب به أدمغة العجائز و ألسنة القصاصين و الممخرقين و المخرفين، محشوة أسفاره بالخرافات و الأكاذيب إلا النادر القليل.

و سواء فى ذلـك من عنى بتاريـخ قرن أو حكومـة أو قطر، أو من اشـتغل بالتاريـخ العـام، و إنـك لتجـد كثيرا من المؤرخين و غيرهم يعتبرون المؤرخ «كحاطب ليل»، و منهم من جعل هـذه الكلمة تكأة له فى سـيره المغلوط، فاشـتبهت عليه المخارج و الموالج، و اختلط لديه الحابل بالنابل، فجمع الغث و السمين، و مزج الممكن بالمستحيل، وليت الخطب وقف عند هذا المرض القتال، و الداء العضال، و هو مزج الصـحيح بالسـقيم، و خلط الجائز بالمسـتحيل، و مجانبـة النقـد و عدم التمحيص، و لكنه تعداه إلى ما هو أدهى و أمر، و أسوأ حالا مما مر، و ذلك ما أشار إليه الأسـتاذ المعاصـر محمـد كردعلى بقوله: «كان المؤرخون بعد القرون الوسـطى بين عاملين قويين إما أن يكذبوا فيغضبوا الحق أو يصدقوا فيغضبوا الخلق». و قال العلامة الفيلسوف

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۴

إمام المؤرخين، واضع علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله أثناء خطبة كتابه المسمى بالعبر و ديوان المبتدأ و الخبر: «و إن فحول المؤرخين فى الإسلام قد استوعبوا اخبار الأيام و جمعوها و سطروها، و فى صفحات الدفاتر أودعوها، و خلطها المتطفلون بدسائس من الباطل و هموا فيها و ابتدعوها، و زخارف من الروايات المضعفة لفقوها و وضعوها، و اقتفى تلك الآثار الكثير من بعدهم و أدوها إلينا كما سمعوها، و لم يلاحظوا أسباب الوقائع و الأحوال و لم يراعوها، و لا رفضوا ترهات الأحاديث و لا رفعوها، فالتحقيق قليل و طرف التنقيح فى الغالب كليل، و الغلط و الوهم نسيب للأخبار و خليل الخ».

و قال السيد العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله: «إن معرفة تاريخ الأمة هو الوسيلة الأولى للنهوض بها و الصعود فى مراقى الحياة بين الأمم، و ضرر الجهل و الكذب فيه كضرر الجهل و الكذب فى بيان أحوال المريض و أعراض أمراضه للطبيب الذى يعالجه».

فلا بد لكاتب التاريخ إذا من تجرى الحقائق، و تمحيص الأخبار، و الابتعاد عن كل ما يشوب وجه الحقيقة من زيادة أو نقصان و مجانبة الهوى و نزعات النفوس، و أن يحكم العقل لا العاطفة عملا بقوله تعالى: وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا مع ملاحظة الحالة الاجتماعية و الاخلاقية و السياسية و كل ماله صلة بحياة الأمة، و فى ذلك من المشاق و المتاعب ما لا يفى الكلام بوصفه و لا يدرك كنهه إلا من خاض لجج هذه الأبحاث: «وَ فَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ»، قال بعض مؤرخى الأفرنج: «ليس التاريخ من العلوم السهلة فلأجل يوم واحد يصرف فى التركيب ينبغى قضاء أعوام طويلة فى التحليل».

و إذا تأملنا فيما دونه كبار المؤرخين القدماء كالطبرى و ابن الأثير

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۵

و المسعودى و ابن خلدون فى تأريخه دون المقدمة و اضرابهم، وجدنا بتلك المؤلفات روعة العلم و جلاله، و لمسنا روح البحث و التحقيق و الاستقصاء و الانقطاع للعمل و الشهوة العلمية لذاتها بارزة و ماثلة.

و لكنها لم تتعد دائرة البحث عن الحالة السياسية، و وصف حركات التجاذب و التغالب بين المتوافدين من الأمراء و الملوك، و ما يتبع ذلك من نزوات و نزعات، و لذا جاءت تلك المؤلفات غير كاملة بالمعنى المراد من التأريخ لأنهم لم يفوا المشكلة التاريخية حقها.

و يمتاز قدماء المؤرخين بسعة الإطلاع و الإحاطة بالجزئيات و الفهم للحقائق و القدرة على التعبير: «و لكنهم لم يقدروا على ربط الحوادث برباط جامع لها». و قد طوع لهم إدراك الجزئيات الإحاطة بشتى الحوادث و ما جرى فى السنين من الأحداث، فجمعوا فى مؤلفاتهم الكثير الطيب ممزوجا بغيره من دون نقد و تمحيص أو تعليل و استنتاج، فكان من جراء ذلك أن برزت الحقائق محاطة بإطار من الخفاء يعوزها النضوج و الاكتمال، كأنها منجم الذهب يتوقف الحصول عليه على إزالة ما يخالطه من العناصر المتنوعة.

و استمر الحال على ذلك آمادا متطاولة، و طرق التأليف فى هذا الفن مشابهة حتى ظهر إمام المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله فى القرن الثامن الهجرى فعنى بالتأريخ عناية خاصة و اعتبره جزءا من الفلسفة و لكن هذا الجزء ينبغى ألا يعنى بشىء سوى تقرير الحوادث و العمل على كشف ما بينها من اقتران الشىء بسببه على أساس النقد البرىء من التشيع و الهوى.

و أكبر قواعد البحث التاريخى هى أن الحوادث يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول .

و قد أطال فى مقدمته الكلام على هذه المباحث، و أثبت فيها القوانين

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۶

العامة و الأسس الأولية للمقايسة و التمييز و ذلك بالإمكان، و المقايسة و الاستحالة، فمقارنة الماضى بالحاضر تعطينا قانون التشابه، و قياس الأخبار على أصول العادة، و طبيعة العمران يعلمنا قانون الإمكان و الاستحالة.

و من المؤسف ان هذا الفيلسوف الاجتماعى العظيم لم ينتفع المسلمون بمبتكراته فى علم الاجتماع و فلسفة التاريخ لتأخر زمانه عن زمن النهضة العربية الإسلامية، و ظلت آثاره آنفا لم يمط عنها اللثام إلى أن شرع الغرب فى النهوض.

أما من تقدمه من مؤرخى المسلمين فإنه بالرغم عن مقدرتهم العالية، و ملكتهم الكتابية، و نزاهة مقاصدهم، و اتساع الفكر الإسلامى العربى و حريته فى أيامهم، نجدهم فيما نقلوه عن غيرهم قد تجنبوا النقد أو تهيبوه تقديسا للرواية أو لعلة أخرى، و قليل منهم من أتى بشيء جديد، أما ما يتعلق بأزمنتهم فلم يبعدوا عن الأسلوب المذكور أولا.

على أن بعضهم قد تأثر بالنزعات الدينية و العصبية القومية و المذاهب السياسية إلى أمد بعيد فظهرت مؤلفاتهم فى ثوب شفاف ينم عما تحته من سلطان الهوى و حكم العاطفة.

كما أن بعضهم لم يتورع عن خدمة الأغراض السياسية و المقاصد الشخصية، و جعل البحث التاريخى شبكة لصيده، و مطية لنزوات روحه، و لا سيما أيام كانت السياسة تركض وراء الألسنة القوية، و الأقلام السليطة لتستفيد من نصرتها، و تعتز بشهرتها، ليتم لها احتكار السلطة فى اشخاص القائمين بها، و صرف البلاد و العباد عن التفكير المثمر و العمل النافع، إلى ما يعود بالمجد الأجوف و الخير المزعوم، و قد سجل التاريخ من أعمال الفريقين ما يندى منه الجبين.

و صفوة القول أن هذا الفن لم يوله أربابه الأكفاء حقه من العناية كسائر الفنون: «و لم يمحصوا أخبارهم الموروثة تمحيصا دقيقا، و مع هذا فقد كان

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۷

الكثيرون يعولون عليها تعويلهم على المشاهدة، و كانوا يرجحونها على حكم العقل لأنه قد يسهل أن يسلم بنتائج غير صحيحة».

و كان بين المؤرخين دائما قوم يذكرون مختلف الروايات من غير تشيع، و كان آخرون مع ما أظهروا من مراعاة لمطالب الحاضر لا يترددون فى الحكم على الماضى أحكاما يتفاوت حظها من الصحة، و كثيرا ما يسهل على الإنسان أن يصيب فى حكمه على الحوادث الماضية أكثر مما يسهل عليه الحكم على شؤون العصر الذى يعيش فيه» .

و قد أنتج الفكر العربى عند ما استبحر فى العمران، و اتسع نفوذه، و ازدادت معارفه قسما من أقسام التاريخ تفنن فيه تفننا يفوق الوصف، و بلغ فيه مبلغا من الاتقان لا يدرك شأوه، و استعمل فيه النقد و التمحيص إلى أبعد حدوده و ذلك فن التراجم.

فإنه اتسع نطاق التأليف و المؤلفين فيه و ذهبوا فى الجودة و الافتنان كل مذهب، فقسموا كتبه إلى خاصة و عامة، و بذلوا عناية كبرى فى تتبع أحوال عظماء الرجال، و آثارهم و كل ما يحيط بحياتهم و يلابسها من خير و شر، و فضل و نقص، و تعمقوا فى مسايرة حياة من ترجموا لهم و تأثروهم خطوة خطوة. و لشدة عنايتهم بفن التراجم جعلوا المؤلفات العامة للنابهين فى أى فن كان، و الخاصة لمن نبغ فى فن مخصوص كالنحاة و الأطباء و الكتاب و الشعراء و الفقهاء و المتكلمين و الحجاب و الوزراء و الزهاد و المتصوفة و الأدباء و المغنّين و نحوهم.

فكانت هذه الكتب القيمة من أغزر الموارد فى الأدب العربى، و أروع الآثار فى التاريخ، لأنها تدلنا على كثير من الفوائد التى لا وجود لها إلا فى التراجم، و لولاها لا فتقدنا حلقات من تاريخنا لا يكمل وجوده بدونها، و كان

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۸

لها الفضل أيضا فى تبيان ما طواه التاريخ السياسى و أهمله من شؤون الحياة العلمية و الأدبية و الدينية و الأخلاقية، و ما يتصل بذلك من آراء و أفكار و معارف و فنون.

و لما تدهور الأدب العربى قلت براعة الكتاب فى ذلك، و أصاب تلك الناحية ما أصاب غيرها من فنون الآداب، و كأن بعض المؤرخين استشعر نقص الناحية الأولى من التأريخ فعمد الى الجمع بين الحوادث و التراجم فجاءت مؤلفاتهم: «كجونية العطار».

و مما هو جدير بالذكر هنا لعلاقته بالموضوع الإشارة إلى عناية العرب العظيمة بعلم الجغرافية، و البحث عن شكل الأرض و ظواهر الطبيعة و معرفة الأقاليم و خطوط الطول و العرض و تقسيم المناخ إلى مناطق، و الفحص عن أحوال الأمم و طبائع الشعوب، و إجالة الفكر فى كل ما يصلح أن يجول فيه عملا بهداية القرآن: وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ فِى

ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ.

و اهتمامهم الكبير بالبلدان و ضبط أسماء المدن و القرى و الجبال و الأنهار و الأودية و الطرق و المسافات و محطات البريد، و تكبدهم الرحلات الشاقة و الأسفار الطويلة فى سبيل البحث و التنقيب عن كل ما يتعلق بهذا العلم من حقائق تستأهل التخليد و التسجيل، و تأليفهم فى ذلك المؤلفات النفيسة الممتعة ككتاب الجاحظ عن البلدان، و معجم ياقوت الرومى الحموى، و صفة الجزيرة العربية للهمدانى اليمنى، و رسالة فيلسوف العرب أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى، و جغرافية عبد الله بن خرداذبة، و المقدسى، و محمد بن رسته، و أمثالهم.

كما أن إليهم يرجع الفضل أيضا فى تخطيط الخرائط. و وضع التقارير الضافية عن رحلاتهم البعيدة كما يفعل الغربيون اليوم.

و أقدم أثر عربى عثر عليه فى تخطيط الخرائط كتاب أبى زيد البلخى،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۹

أحد تلامذة الفيلسوف الكندى، عنى فيه بوجه خاص بالخرائط، فصور العراق فى زمانه سنة ۳۰۹ ه بخريطة جعلها ياقوت الحموى دليله فى رحلته كما نوه به فى كتابه: إرشاد الأريب.

و كذلك فعل الشريف محمد الادريسى فى كتابه: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، و هو من أجل الكتب الجغرافية و أنفسها، و به خريطة للبلاد المصرية و كان تأليف الكتاب المذكور بعناية (روجر الثانى) ملك صقلية و تايلى منتصف القرن السادس.

و المستبصر فى تاريخه لجزيرة العرب صور فيه أهم مدن الحجاز و اليمن فى أيامه، و ذكر طرقها و تاريخ اختطاطها، و مقدار المسافات إليها.

و من أمثلة تقارير سواح المسلمين تقرير احمد بن فضلان سفير المقتدر العباسى فى بلاط ملك البلغار سنة ۳۰۹ ه ذكر فيه أحوال البلاد الطبيعية و عادات السكان و أخلاقهم و تقاليدهم باسلوب ممتع أورده ياقوت فى معجمه.

و تقرير إبراهيم بن يعقوب احد تجار المغرب عن رحلته إلى أوربا و المانيا، و أبو دلف مسعر بن مهلهل عن الهند و تركستان و أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى عن الهند أيضا.

و القاضى الحسن بن أحمد الحيمى الصنعانى، سفير الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد، إلى ملك الحبشة وصف فيه حالة البلاد الطبيعية و السياسية و بلاط ملك الحبشة، و ما كان يحتوى عليه من دسائس الرؤساء و القواد و نحو ذلك.

تلك نظرة إجمالية و كلمة عامة عن المصادر التاريخية العربية كان إيرادها لبيان ما يعترض الباحث أو المؤرخ من عقبات فى تاريخنا القديم على جهة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۰

الإجمال، و فى المثال ما يغنى اللبيب، و ذلك كله و المصادر التاريخية للأمة أو البلدة التى يريد البحث عن أحوالها متوفرة، و المراجع التى يستنبط من منابعها بحوثه، و يستقى من مناهلها نصوصه غنية، و الطرق الموصلة الى الغاية معبدة أو قريبة .

و لكن قل لى بربك أيها القارىء ما ذا يقول الباحث المفكر المنصف الخبير بمشاق البحث و متاعب الطلب، إذا وقف أمام التاريخ اليمنى و أبحاثه الغامضة و فصوله المبعثرة بين مئات المجلدات و آلاف الصفحات؟ و بما ذا يحكم إذا عرف أن طريق البحث متعرجة ملتوية ذات أدغال و سلسلة جبال و عرة المسالك، و أن السالك فيها لعلى قلت إلا ما وقى الله؟

لا شك أنه يعذر الكاتب فى تقصيره، و يرضى منه بميسوره، و يوسعه العذر، و يقابله بمزيد الشكر، و أيم الله إنه لشىء عسير «يضل فيه الخريت» و يحار فيه الحكيم». و قديما اضطربت أفكار المؤرخين فى أمره، كما احتار من بعدهم فى قصصه و أخباره، ففى سبيل الله ما يلاقى الباحث فى تاريخ اليمن.

غير أنه لما كان من الواجب المحتم على كل فرد وهبه الله حظا من العلم، و نصيبا من الادراك، و قسطا من المعرفة (۲۹۷) القيام بواجب الشكر، و شكر كل نعمة بحسبها، و كنت ممن أفنى السنين الطوال، و شغل فراغ أيامه منذ الحداثة إلى زمن الكهولة، فى البحث و التنقيب و الدرس

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۱

و التنقير عن علم التاريخ، و ما بصحائفه من عبر و عظات، و من بين تلك الأسفار ما يخص اليمن المبارك، «مجر عوالينا و مجرى السوابق»، أحببت أن أقوم بذلك الواجب بعد أن بذلت الوسع، و استفرغت الجهد فى جمع الشوارد، و قيد الأوابد، و استقراء النصوص، و تتبع الأدلة حسب الإمكان.

و قد راعيت أمانة النقل، و واجب العلم فيما احتجيت به من كلام الغير، و أبحت القراء من عقلى و نفسى ما أبحتهم من عقول و نفوس من نقلت عنهم، فلم أكتف بنقل ما قالوه و جادت به عقولهم من دون أن أبدى رأيى، و لا- سيما فيما تضاربت عنده الأفكار، و اختلفت فيه الروايات، فإنى لم أقف هنالك وقوف المشدود الحيران، بل تقدمت و محصت بقدر ما أستطيع، (مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ)، و من الله استمد التوفيق، و هو حسبى و نعم الوكيل.

و سأبتدى بذكر حضارة اليمن و أقوال المؤرخين فى ذلك.

اليمن مهد الحضارة البشرية

اليمن الخضراء أو اليمن السعيد ذات المروج الخضراء، و السهول الممرعة، و الهضبات الخصبة، و الجبال الشاهقة، و الينابيع الفياضة، و الأنهار المتدفقة، و الأسداد المحكمة، و الآثار الخالدة، مشرق شمس الحضارة، و مطلع أفلاك المدنية، مركز النبوغ و معهد الثقافة، مهد الإنسان الأول و أقدم بلدان المعمورة رقيا، و أروعها مدنية، و أعظمها عمرانا،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۲

تحت سمائها الصافية و على أديمها المنبت، و فى مروجها النضرة مرحت أبطال الحروب، و عباقرة الفنون، و مهرة الرسامين، و نوابغ الصناع، و تركوا من نتاج عبقريتهم و آثار نبوغهم معاول الدهر، و فل شباء القرون.

و لم تزل بعض تلك الآثار جاثمة كالخلود، تمثل لرأيها أجيالا من ملوك حمير و سبأ و معين و الأذواء، و ينشد لسان حالها قبل سؤالها:

تلك آثارنا تدل علينافانظروا بعدنا إلى الآثار

و ما عليك أيها الباحث إلا أن تقف قليلا بطلولهم الدوارس، و رسومهم الطوامس، بمعين، و براقش، و الحمراء، و صرواح، و سبأ، و ناعط، و ظفار، و بينون و غمدان كى تناجيك آثارهم، و تخبرك مآثرهم من نقوشهم المطلوسة على الأحجار، و بقية أطلالهم الثابتة على كر الأعصار، أنهم أساتذة العالم فى تلك العصور، فان بقية ما أسارته الأيام من القصور و الهياكل و المدن و المعابد لا يزال قريبا، مما كان، و الكثير منها سطا عليه الزمان، فلم يبق منه غير العنوان.

طلل عند دمنة عند رسم ككتاب محا البلا عنوانه

من رآها هذى ملوك الدهر هذا و قارهم و الرزانة

و بقيا هياكل و قصوربين أخذ البلى و دفع المتانة

ثم تندس ذلك القلم المسمارى و الخط الهيروغلوفى وردد الطرف فى آثار الأمم التى نالت حظها الكامل من الحضارة فى تلك القرون، تجد المشابهة الكاملة، و المشاكلة التامة، شبه الماء بالماء و الغراب بالغراب، و حينئذ لا يسعك إلا الجزم بوحدة الأصل و التسليم بما قضت به أساطين البحث و رجال التاريخ و علماء الاجتماع و غواة الآثار من أن تلك الأنوار التى أنارت الشرق و الغرب

قبس من هذه النار، فإذا عرفت ذلك فما عليك إلّا أن تنشد بملء فيك.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۳ الملك فيك و فى بنيك و أنه‌حق من الآباء للأحفاد

و أمانة التاريخ فى أعناقهم‌من عهد بابل يوم نهضة عاد

و ذوى حمورابى و آل سميذع‌و بنى معين و حمير و أياد

و فيما تكاثفت عليه ظلمات الأعصار، و طمرته أتربة النسيان، و غمرته سواقى الزمان، و زوابع الطغيان، و لم يبق منه غير (نوء مثل خط بالقلم). من ذلك الماضى المشرق، و الشرف المؤنق، و الفخر التالد، و ما يشبع رغبات الباحثين، و سد فراغ الخزائن، و يسدى إلى التاريخ و الإنسانية أعظم منه.

فمما لا شك فيه أن اليمن كانت لها حضارة موغلة فى إثباج الماضى، و أنها سبقت مدنية الإ غريق و الرومان فى تشييد الصروح و القصور و المعابد و تجميلها بالزخارف و النقوش و التهاويل، و أن سبأ و مأرب كانتا محط رحال النوابغ، و مثابة لرجال الفنون كالبنائين و الحفارين و المصورين، و ان فن العمران بها كان قد سبق زمن (اقليدس) أستاذ الهندسة الأكبر كما يستفاد ذلك من أطلالها التى تدل بنقوشها أنها كانت قبل أن يعرف العالم أقليدس .

كانت اليمن و عرف وجودها قبل أن تشاد بيوت النيران، و معاقل الأوثان، و بيع الصلبان، و أديار الكهان، قبل أن يبنى خوفو هرمه العظيم، و يؤسس سرجون الأول دعائم ملكه بالبحر المتوسط و جزر اليونان، و يخرج موسى ببنى إسرائيل من أرض الفراعنة: كانت شريعة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۴

«حمورابى» أول شريعة عرفها البشر و نظام سنة الإنسان، و اليمن تنظر إليه بعين الإعجاب لأنه فرع من دوحتها العظيمة، و غصن من شجرتها الباسقة، و ذلك قبل أن ينشر بوذا تعاليمه على ضفاف الكانج بقرون.

نقل المؤرخ الشهير استرابون اليونانى أن الإسكندر الكبير كان قد اختط خطة قبل موته، قصاراها أنه يريد نقل عاصمة ملكه من الهند إلى اليمن، و ذلك يدل على ما كان لهذه القطعة المباركة من مكانة فى نفس ذلك الفاتح العظيم، و قديما اطلق عليها الرومان و الفرس و اليونان اليمن السعيدة، و الجزيرة الخضراء، و وصفها مؤرخوهم بما يعجز القلم عن وصفه.

عرفت اليمن و عرفت حضارتها الرائعة و عمرانها الزاخر، و علومها المنتجة، و فنونها الجميلة، قبل أن تعرف أى مدنية على وجه الكرة الأرضية، ثم كانت مدنيات موغلة فى القدم كالمدنية الكلدانية و الآشورية و الكنعانية و الفرعونية، و الفينيقية، و فى بعض بقاع المعمورة كالهند، و الصين، و ما تلك إلا قبسات نور إنبثق من هذه البلاد كما سيمر بك قريبا:

مشت بمنارهم فى الأرض روماو من أنوارهم قبست أثينا

قال الكاتب العلامة الأمير شكيب أرسلان فى تعليقاته على ابن خلدون ما لفظه: (كانت للعرب مدنية لا سيما فى اليمن فى غاية الإرتقاء و الإزدهار فى نحو الألف السنة قبل المسيح)، و يذهب الأستاذ المستشرق «موريتز» الألمانى إلى أن أصل إيجاد الكتابة بالحروف بعد الكتابة الهيروغلوفية كان فى اليمن، و هو يعتقد أن اليمانيين هم الذين اخترعوا الكتابة و ليس الفينيقيون هم الذين اخترعوها كما هو الرأى المشهور، و قد أفضى موريتز إلىّ بأدلة على هذا الرأى و قال إن الفينقيين إنما بنوا كتاباتهم على الكتابة العربية اليمنية، ثم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۵

أن اليونانيين أخذوا الكتابة عن الفينيقيين و أخذ عنهم الرومانيون، فيكون العرب هم الذين أوجدوا الكتابة فى العالم، و بهذا الاعتبار هم الذين أوجدوا المدنية.

و نقل عن المستشرق «هرمل» نقلا عن الانسيكلوبيدية «دائرة المعارف الاسلامية أن اليونان أخذوا عبادة «أبولون» و أمه «ليوتو» عن

العرب، و قال «روبيرتسون سميث» أن «ليوتو» هذه هى اللات، و أن اليونانيين بحسب رأى بريتوريوس أخذوا بعض أحرفهم عن كتابة عرب اليمن و البعض الآخر عن الكنعانيين.

و قال هومل أن جنوبى بلاد العرب كانت فيه مدينة فى أوائل الألف قبل المسيح بالغة الحد الأقصى من الازدهار بما تركته من معابد و حصون و محافد و قصور و مكتبات.

فاليمن إذن مهد الديانات و وطن الأساطير، عانقت الصابئية الأولى، و احتضنت المجوسية، كما حمت الوثنية و تغلغلت فى جنباتها اليهودية، و ربت فيها المسيحية: دحرت الرومان، و قهرت الغزاة، و لفظت الأحباش، و هضمت الفرس، و خرجت من معارك الدهر و صراع القرون عربية إسلامية «وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ».

فانها لم تلبث الوثنية أن خنست، كما تخاذلت المسيحية، و انكمشت اليهودية، كما تراجعت المجوسية، و أصبحت هذه القطعة المباركة وزر الأمن، و معتصم السعادة، منبع الحكمة، و مقر الإيمان، و المحل الذى منه يأتى نفس الرحمن، كما أخبر بذلك من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه و سلم القائل: (الإيمان يمان و الحكمة يمنية)، هكذا صح عن سيد ولد آدم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۶

رجل العالم صلى الله عليه و سلم قبل أربعة عشر قرنا، قبل عصر البخار و الكهرباء و استنطاق الجماد، و حل الرموز و قراءة النقوش، و معرفة الآثار، قبل أن يعثر كريستوف كلمب على أمريكا بألف سنة قال سيد قريش «الحكمة يمانية».

و هناك طوت سجل الماضى، و قامت بحمل راية الفتح لإسلامى، فأنجبت من أبطال الحروب، و كبار القواد، و أفذاذ الحكماء، و نوابغ الشعراء، و مشاهير العلماء، عداد نجوم السماء.

شهد الخلائق أنها لنجيبةبدليل من ولدت من النجباء

هب رجال اليمن لنشر راية التوحيد خفافا و ثقالا و احتملوا أبناءهم و أزواجهم و نزحوا إلى الطرف الأقصى من ديار الإسلام، و هنالك فى أرض الهجرة دافعوا دفاع الأبطال، و اقتحموا الأهوال، و صابروا و صبروا و قاتلوا حتى ظفروا باحدى الحسنيين

بعد أن ملؤا العالم قديما، و أخذوا إمرة الأرض اغتصابا، و استولوا على الممالك أحقابا، و تسلموا زمام الحياة المادية و المعنوية دفعا و انتزاعا، بمالهم من صفاء العقول، و مضاء العزيمة، و شدة البأس، و عظمة المجد، و كرم الأعراق، فقد كانوا أعجوبة الحياة بكل مظاهرها، و للّه علامة اليمن نشوان بن سعيد حيث يقول:

قومى الذين تملكوا و تمكنوافى الأرض قبل تمكن الاسكندر

الخاتمون لسد يأجوج الذىلا يستطاع لردمه من مظهر

و الضاربون الهام فى يوم الوغىبين الصوارم و القنا المتكسر

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۷ و لكم لحميركم و كم من مفخرباق إلى ميعاد يوم المحشر

لا شك أن أهل اليمن بلغوا مبلغا (۲۳۰) عظيما فى الملك، و اتسع نفوذهم، فشملت معارفهم و حضارتهم كل ما استولوا عليه من الأقاليم و البلدان، لأنهم وصلوا إلى ما لم تصل إليه مدارك الأمم فى تلك العصور كما تدل عليه آثارهم.

و لا سيما بمدينة سبأ الشهيرة، و مأرب حيث كانت أعظم مدينة فى ذلك الزمن، فيها من المعابد و القصور و الحدائق و أنواع طرف المدنية ما يشهد لها بالسبق، و لأطلالها اليوم من العظمة و الجلال ما تتضاءل أمامه عظمة المدائن، و يصغر بجانبه ملك كسرى و قيصر، و حسبك ما وصفها به القرآن الكريم قال تعالى: لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ.

و قوله تعالى حاكيا عن هدهد سليمان عليه السلام فى وصفه عرش بلقيس و ملكها: إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ وَ لَها عَرْشٌ عَظِيمٌ.

قال العلامة شكيب أرسلان: «على أن مؤرخى الأفرنج يعترفون بأن فى كتب مؤرخى الإسلام عن مدينة سبأ القديمة و الأدوار التى تلتها تنطبق أشد الانطباق على الكتابات المنقوشة فى الحجر و على المنابع اليونانية و الرومانية، و كلها تفيد أن مدينة سبأ كانت راقية جدا، و أرقى من المدنيات العربية الأخرى، فالمبانى القديمة الدائرة من آثار سبأ، و النقوش و التماثيل و بقايا الأعمدة و الهياكل و القصور و الأسوار و الأبراج و سدود المياه، مما شاهده سياح الأفرنج بأعينهم، يطابق أشد المطابقة الأوصاف التى وصف بها اليونان و الرومان تلك الآثار المدهشة و لا يجدون فيها مبالغة، كما أنه عند ما ينظر السائح إلى تلك الآثار لا يعود متعجبا مما جاء عنها فى كتب الإسلام، مما كان يظنه من أساطير الأولين، و حسبك بما ذكره الهمدانى من قصر غمدان

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۸

و غيره من قصور سبأ مثل قصر سلحين و بينون، و ما ذكره من عظمة سد مأرب، و ما كتبه مؤرخو اليونان و الرومان عن فخامة تلك القصور و هاتيك الأسداد و القلاع، فهو مطابق للمحسوس المشهود بالعيان» اه.

و قد جاء وصف مدينة سبأ عن كثير من قدماء المؤرخين غير العرب قال «أغاثر سيدس»: أنه كان يوجد فى سبأ كل شىء يجلب السعادة لبنى آدم، و غير المحصولات المشهورة يوجد فيها اللبان و المر و القرفة، و كانوا يطبخون مأكولاتهم بالأخشاب ذات الروائح الذكية، إلى أن قال: دعائم بيوتهم تلمع بالذهب و الفضة، و أبوابهم من العاج مزينة بالجواهر و باطنها يشبه خارجها، إلى آخر كلامه الذى يدل على أنهم وصلوا إلى ما لم تصل إليه حضارة نيويرك و باريس و لندن اليوم و لا روما و أثينا و بيزنطة و الاسكندرية فى العصور الغابرة».

و نقل جرجى زيدان عن استرابون الرحالة اليونانى، أن مأرب كانت فى زمانه مدينة عجيبة، سقوف أبنيتها مصفحة بالذهب و العاج و الحجارة الكريمة، و فيها من الآنية الثمينة المزخرفة ما يبهر العقول. و قال المستشرق (نيولد نيكلسون) الانقليزى فى كتابه تاريخ العرب الأدبى: سبأ تستعمل غلطا إذا قصد بها كل بلاد اليمن على حين لم تكن سوى أقليم منها، و ان كانت بلا جدال أقوى شكيمة و أعظم أهمية من كل الممالك و الاقاليم التى ورد ذكرها فى كتابات الأغريق و الرومان القدامى، و مهما بولغ فى عظمتها و ثراها فمن المحقق أن سبأ هذه كانت ذات مركز تجارى ممتاز قبل ظهور المسيح بعدة قرون.

و جاء فى الأنسيكلوبيدية الاسلامية (دائرة المعارف) أنه لا مبالغة فيما نقلوه من أن أبواب منازل سبأ و جدرانها و سقوفها و أعمدتها كان منها الكثير مموها بالذهب و الفضة، مرصعا بالحجارة الكريمة، و أن آنيتهم كانت مصوغة من أنفس المعادن، و هذا ما ذكره الهمدانى و المسعودى و غيرهما من مؤرخى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۹

العرب، و ما أيدته الكتابات الصخرية نفسها فيما ترويه عن التقادم العظيمة من الذهب و الفضة و نفائس الأحجار، و قد وجد كثير من المسكوكات السبئية و من الحلى تؤيد أيضا روايات الرواة من كل قبيل اه .

و قد علل بعض الباحثين وجود المدنيات بعلل شتى، منها طيب المناخ، و كثرة المياه أو المعادن، و منهم من يعزوها إلى غرائز اختصت بها بعض الأجناس البشرية، و صفات جادت بها الطبيعة على بعض الشعوب دون بعض، و كل ذلك متوفر فى هذه البلاد و أهليها.

فمن الذى يجهل ذكاء أهل اليمن الفطرى، و نبوغهم العجيب و نشاطهم، و ما فى طباعهم من الوجدان، و نفوسهم من الحماسة، و تلك بلا شك من أكبر عوامل النبوغ و التقدم. و فى تاريخهم الغابر كنوز لا تقدر بثمن محفوفة بسياج جلالة العلم، و طرازه القوة، و أسراره الذكاء و الفطنة، فكل حجر أقيم، و كل تمثال نحت، و كل نقش خلد، هو صفحة الخلود، أما من غمرت عبقريتهم أتربة النسيان، و طمست معالم خلودهم حوادث الأيام، فلم تتصل بسمع التاريخ فهم أكثر.

و أما خصب التربة، و بركة الأرض، و كثرة الإنبات، وجودة الهواء، و إعتدال الطقس فأشهر من نار على علم، قال بعض المؤرخين : إن مأرب كانت فى بهاء، مشاهدها الطبيعية على شاكلة مدينة دمشق، يجرى فى وسطها نهر عظيم تجتمع إليه المياه المنحدرة من

أعالى الجبال، فيتألف من هذه السيول الجائشة بحر شديد الاغتلام، يفيض مرة فى العام على المراعى و الحقول فلا يذر فيها حسنا، و لا يستبقى من روائعها روعة، و بذلك أصبحت مرتادا للملوك و الأمراء، يرتادونه فى فصل الصيف القائظ للترفيه عن أنفسهم، و فى قوله تعالى: (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ) ما لا يحتاج إلى مزيد.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۰

ألمعنا فيما سبق من أعداد (الحكمة) إلى عظمة اليمن التاريخية، قيل فى حضارتها القديمة، و نقلنا ما جاء فى وصف تلك المدنية عن قدماء المؤرخين من غير العرب كاليونان و الرومان و الفرس و نحوهم و كلهم أدلة متظافرة على تقدم المخترعين لتلك المدنية فى الآداب و المعارف و تعمقهم فى أسرار الطبيعة و ما خفى من أمرها، و بذلك يسهل الحكم بأن اليمن مهد الحضارة، و أن مدنيتها من أقدم ما عرفه التاريخ.

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله فى مقدمته عند الكلام على العرب و بعدهم عن الصنائع لتوغلهم فى البداوة ما لفظه، و أما اليمن و البحرين و عمان و الجزيرة و إن ملكه العرب إلى أنهم تداولوا ملكه آلافا من السنين فى أمم كثيرة منهم، و اختطوا أمصاره و مدنه و بلغوا الغاية من الحضارة و الترف مثل عاد و ثمود (۳۸) و العمالقة و حمير و من بعدهم من التبابعة و الأذواء إلخ ...

و قد لحظ هذه الحقائق كتاب التاريخ الإسلامى كالمسعودى فى كتابه مروج الذهب، و ابن هشام فى كتابه المسمى بالتيجان، و الهمدانى فى الإكليل، و غيرهم ممن كتبوا عن التأريخ القديم، كل أولئك قص علينا من أخبار حمير، و عظمة ملكهم، و سعة ما استولو عليه من الأقاليم و الأمم كالصين و الهند و الترك و البربر و نحوهم إلى ما يدعو إلى الدهشة و الارتباك.

و إليك ما رواه نشوان بن سعيد الحميرى للربيع بن ضبع الفزارى فى كتابه شمس العلوم، عند الكلام على ظفار، قال: و للربيع بن ضبع:

و قل فى ظفار يوم كانت و أهلهايدينون قهرا شرقها و المغاربا

لهم دانت الدنيا جميعا بأسرهايؤدى إليهم خرجها الروم دائبا

و غمدان إذ غمدان لا قصر مثلهزهاء و تشييدا يحاذى الكواكبا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۱ و أرباب بينون و أرباب ناعطخلا ملكهم منهم فأصبح عازبا

و مأرب إذ كانت و أرباب مأربتوافى جباء الصين بالخرج مأربا

فمن ذا يرجى الملك من عبد حميرو يأمن تكرار الردى و النوائبا

أولئك مأوى للنعيم كفاهمو لكن وجدنا الخير للشر صاحبا

و قد أبطل هذه الروايات ابن خلدون فى مقدمته، وعدها من أغلاط المؤرخين، و أطال فى نقد كل رواية جاءت بغزو حمير لأمم الشرق أو الغرب، و علل امتناع ذلك بعلل جغرافية و أخرى إدارية و سياسية، و لكنه وقع فيما أنكره على غيره، و لا أقول كما قال فيه بعض المستشرقين من أنه قليل الثبات على و تيرة واحدة، و إليك ما قاله فى نقد أقوال المؤرخين أولا، قال:

(و من الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة فى أخبار التبابعة و ملوك اليمن و جزيرة العرب من أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى أفريقيا و البربر من بلاد المغرب و أن افريقش بن قيس بن صيفى من أعاظم ملوكهم الأول، و كان بعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل، غزا أفريقيا و أثخن فى البربر، و أنه الذى سماهم بهذا الإسم حين سمع رطانتهم، و ما قال: ما هذه البربرة الخ.

ثم ذكر رواية المسعودى أيضا من أن ذا الأذعار من ملوكهم غزا المغرب و دوخه، إلى أن قال: «و كذلك يقولون فى تبع الآخر من أنه ملك الموصل و أذربيجان، و لقى الترك و هزمهم، و أثخن، ثم غزاهم ثانية و ثالثة، و أنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس و الصغد و الصين، إلى أن قال: و هذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة، عريقة فى الوهم و الغلط و أشبه بأحاديث القصص الموضوعة و ذلك أن ملك التبابعة إنما كان بجزيرة العرب و كرسيهم صنعاء، و جزيرة العرب، يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها،

فبحر الهند من الجنوب، و بحر فارس الهابط منه إلى البصرة من المشرق، و بحر السويس الهابط منه إلى السويس كما تراه فى مصور الجغرافيا، فلا يجد السالكون من

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۲

اليمن الى المغرب طريقا من غير السويس، و المسلك هنالك ما بين بحر السويس و البحر الشامى قدر مرحلتين فما دونهما، و يبعد أن يمر بهذا المسلك ملك عظيم فى عساكر موفورة من غير أن تصير من أعماله، هذا ممتنع فى العادة، و قد كان بتلك الأعمال العمالقة و كنعان بالشام، و القبط بمصر، ثم ملك العمالقه مصر، و ملك بنو إسرائيل الشام، و لم ينقل قط أن التبابعة حاربوا أحدا من هؤلاء الأمم، و لا ملكوا شيئا من تلك الأعمال الخ.

و هو كلام ظاهر البطلان منقوض، و لا حاجة إلى بيان غلطاته و التنبيه عليها، و سرد الروايات التاريخية المناهضة لها، و لا سيما و قد نقضها هو، و أورد هذه الأخبار مستدلا بها فى عدة مباحث، منها عند الكلام على الأمم المتوحشة، وسعة ما تملك مستشهدا بحمير، و كيف كانوا يخطون من اليمن إلى المغرب مرة، و إلى العراق و الهند أخرى، و أن ذلك لم يكن لغير العرب من الأمم. و قال فى صفحة ۱۵۵ عند الكلام على طبائع الدولة فى أدوارها الخمسة: و أعتبر ذلك بجوائز ابن ذى يزن لوفد قريش، كيف أعطاهم من أرطال، الذهب و الفضة و الأعبد و الوصائف عشرا عشرا، و من كرش العنبر واحدة، و أضعف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب، و إنما ملكه يومئذ فرارة اليمن خاصة تحت استبداد فارس، و إنما حمله على ذلك نفسه بما كان لقومه من التبابعة من الملك فى الأرض و الغلب على الأمم فى العراقين و الهند و المغرب، و قال فى موضع آخر: «و قد كان الخط العربى بالغا مبالغة من الإحكام و الإتقان و الجودة فى دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة و الترف، و هو المسمى بالخط الحميرى، و انتقل منها إلى الحيرة لما كان بها دولة آل المنذر، نسبا التبابعة فى العصبية، المجددين لملك العرب و أرض العراق، انتهى».

و على كل تقدير فإن أجل ما كتب فى هذا الباب و أقربه إلى الحقيقة، ما كتبه نشوان بن سعيد الحميرى، و الحسن بن أحمد يعقوب الهمدانى، و هما من فحول رجال اليمن و أعيانها، غير أنه من المؤسف بل

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۳

الموجع أن معظم ما كتبوه سطت عليه أيدى الزمان، و نوائب الأيام، و كثير من ذلك خرج من اليمن و لاذ بخزائن الغرب، لاذ ببرلين و لندن و روما و الاسكريال، و ما بقى منه بالمين انكمش بخزائن العظماء، و انحجر فى ظلمات البيوت ينادم الفيران و الأرضة، مع أن مؤلفاتهما لا- تخلو من المبالغة و المجازفة فى كثير من الأخبار، و ذلك لبعد ما بينهم و بين من كتبوا عنهم من القرون الطوال، فقد نقلوا ما سمعوه و فيما كتبوه طرفا من الخبر لأنباء عن الحقيقة. و زيادة على تقادم العهد، ميلهم العظيم إلى المجد السالف و التغنى بمفاخر الآباء و الأجداد إلى درجة التعصب، و هو ما حال بينهم و بين نقد بعض (۴۱) الأخبار المبالغ فيها، مع أن تلك الأخبار ليست كذبا، و لا يصح إهمال ما جاء فيه، نوع من الغلو، قال الامير شكيب أرسلان: «جاء فى الانسيكلوبيدية الإسلامية «دائرة المعارف: «أنه لم يوجد بين كتاب العرب من جاء بتاريخ حقيقى عن اليمن، و بمعلومات مؤسسة على قواعد متينة، مثل الهمدانى، فقد كان هذا الرجل يمانيا مولودا فى صنعاء، فحمله حب وطنه، و الإعجاب بقومه، على تأليف كتاب الأكليل الذى ذكر فيه تاريخ اليمن، و وصف العاديات التى هى فى الجزء الثامن من الأكليل، كان نشره مع ترجمة ألمانية الدكتور «مولر»، و قد أخذ من الجزء العاشر معلومات تكمل ما ورد فى كتاب الهمدانى الآخر المسمى بصفة جزيرة العرب، و قد كان فى كتاب الهمدانى قصص أشبه بالأساطير نقلها الهمدانى على علاتها إلا انا برغم ذلك هو الكتاب العربى الوحيد الذى يفهم منه القارىء ما اليمن و من أهل اليمن و فيه تفاصيل عن أنساب اليمن و طبائع أهلها، و عن مواقع مدنها، و عن قصورها و حصونها، لا توجد فى كتب الإفرنج برغم تدقيقاتهم، و كذلك فى إكليل الهمدانى عن سبأ و عن سيل العرم ما لا يتم تأريخ اليمن إلا به، و قد ذهب مولر أن الكتابات الحجرية لا تكفى لجلاء و تأريخ سبأ و معين و بلاد اليمن».

و بالرغم على ما دونه الهمدانى و غيره، و ما عثر عليه المستشرقون من

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۴

النقوش و كشفوه من الآثار و وجدوه من المسكوكات، فان تاريخ أولئك الأقوام لا يزال فى مرحلته الأولى، و طريق الدراسة مهما أمعن فيها المتوغل، و تقليب الصفحات و ان استغرقت أيام الحياة، لا تسد الحاجة و لا تروى الغلة لما هنالك من مجاهل لا تهتدى الأفكار إلى مهيعها، و الحل الوحيد لهذه المشكلة إنما هو درس الآثار و التفهم لأسرارها، و أظن الوقت قد حان للفوز بهذا الفخر العظيم، فمن الخليق بتاج ذلك المجد الباهر يا ترى؟ الأمل وطيد فى همم رجال الجد، ذوى الغايات البعيدة، و المراتب الكبيرة، و النفوس العالية، و الضمائر الحية، و ما ذلك عليهم بعزيز.

إذن فما الحيلة؟ و كيف السبيل الآن إلى معرفة ما لا- بد منه للمؤرخ ليعرف الحاضر حق العرفان، لأنه لا يعرف بغير الماضى لما يستنتجه من المباحث التى تدرجت فيها الأمة و أدوار الانتقالات التى مرت عليها حتى يتسنى له وصف الروابط المعنوية و العادات الموروثة و الأخلاق المتنقلة، ليربط بين ماضيها و حاضرها برباط الوحدة التاريخية.

و هنا يقول القلم و هو يكاد يتعثر خجلا، ليس أمامك أيها الباحث غير ما كتبه المستشرقون عن هذه البلاد، و ذلك المجد الضارب أطنابه بالنجوم و بقية ما دونه أولئك الآباء الأمجاد، و لا أقول أنه من العار نقل ما كتبه المستشرقون (فالحكمة ضالة المؤمن) و لكن من العار الجمود عليه و الوقوف عند ما رسموه، و أن نبقى عالة عليهم حتى فى معرفة بلادنا، و مهد آبائنا، و مدافن أجدادنا.

و على كل تقدير فإن للمستشرقين فضلا لا ينكر على التاريخ لإكتشافهم الآثار، و حلهم النقوش، و مواصلتهم البحث عن حقائق لها قيمة عالية فى عالم التأريخ، فقد أوضحوا كثيرا من خفاياه، و عرفوا من الدول الغابرة و الأمم القديمة ما لم يعرفه مؤرخو اليونان و لا الرومان و لا العرب أنفسهم كما سيأتى إن شاء الله قريبا.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۵

و من أهم هذه المعلومات ما عثر عليه المستشرق هاليفى و قلازر و أرنو و غيرهم من آثار دول اليمن القديمة، فانهم جزموا بوجود حكومات متعددة فى جهة حضرموت و سبأ و ما اتصل بها، من أهمها: دولة معين و هى أقدم دول اليمن، ثم دولة سبأ و حمير و حضرموت و قتبان، بينما كان قدماء المؤرخين من العرب لا يزيدون (۴۳) على ذكر الدولة الحميرية، و إليها ينسبون كل عظمة، و بعض مؤرخى اليونان أشار إلى دولة معين بعدة كلمات

أحمد بن أحمد المطاع

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۷

مقدمة المحقق

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم لا بدّ لنا و نحن نستطلع خلاصة التاريخ فيما أنتجه أهل اليمن من آثار فكرية رائدة، أن نقف عند شخصيات هضم التاريخ حقها و تجاهلها فى نفسها و آثارها الفكرية، و إذا ذكر هؤلاء يكون رأسهم الأديب الحر الشهيد احمد بن احمد المطاع فهذا الرجل ثمرة صالحة لتربة الأرض اليمنية برجالها المفكرين و أحرارها الأذكياء.

و كأنى به و قد عاش فى بيئة لا تشجع كثيرا المسلك الذى نحاه لنفسه، قد سبر الأغوار، و عرف ما يدور حوله من عوالم متقدمة، و ومضات رائعة تمنّى أن يكون لشعبه مثلها، فطالع و كتب و اجتهد حتى ظفر بما رامه فانتج و أبرز على الرّغم من قصر عاشها و قطف

الثمرة و لمّا تأت بعد بكل ما فيها من أكل و فاكهة.

نعم نجد فى النشر القصير الذى حملته صفحات مجلة الحكمة ما يعطينا صورة كاملة للعقلية المنفتحة التى عرف بها أديبنا الشهيد احمد بن احمد المطاع، و كان ما كتبه منعطفا تاريخيا فى فكرنا الثقافى الحديث قاطبة، بل هو مرحلة مبكّرة من الإبداع لا نغالى إذا قلنا إنها الأولى من نوعها فى الجزيرة العربية.

لكن الإنتاج الفكرى الذى رأيناه فى مجلة الحكمة ليس هو كل ما فى جعبة شهيدنا من إبداع خلّاق، و إنما سوّد مئات الصفحات فى دراسة التاريخ

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۸

اليمنى و قد أراد بها أن تكون درسا عمليّا و تشريحا دقيقا لجسم الأمة عبر أطوارها التاريخية المتعدّدة، و ما اعتراه من أدواء متعمقة، و أمراض نخرت فى كيانه على إثر تفشّى الحكام المسيطرين الذين نهشوا جسمه و تركوه جثة هامدة لا تقوى على حراك.

و قد كان للشهيد أحمد المطاع رسالة و طنية عظيمة، و فكر إصلاحى ثائر، يأخذ عليه كل كيانه لم يستطع المجاهرة به فى ظل الحاكم المسيطر، فما كان منه إلّا أن جعل من دراسة التاريخ ستارا يندرج تحته و يبنى فى أجوائه علمه و ما أراده من قول.

فكان هذا الإنتاج الكبير الذى بين يديك، و هو ثمرة لجهد كبير، تكاتف على القيام به نخبة من مثقفى اليمن، و مفكريها فى ذلك الوقت، و هو ثمرة حيّة لمدرسة الحكمة التى تصدّرها الاستاذ احمد عبد الوهاب الوريث و رفقاؤه، و كانت تنتج و تؤلف تحت رعاية الأستاذ عبد الله بن يحى بن محمد الذى شارك شهيدنا المطاع السيف و الموت، و كان الرجل قد رحل إلى مصر و شجّع نشر بعض الكتب اليمنية و تحقيقها فحقق اديبنا المطاع تحت نظره عطر نسيم و هو أول كتاب تراثى يقوم بتحقيقه باحث يمنى فى العصر الحديث، و فى مصر كلّف الأستاذ محب الدين الخطيب بتحقيق الجزء العاشر من الإكليل و طبعه على نفقته، ثم ترجمة كتاب رحلة ابونتى إلى اليمن و نشرها فى مصر. و غيرها ثم تكونت لجنة التاريخ سنة ۱۳۵۶ ه لجمع شتات التاريخ اليمنى و لمّ مصادره فى تدوين شامل أضطلع به أعلام من اليمن فى ذلك الوقت، كان على رأسهم المؤرخ اليمنى المعروف محمد بن محمد زبارة و الأستاذ احمد بن عبد الوهاب الوريث و الشهيد احمد المطاع و الاستاذ عبد الله بن محسن العزب و الاستاذ عبد الله بن عبد الكريم الجرافى، و قد تقسموا أدوار التاريخ و عصوره.

فأخذ الأستاذ احمد بن عبد الوهاب الوريث تاريخ اليمن قبل الإسلام.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۹

و أخذ المؤرخ محمد زبارة جانب التاريخ الإسلامى من صدره حتى القرن الثالث.

و تناول الأستاذ الشهيد احمد المطاع تاريخ اليمن من عصر الدول المستقلة حتى سنة ۱۰۰۶ بداية الدولة القاسمية.

و الأستاذ عبد الله بن عبد الكريم الجرافى تناول تاريخ اليمن من سنة ۱۰۰۶ حتى سنة ۱۳۰۷ ه سنة قيام المنصور محمد بن يحيى.

أما الأستاذ عبد الله بن محسن العزب فإنه تناول تاريخ اليمن من سنة ۱۳۰۷ حتى سنة ۱۳۳۴ و قد وقفنا على قطعة من عمله و قمنا بنشرها.

قلت: لعلّ الأستاذ عبد الله العزب شاركه فيه آخر فى فترات التاريخ المكلف بها لم نعثر على اسمه لأن الذى بين أيدينا ليس كل الفترة التى أخذ على نفسه تاريخها.

و مضى هذا الجمع من كتابنا فى المهمة التى كلّفوا بها، و كأنهم فى مسابقة أدبية يظهر كل واحد منهم براعته و تفوقه. على أن بعضهم- يخيل إلى- لم يستطع انجاز عمله لأسباب قاهرة، و الذين انهوا عملهم هم ثلاثة المطاع فى العمل الذى بين يديك، و الجرافى فى كتاب يحمل اسم انباء اليمن و نبلائه بعد الألف، و هو موجود بمكتبة الجامع الكبير برقم (۱۸ تاريخ و ۱۹ تاريخ) و العزب فى قطعة تم لنا العثور عليها و نشرها.

و قـد عبر كل قسم من الأقسام التى كتبت عن الشخصـيات التى تناولتها، فمؤرخنا المفكر احمد المطاع حينما كتب تاريخه أتى بما لم نعرفه قبله عند مؤرخ يمنى آخر من منهجية و سير للمجريات التاريخية و طبيعة الأحداث و ملابساتها مع نقد للروايات و المصادر ليس لنا عهـد به قبله فصـحّ له بهـذا ريادة و تفوق و حتى قال الـدكتور الشاعر عبد العزيز المقالح: «لا أتردّد عن القول بأنه عند ما يصـبح لنا مؤرخون و تكون لنا دراسات تاريخية، فلا بد أن يكون اسم أحمد المطاع على رأس أسماء أصحاب هذه الدراسات التاريخية

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۴۰

لأنه الأب الشرعى للكتابة التاريخية بمعناها الحديث الذى نطلع عليه».

و قد أوفاه حقه من الدّرس الدكتور السيد مصطفى سالم فى كتابه عن مجلة الحكمة فانظره هناك.

الشهيد المطاع

هو الأديب العلامـة الشـهيد احمـد بن احمد بن محمد المطاع قال عنه زميله المؤرخ محمد زبارة فى ترجمته له فى نزهة النظرج ۱ ص ۵۵:

السـيّد الأديب النجيب أحمد بن أحمد بن محمد المطاع العباسى مولده سنة ۱۳۲۵ ه بصـنعاء و نشأ بها و أقبل على العلم و الأدب بفهم صادق و ذكاء و ألمعيـة و نجابـة و همّـة عليـة؛ له يـد فى حسن الإنشاء و إقبال على الكتابـة تولّى الكتابـة بجريـدة الإيمان مع القاضـى العلامة عبد الكريم بن أحمد مطهر و كتب رسائل «مقالات» فى مجلة (الحكمة) التى أنشئت بصنعاء و راسل الأدباء و العلماء و له شعر حسن.

كتب صاحب الترجمة و هو فى بند رميدى من تهامة سنة ۱۳۴۴ ه إلى صديق له بصنعاء هذه الأبيات:

أزكى التحيات تغشى ثاقب النظرسلام أنهى من الأزهار و الزهر

ما غنّت الأيك فى دوح الغصون و ماترنم الورق فى داج من السحر

فنسمة الصبح لما بالصّبا خطرتأهدت لنا نفحة من طيبها العطر

و بارق الجزع قد أبدى لنا خبراعن الهمام خدين المجد من صغر

عن الذى بسويدا مهجتى سكنوابيتا من القلب لا بيتا من الشعر

و قـد كتب صـاحب الترجمـة نبـذة من التاريـخ اليمنى بعبـارات شـيّقة، و ذلك من حـدود المائتين إلى رأس الألف أيام أسـست لجنة لتأليف التاريخ اليمنى، و كان صاحب الترجمة و القاضـى عبد الكريم الجرافى من أعضائها برئاسة المؤلف و المؤرخ محمد بن محمد زبارة.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۴۱

و قد توفى صاحب الترجمة شهيدا بحجة بعد ثورة سنة ۱۳۶۷ بتهمة اشتراكه فى إغتيال الإمام «يحيى».

هـذا ملخص ترجمـة حيـاة الشـهيد المطـاع من كتـاب نزهـة النظر يضاف إليها أنه سـجن مع أخيه محمـد المطاع، و على الشـماحى، و صـديقه عبـد الله العزب، و محمـد المحلوى، و صالـح السـنيدار، يقول شاهـد الحادثة العلامة احمد بن محمد زبارة: «لما حبسوا اختلق الغوغـا أسـبابا لحبسـهم بأنهم اختصـروا القرآن، و سـموهم درارعـة يهود منحرفين، و لعلّـة أول حبس للأحرار، و كان كاتب الأحرف أحمد بن محمد زبارة يزورهم إلى القلعة بسـهولة «و أعطيتهم الصّـحف، و فيها مقالات لمحمد على الطاهر و لمحى الدين العنسـى، و لوالدى المؤرخ زبارة، من بغداد (سنة ۱۳۵۴)، و أرسل إليهم هدايا كعنب و غيره، ثم كتبوا إلى الإمام يحيى إسـتعطافا و تنويها يرجون إطلاقهم فأجاب بخطه: أصـلح الله شأنكم، صدرت «التصـفية» للإمام يحيى بن حمزة فى علم الباطن انسخوها و طالعوها، لتصلح الباطن و الظاهر، ثم راجع لهم السيد قاسم العزى و القاضى راغب و غيرهما فأطلقوا».

المطاع مؤرخا

فى فترة مبكرة من حياته كتب الشهيد المطاع العديد من البحوث التاريخية، استطاع بهمته أن يوحّدها فى قالب عصرى متماسك شهد له فيه معاصروه فقال المؤرّخ زبارة:

«كتب نبذة تاريخية بعبارات شيقة».

و قد طالع كل ما وقعت عليه يده من كتابات تاريخية قديمة و حديثة، و استفاد من كتابات المتأخرين على وجه الخصوص فى معرفة المنهج التاريخى، فكان مؤرخنا صاحب هذا الشأن فى كتابة التاريخ اليمنى، إذ لم يعرف قبله سوى كتابات متأثرة بطرق القدامى من حيث سرد الحوادث و نقلها دون تمحيص أو تعليل، و قد شكا مؤرّخنا من هذه الظاهرة فى كتابات

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۴۲

الإسلاميين القدماء عموما، فقال فى سلسلة مقالاته فى مجلة الحكمة:

«و إنك لتجد كثيرا من المؤرخين و غيرهم يعتبرون المؤرخ كحاطب ليل، و منهم من جعل هذه الكلمة تكأة له فى سيره المغلوط، فاشبّهت عليه المخارج و الموالج، و اختلط لديه الحابل بالنابل، فجمع الغث و السّمين، و مزج الممكن بالمستحيل».

و ليس لنا من قول بعد ما كتبه مؤرخنا من شرح واضح لمنهجه العصرى فى كتابة التاريخ، و لعله من تحصيل الحاصل أن نقول أن مؤرخنا أسّس قواعد المنهج الحديث فى كتابة التاريخ عبر شتّى عصوره، لم يكتف فى ذلك بالنّظرية المجرّدة وحدها، و قد نشرها فى فصوله الممتعة على صفحات مجلة الحكمة. و أوردناها كمقدمة لتاريخه هذا، بل طبّق منهجه عمليّا بالتجرّد لكتابة التاريخ و الخوض فى غماره ناقلا و ناقدا أو محلّلا و مختبرا.

و على كثرة مطالعتى فى التراث اليمنى، لم أجد من المؤرخين اليمنيين من سبقه فى عمله هذا، سوى ما نجده عند المؤرخ الحسين بن عبد الرحمن الأهدل المتوفى سنة ۸۵۵ ه، الذى نقد بعض روايات الجندى و مجازفاته فى تلخيصه لكتاب السلوك، و لكن هذا النّقد لا يعدو أن يكون ملاحظات عابرة حول التراجم التى ضمّنها الجندى تاريخه.

و كان مؤرّخنا الشهيد المطاع قد استعمل مشرط النقد و التمحيص، فى كل مجالات التاريخ اليمنى، و لعله أول من تنبّه لهفوات المؤرخ عمارة و مبالغاته التاريخية التى كان لها الأثر السيىء على من جاء بعده، و نسمعه يقول- حينما يذكر عمارة فى تاريخه «المفيد» أن حسين بن سلامة بنى من صعدة إلى صنعاء فى كل مرحلة جامعا، إلى غير ذلك يقول «فيما ذكره عمارة مجازفة ظاهرة، فإن البلاد فى عصر الحسين بن سلامة كانت فى أعاصير هو جاء و زوابع غير مريحة، و على الخصوص بلاد الزيدية، و لم يكن له نفوذ ظاهر عليها، و هذه المبانى تتطلب الهدو طبعا، أضف إلى ذلك انا لم نجد فى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۴۳

كتب التاريخ التى بأيدينا ما يدل على حدوث ما ذكره عمارة فيما بين صنعاء و صعدة، و بين زبيد و صنعاء، و من البعيد أن تزول آثار هذه المبانى و تندرس من عرض البلاد و طولها، و لا يذكرها أحد بحرف، أو لا يعلمها إلّا عمارة، و عنه، نقل أكثر المؤرخين، و لكن على اسلوبهم المعهود من مجانبة النّقد و التمحيص، و تحكيم العقل».

بهذا المنهج الدّقيق سبر أغوار التاريخ و دسائس المؤرخين و مبالغاتهم، و ما أكثرها فى التاريخ اليمنى، و لنا فيما أورده من الإنتقادات الكثير من النّصوص و قد توزّعت عبر تاريخه الكبير هذا فى أكثر من موضع و حادثة، و هو يرى أسباب تضارب الأقوال فى الرّواية الواحدة إلى «اختلاف النقل ثم اختلاف كتب التاريخ، و قد يكون المصنّف واحدا و التصنيف واحدا و يختلف ما يوجد بإحدى النسخ عن الأخرى».

و لعل من أسباب المبالغة و الكذب فى تتبع الأخبار ان بعض المؤرخين لم ينظروا إلى التاريخ النّظرة التى يستحقها من اهتمام و عناية، و قد «دوّن القدماء كتب التاريخ للتّسلية و قتل الوقت، و قد شبّهوا المؤرخ بحاطب ليل، فجاءت غالب مدوّناتهم فى هذا الفن كثيرة

الأغلاط، ركيكة الأسلوب، طافحة بالمبالغة مملوءة بالمزاعم و الخرافات لا تسقط منها على حقيقة إلّا بعد إدماء الجفون، و تقريح المحاجر، و تقليب مئات الصّفحات و عشرات المجلّدات، و قد تخرج بعد العنا الشديد مضطرب الفكر حيرانا».

هذا ما أدركه مؤلفنا بعد معايشته التّامة لمصادر التاريخ و صعوباتها، و من ثم لم يكتب تاريخه لسرد الأحداث وحدها، و إنما جعله نقدا عاما لرواية التاريخ اليمنى التى وصلتنا من خلال مصادره، يقول بعد نقل عبارة للخزرجى فى العسجد المسبوك و أخرى ليحيى بن الحسين فى أنباء الزمن:

«و فيهما من الإضطراب ما لا يخفى و سيمر بك التفصيل لبقية الحوادث و منها تعلم انهما أرادا أن يختصرا فخلّط عليهما».

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۴۴

فمن أسباب رداءة الرواية عند مؤرخنا التّسرع فى النقل و اختصار العبائر دون فهم فحواها حقيقة.

و ربما استعمل مؤلفنا لمحاولة فهم الحقيقة كما وردت شتّى معارفه المتنوعة من تحليل منطقى، إلى معرفة جغرافية، إلى غير ذلك أنظر إليه ينتقد قول صاحب أنباء الزمن حول توارد الجيوش على الحبوض فى ظفار، و تجنيد الدّولة الرسولية طاقاتها لمحاربته «فاين نجد من تهامة، و العجب من صاحب أنباء الزمن كيف يقبل مثل هذه الرواية، و هو لم يحدثنا قط فيما كتبه، من أن نفوذ أمراء ظفار و قلاعهم كانت شحنت بها بلاد الجوف»

و يستعمل الأقيسة و البراهين التاريخية لنقد الحدث الواحد الذى لا يقبله الواقع، يقول فى إنتقاد قول صاحب انباء الزمن ان الطريق بين اليمن و البصرة انقطعت عن مرور التجار «و قد نقلنا عنه هذه الجملة التاريخية الجغرافية بالحرف الواحد و العهدة عليه، و سيأتى ما يدل على ان المواصلة بين اليمن و بغداد عن طريق البصرة و الجوف و أرض الحشرات و العقارب الناهشات، كانت مستمرّة يقطعها الواحد و الجماعة فمن ذلك إرسال الملك المظفر سفيره إلى بغداد عن طريق براقش سنة ۶۵۰ و المرة الثانية عند ما قتل الإمام أحمد بن الحسين سنة ۶۵۶ أزعج المظفر رسوله إلى بغداد بذلك النبا» الخ.

فهو هنا يستعمل فى نقده الوقائع التاريخية التى حدثت بالفعل معتمدا على تواريخ، و أقوال مضبوطة لمؤرّخين معروفين.

و ربما لا تسعفه المادة فى بعض الأحيان لنقد خبر واه، أو جملة جزافية، فنجده يوردها بصيغة تضعيف تجعله فى حلّ من تبعتها، كأن يقول: كذا قول فلان، أو: «و قد نقلنا هذه الجمل التاريخية بالحرف الواحد و العهدة عليه».

و قد يتبّه صراحة على الخطأ بعد إعمال الجهد فى تصحيحه، و التنقيب

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۴۵

عن مصادره فيقول: «اعتمدنا فى هذه الأنباء على رواية الخزرجى و فيها من الإضطراب ما لا يخفى، و قد راجعنا أنباء الزمن، و قرة العيون، و بغية المستفيد، و غيرها فوجدنا من الاختلاف ما تعذّر معه الوفاق و الملاءمة»

و من ثم يجد مؤرخنا نفسه أمام مسؤولية كبيرة فى تدوين التاريخ فلا ينساق إلى أقوال المؤرخين فى كتبهم كما ترد، و إنما يحلّل و يقيس، و قد وقف كثيرا عند قول صاحب البسامة فى غزو الإمام الناصر عدن فى القرن الثالث الهجرى يقول مؤلفنا: «و قد أطلنا البحث فى جميع المصادر الموجودة بأيدينا عما أشار إليه السيد صارم الدين بقوله عند ذكر الإمام الناصر فى البسامة:

و دوّخ اليمن الأقصى الى عدنمع الجبال كبغداد و كالشعر

فلم نجد تفاصيل هاتيك الملاحم ما يستحق التصدير

و يرى قصور المؤرخين القدماء عن سبر الأمور و كنه أغوارها من جميع الوجوه سببا فى البعد عن الحقيقة ففى الحديث عن ثورة أهل بحران يرى تأثير النّصارى الموجودين فيها خلال ذلك الوقت على تلك الحوادث أمرا لم يفطن إليه أحد يقول: «و لو أن قدماء المؤرّخين نظروا إلى الحوادث، نظر إستنتاج، و لاحظوا أحوال البيئة، و الوسط الذى عاشت فيه هذه الطائفة و الظروف الداخلية و الخارجية، التى كان لها أثرها فى تكوين طباعهم و تلوين مشاربهم لظهرت النتيجة معلنة بما كان لدعاة النصرانية من يد فى «تأريث

تلك النّار، و لكنهم اكتفوا بالنظر السّطحى فى تدوين الملاحم البشرية، و المعارك الدموية، فجاءت الثمرة ناقصة يعوزها النضوج».

و يتشعب البحث أمامه فى تتبع هفوات المؤرخين، و يعلل أسبابها إلى أمرين أدركهما من تتبعه الشّديد لطبيعة تلك الأخبار و الروايات و هما: «قوة الإيحاء و فعل المحاكاة» يقول عن بعضهم: «فقد تأثر بغلط غيره، و اندفع إلى متابعته بقوة الإيحاء، و فعل المحاكاة».

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۴۶

على أن من أهم أسلحة مؤرخنا فى تتبع تلك الأوهام و تصحيحها التّنبيه على حيدها عن الواقع و تتبع المصادر و نقل أقوالها المختلفة فى الحادثة الواحدة، ففى تعليل أسباب خروج الأيوبيين إلى اليمن و إرجاعه عند بعض المؤرخين إلى رسالة ابن النساخ إلى خليفة بغداد يقول شهيدنا المطاع

«و عندى انه من البعيد و عند كل من له أدنى معرفة بنزعات النفوس و اتجاهات من يحكم، و لا سيما تلك القرون و صدور مثل هذه التهديدات القاسية من رجل يطلب النّصرة و يرجو النّصفة، مع ما فيها من المدح و الإشادة و التنويه و التعظيم للإمام المنصور و عماله».

«و إنما نستبعد صدورها على ذلك الأسلوب من رجل لا- يملك إلّا ثورة نفسه، و قوة روحه و ما يضطرم بين جوانحه من براكين الحقد و الضغينة، على من جرّعه كأس التّنكيل المريرة، و هل من المعقول أن يحوّل جمر غضبه الماحق نحو خليفة بغداد الضعيف العاجز، هذا ما يلوح للناقد من جهة الأسلوب، و أما من الوجهة التاريخية فإنه لم ينقل أن الحكومة العباسية نهضت إلى اليمن فى ذلك التاريخ، و أنّى لها ذلك و الخليفة لا يملك أمر نفسه فضلا عن قصره و مدينته

و قد لا- يكتفى بمجرد التّنبيه اللفظى على شطط الخبر الموهوم، و إنما يقتله بحثا من خلال تتبع المصادر التى أوردت ذلك الخبر، و يبحث عنه فى مظانه الأصيلة، غير معتمد على قول واحد، أنظر إليه مثلا فى تتبع خبر وفاة منصور ابن حسن حيث تجده ينقل عن أنباء الزمن و سيرة الناصر، و قرة العيون، و اللآلىء المضيئة، و يقول فى نصّ قرة العيون حول هذه المسألة:

«و هو يخالف ما سبق فى ترجمة الناصر فى وقعة نغاش التى أباد بها القرامطة من ناحية مسور» فهو لم يكتف بتلك النصوص المستفيضة حول تلك المسألة، و إنما استعان فيها بقرائن تاريخية أخرى يعزّز بها قوله.

و يبلغ التحليل ذروته عند شهيدنا المطاع عند ما يستعين بالجانب النفسى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۴۷

لسبر غور الحادثة التاريخية أو النّص الأدبى كإيراده لشعر جياش فى نبذ الحلم بقوله:

إذا كان حلم المرء عون عدوهعليه فإن الجهل أنقى و أروح

و فى العفو ضعف و العقوبة قوةإذا كنت تعفو عن كفور و تصفح

نجده يربط هذا بعمل جياش المشين بقتل وزيره ابن خلف الذى شاركه محنته و هربه إلى الهند يقول:

«و كأنه و خزه الضمير و أنّبه الوجدان و أهاب به العدل و سمع صوت الحق يلومه، و يقبح فعله، لاذ بنزعات الطغاة، و شذوذ العتاة، فاستروح لكلمة الطاغية ابن الزّيات المأثورة، إذا قال له المعذّب: ارحمنى قال: الرّحمة خور فى الطبيعة، فرقص على ذلك الإيقاع و نظم الأبيات المتقدمة».

على أن أهم ما يشدّك فى الكتاب و يجذبك اليه هو حسن التناسق، و روعة التبويب، مع أنه ربط كتابه بطريقة الحوليات و ذلك لمنهج ارتضاه، حيث تتعدد الحوادث و تتشتّت اتجاهاتها، بحيث يتعذّر حصرها، و قد ألمّ بذلك فى اسلوب عصرى حديث يقرّب إليك النافر و يسهّل عليك الفهم، إسمعه و هو يحدّثنا عن انقراض الدولة الصليحية و موت ملكتها: «و بموتها انقرضت الحكومة الصليحية بعد أن حكمت قرابة قرن سخّرت البلاد لمصالحها، و تركت الأمة اليمنية تعيش فى جو مختنق و ميدان ضيق، رهن القواعد المرسومة و النّظريات المعلومة، من دعاة الإسماعيلية، و كانت الطبقة المسيطرة تتلعب بعقول العامة، و تستأثر بكل موارد العيش، و

مرافق الحياة .. و لذلك تفككت عرى القومية، و تلاشت العقلية و المنتجات الفنية.

و فقدت ملكة الإبداع و الابتكار».

و يتجلى فى أسلوب أديبنا فى أحيان كثيرة إشراقات أدبية رائعة، تحول النص التاريخى من سرد إجمالى مجرّد إلى قطعة أدبية فخمة، تجذبك إليها و تضطرّك إلى متابعة الحدث بتشوق و لهفة، اسمعه و هو يصف حالة ذى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۴۸

الشّرفين و هو محاصر، و قد عزم على المغامرة و المخاطرة لسحق الجند المحاصر له يقول: «و استمر الحال على ذلك خمسة أشهر بعد عزم المكرم، و بعدها رأى الأمير ذو الشرفين أن المآل سيىء و أن العاقبة و بيلة، لما رأى من نفاذ ما عنده من المأكول و المشروب، فعمد إلى محبرته، و كتب وصيته الأخيرة، و آل على نفسه أن يبذلها فى سبيل قتال الظالمين، ثم شحذ عزم أصحابه و حمّسهم و انحدر و قد وزّع أصحابه طوائف، و صبّح الجند المحاصر، و النوم ملابس جفونهم، فأوقع بهم و أثخن فيهم قتلا و غنيمة، و انقلب إلى المعقل بالغنائم الوفيرة، و نفائس الأسلاب الطريفة، و تناول قلمه و كتب هذه القصيدة:

ألا قل لربات الخدور الكواعب يقبلن أيدينا وحد القواضب

الخ».

و هكذا يستمر فى السرد، فلا تحسّ بنفسك إلّا و أنت تتابع أحداث قصة مشوقة زيّنها أسلوب كاتبنا الرّصين و طريقته البلاغية المتماسكة تجذبك إليها و تضطرك إلى متابعة الحدث.

و خذ أيضا هذه القطعة الأدبية من تعبير أديبنا:

«و التقى الجمعان فاقتتلا أياما و ثبت الفريقان يخطّان بدم القتلى صحيفة سوداء من أعجب ما سجّله طغيان القوة فى صحائف التاريخ».

و يقول فى موضع آخر بعد إقدام جياش على قتل الغز الواصلين إلى اليمن باستدعاء منه «فهلك أكثرهم و لم يخلص إلى زبيد منهم إلّا دون الألف فلم يطمئن فؤاد ذلك الأمير و ظلّ شبح الخوف منهم سمير أحلامه و هو اجس أمانيه رغما عن قلّتهم و أبت نوازع نفسه إلّا جعل تلك الأرواح ضحايا طغيانه فجهز» الخ.

و إليك نصّا آخر تستبين منه مقدرة الرجل على التعبير و ملكته فى الإنشاء

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۴۹

«لما قتل القائد سرور على الصفة المذكورة عظم الخطب و استيقظ الهول و نشبت الفتنة و اشتعل ولاة زبيد و أمراؤها بتنازع زهرة الحياة عن تدبير الملك و حياطته، فكانت الأحداث تتوالى و المصائب تتعاقب على ما حول زبيد، و من بها لاهون بشهوة الحكم و فتنة المال، و ذلك البلاء المبرم و الويل الرامل، و العدو اللّدود يحصى عليهم أنفاسهم، و يراقب حركاتهم و يستطلع أنباءهم حتى إذا غمرتهم الحيرة و أعماهم الهوى و حق عليهم القول، و آن أن يبتلعهم الفناء فى ظلمات مهاويه و ينظمهم التاريخ فى فجائعه و مآسيه، و ثب عليهم بجنود متعطشة» الخ.

إلى آخر تعابير المؤلف الفنية و قد طرّز بها كتابه و وشى بها عمله هذا، مما أضفى على التاريخ حلّة جديدة من التعبير الأدبى الذى أحيا به ما أندرس من رفات القوم و شخوصهم.

و لما كان مؤلفنا أديبّ النزعة شاعرى الهوى، كان له عناية أخرى من البحث، يفرد له زيادة ثانية فى الثقافة و هى عنايته بتاريخ الأدب و الحركة العلمية، أثناء سرده لحوادث التاريخ و مجرياته فهو ما يكاد يفرغ من الحديث عن الوقائع حتى يلم إلمامة سريعة بحياة الأدب و الشعر، و كأنه متأثر بمعاصريه من أعلام الأدب العربى فى مصر كطه حسين و أحمد أمين و غيرهما، مثال ذلك قوله بعد الفراغ من الحديث عن الدولة الرسولية و وقائعها: «يجب أن نشير إلى نبذة قصيرة من الشعر، لتكون مثالا للباحث فى الأدب اليمنى فى جميع أدواره، و قد أوردنا فى كل دور من الأدوار التى كتبنا عنها، أمثلة صالحة، لمناسبات مختلفة» الخ.

و كان معاصره الأستاذ عبد الله بن محسن العزب قد ألمّ بالتاريخ الأدبى فى الفصول المسلسلة على صفحات «الحكمة» فجاء مؤلفنا ليؤيد الخطوة و يعمّق البحث، و إن كان حديثه هنا إستطرادا عاجلا.

و لم يكتف بالجانب الأدبى وحده و النّظرة الثقافية العامة للتاريخ

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۵۰

اليمنى، و إنما ألحقه ببحث آخر أبدع فيه مؤلفنا أيما إبداع حيث تتجلى فيه شخصيته البارزة و ميوله المتحررة ذلك هو حديثه، عن جانب العمران و التطور الحضارى و قد أدرج خلال صفحات كتابه ملاحظات عابرة عن حياة الناس و العمران يقول فى أول الكتاب أثناء الحديث عن الدّولة الزيادية «دفنت القرون أخبار هذه الإمارة و لم يصل الينا من أخبارهم إلّا نتفا يسيرة و ذلك ما سطرناه و لعل القارىء يستنتج من أخبار الخراج و جمل الضّرائب بعض ما يريد عن الحركة العمرانية و سير التجارة، و سعة النّفوذ و لكن بصورة إجمالية، و بقدر ما فات المؤرخ من استيعاب المادة اللّازمة يضعف الإستنتاج و يتعذّر الحكم، و الذى يلوح لنا أنه كان بكل جهة من جهات القطر دار ضرب للنقود و شبه استقلال للولاة».

و يجعل للإستغلال و إيثار المصالح الخاصة دور هما البيّن فى سقوط العمران و تدهور البلاد. فهذه دولة آل الحجورى و قد انشغل الإخوة بينهم البين بالتقاتل على الملك كان «لروح الإستغلال و الإستيثار و ما كان لتعارض المصالح و المنافع من أثر فى العمران و السكان».

و هكذا يكون تدهور العمران عاملا لمؤثرات سياسية تنخر فى جسم التّقدم و الانفتاح و تحوزه عن الرخاء و الازدهار الحضارى، فهذه دولة بنى أيوب فى اليمن و قد أشادت الحضارات و الرقى فى مصر و الشام، تفشل فى إيجاد هذا الأمر فى اليمن، لأسباب يرجعها المؤلف إلى القسوة و الطيش فى سياسة النّاس، و عدم استعمال الرفق فى الرعية: «و ما رحبته اليمن ممن وصل إليها سوى العيث و الدمار، فأين الملك المعظم و مبّراته العلمية و مجمعه الذى أسسه لتأليف معجم اللغة العربية، من طيش الملك المسعود و بطشه، و غروره و فتكه بهذه البلاد، و أين الإحسان الصلاحى و مكارمه و رفقه، و حسن سيرته، من شدة طغتكين و ظلم عماله و تكالب الجميع على جمع الأموال و إرهاق الأمة».

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۵۱

و هكذا ينقد المؤلف و يقارن ببصيرة و ذكاء بين الحضارات المتفاوتة، و قد نعمت بعضها بأمن و سلام و ازدهار و أخرى بحروب و قلاقل و شقاء و ما ذاك إلّا ان اليمن منى بولاة جور طغاة.

و يدفعه استطراده هذا إلى أن يربط أسباب قيام الدّول و سقوطها بخصيّصة الرفق و اللّين، أو عكسهما من قبل بعض الحكام، فعند ما يأذن الله بزوال دولة يجعلها تجور على رعاياها، فيكون هذا الأمر عاملا فى سقوط تلك الدولة، فهذه دولة بنى رسول التى عرفت فى اليمن فى أول دورها باللّين و الرفق و التقدم العلمى و العمرانى تنقض غزلها فى آخر حياتها، و يميل ولاتها إلى البطش و العدوان يقول: «كيف لا و الحوادث تنطق بلسان فصيح، و تعلن لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد، إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فيها سمق دوح هذه الحكومة، ورقّ ظلّها و امتدت أشعة شمسها على روابى اليمن و بطاحه و سهوله، إبان مجدها و ميعة عظمتها و استقامة أخلاقها، و لكنها لم تثبت طويلا- تلك الأوصاف الجميلة بل أصيبت بالداء العضال و السّم الناقع فنخر سوس الفساد فى جرثومتها فشاخت و هرمت، و تداعى بنيان فخارها و انهار ركن مجدها، فكوّرت شمسها بمقدار ما لا بسها من المرض و الضعف، و ما زالت تكور حتى انزوت أشعتها الذابلة فى تعز و زبيد و ما جاورهما .. و ما ذاك إلا عقوبة البغى و تفرق الكلمة، و انقسام الوحدة و اتباع الهوى و الاسترسال فى القسوة و الإيغال فى الجور».

المؤرخ الثائر

و هـذا يجرنا إلى الحديث عن المطاع المصـلح الثائر، الذى ضـحّى بحياته و باع روحه رخيصة فى سبيل مبادئه الوطنية و تقدم شـعبه و بلاـده، و هو و إن عاش فى أبّان قوة الإمام وصولته، إلا أن هـذا لا يمنعه من أن يوجّه الانتقادات و يجعل من درس التاريـخ دروسا فى أخلاق السياسة و سلوك الحكام. للعظة و الإعتبار، فالتاريخ عنده ليس إلّا أخلاقا سياسية يجب أن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۵۲

يحتـذى بالصالـح منهـا و يبتعـد عن الطالـح منهـا «فجلال التاريـخ و علوّه إنما هما لما يسـتفيده الناظر فيه من آداب و أخلاق، و تعاليم سياسية، و عرفان بمبادىء الأمور و مصائرها و تطورها».

و فى غمار بحثه فى التاريخ يبحث عن موقع الأمّة و الشـعب فى خضم الأحداث العاتية، و سيطرة القوى على الضعيف، فالتاريخ اليمنى فى عمومه عبر متكررة من تلـك المآسـى الداميـة، و ها هو الشّـعب الـذى لا يملك من أمره شـيئا و قـد «تسـلطن الأتابك و تحكمت المرأة، و لكل واحـد من هؤلاء المتسـلطنين وجهـة هو موليها، فبعضـهم كان يرهق الأمـة باسـمه و بعضـهم باسم الخليفـة و آخر باسـم صاحب مصر الأيوبى، و هكذا دوائر الفوضى و أزمنة الإنحلال».

و بقدر ما نعم الملوك برغد العيش و سلطان الجاه ازداد الشعب بؤسا:

«و لاـ شـك أن إفتتانهم فى بناء القصور و مظاهر النعيم و وسائل الترف حمّل البلاد و الرعيـة أوزارا باهظـة، و أحمالا لا تطاق، و كلما انغمس الولاة فى البذخ و الترف انحسر ظلّ الحياة عن التاجر و الفلّاح و اقترب منهم شبح البؤس و الفاقة».

و هو لا يستغرب من شىء كاستغرابه من استكانة الأمة و سكوتها عن الظلم فيقول ثائرا و محرّضا:

«و من المؤسف و المخجل أن تعيش هـذه الجريمـة و يسـتمر ذلك العسف من ذلك التاريـخ إلى أيام الأشـرف و اغرب من كل هذا رضوخ الأمة و استسلامها و احتمالها لهذه الأوزار الباهضة»

و بعد تلك لمحة عابرة عن ثورة مؤلفنا فى كتابه هذا، و سنجده موضوعيّا فى كل ما خطّته يداه، و قد تحرّى الصّدق و الصّحة فى كل عصور التاريخ و أدواره، لا يمنعه هوى و لا يستشط به ميل عن قول الحق مهما كان

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۵۳

فهو دومـا يتحرّى الحقيقـة من مصادرهـا المتعـدّدة و لعلنـا سـنكبر المؤلف و نقـدر عمله إذا علمنـا أن كل مصادره التى رجع إليها فى التاريـخ كانت فى ذلك الوقت لا تزال مخطوطـة، و قـد لقى مشـقة فى حل طلاسـمها، و فك خطوطها حتى اننا نجـده يقول: «ما أكثر التصحيف و التحريف بل المسخ فى المصادر التى استقينا منها أخبار هذا القسم و لعمرى ان تفهّم القلم المسمارى و حل رموز المسند أقرب إلى الفهم من تحريف النّاسخ و سوء فهم الماسخ لتلك الأسفار»

و بقدر ما عانى المؤلف الشـهيد رحمه الله من مشـقة و جهد فى إخراج الكتاب فإن المحقق الخفير قد بذل طاقته و مسـتطاعه من نسخ دؤوب و تعليق و تحقيق آملا أن يكون خدمـة متواضـعة لتراث هـذا الرجل الوطنى العظيم و إفادة لأبناء الجيل الجديـد، الـذين وجدوا الأمور ممهّدة متيسرة.

و بالله التوفيق و عليه التكلان عبد الله محمد الحبشى.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۵۴

(تنبيه)

مـا كـان من هـوامش بخـط مؤلف الكتـاب العلامـة الشـهيد أحمـد بن أحمـد المطـاع رمز إليه ب «ص» أى فى أصـل المؤلف أو رمز للمصنف نفسه و ما كان للمحقق ترك بدون اشارة.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۵۵

أول المخطوطة بقلم مؤلفها العلامة الشهيد أحمد بن أحمد المطاع

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۵۶

نموذج من المخطوطة بقلم مؤلفها رحمه الله

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۵۷

(بنو زياد و أول من ملک منهم أسباب خروجهم اليمن و اختطاط مدينة زبيد)

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم و أعن يا كريم قال العلامة الخزرجى رحمه الله عن كتاب المفيد الكبير تأليف الملک ظهير الدين جيّاش بن نجاح الحبشى مما كان سنة تسع و تسعين و مائة أتى إلى المأمون العباسى بقوم انتسب أحدهم إلى تغلب بن وائل او بعضهم إلى سليمان بن هشام بن عبد الملک بن مروان، و بعضهم إلى يزيد بن معاوية فقال المأمون: أما الأمويان فيقتلان، و أما التغلبى فيعفى عنه رعاية لإسمه و إسم أبيه، و كان اسمه محمد بن هارون، فقال له محمد بن عبد الله بن زياد: و الله يا أمير المؤمنين ما نزعنا يدا عن طاعة، و ان كنت تقتلنا لجناية الأموية فيكم، فإن اللّه يقول «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ».

فاستحسن المأمون كلامه، فلما كان فى المحرم سنة ۲۰۲ ماءتين و اثنتين،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۵۸

ورد على المأمون كتاب عامله على اليمن، بخروج الأشاعر وعک عن الطاعة، و هم جلّ عرب تهامة فوجه المأمون محمد بن عبد الله بن زياد أميرا، و ارسل معه المروانى وزيرا، و التغلبى حاكما و مفتيا، و هو جدّ القضاة آل أبى عقامة قضاة زبيد، فخرجوا من بغداد فى الجيش الذى أنفذه المأمون لحرب ابراهيم بن المهدى فحج ابن زياد و من معه سنة ۲۰۳ و سار إلى اليمن، ففتح تهامة، و اختط مدينة زبيد فى شعبان سنة ۲۰۴ سنة أربع و مائتين و جرت بينه و بين عرب تهامة معارک هامية، كتب له فيها النصر فأذلّهم، و كان وزيره المروانى فضرب المثل فى الدهاء و الحزم، فكان يقال ابن زياد بجعذة قال عمارة: و إليه ينسب مخلاف جعفر و هو الذى اختط مدينة المديخرة بجبل التومان و قد غلّطه الجندى و قال: (ان الذى اختط مدينة المذيخرة الأمير جعفر بن ابراهيم بن ذى المنار المناخى، و إليه ينسب المخلاف و المناخيون ملوک ريمة و قياض و يعرفون فى عصرنا بسلاطين قياض) و كان المأمون قد عهد إلى ابن زياد بولاية البلاد التهامية، و ما استولى عليه من بلاد الجبال، و بادر ابن زياد بإرسال وزيره الأموى إلى بغداد بهدايا و تحف و أموال و فيرة إلى المأمون فى السنة الثانية من وصوله اليمن فحج الأموى و قصد بغداد بما حمله من اليمن، فسرّ المأمون بذلک و أعاده فى السنة السادسة، و أصحبه بألفى فارس فيهم من مسودة خراسان تسعمائة فارس

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۵۹

لإخضاع اليمن و بهذا الجيش غلظ أمر ابن زياد و اتسع ملكه و شمل نفوذه حضرموت و الشحر و مرباط و عدن و التهايم الى حلى بن يعقوب، و ملک من الجبال الجند و أعماله و مخلاف جعفر، و مخلاف المعافر و صنعاء و أعمالها و نجران و بيحان و الحجاز بأسره و قلد مولاه جعفر الجبال و اشترط على أهل تهامة ألّا يركبوا الخيل و لم يزل مواليا لبنى العباس يخطب لهم على المنابر و يحمل إليهم الأموال العظيمة و الهدايا النفيسة مالكا لليمن بأسرها إلى أن توفى سنة ۲۴۵ خمس و أربعين و مائتين.

و سنأتى على ذكر عمال حكومة بغداد على اليمن و تعدادهم تفصيلا فى السنين التى خرجوا فيها، و كان ينبغى ذكرهم تباعا من سنة ۲۰۶ و ما بعدها، و لكن حكومة بنى زياد ستتفرق أنباؤها، و يصعب على القارىء ضبطها، و ما عمدنا إلى هذا إلّا لما قرأنا فى كتب التاريخ اليمنية و غيرها، من أن بنى زياد ملكوا اليمن بأسره، و بعضهم يستثنى آخر أيام إسحق بن ابراهيم المعروف بأبى الجيش، و

يقول انه لما أسنّ و كبر ضعف عن إدارة الملك، و استخف به بعض ولاته، فتغلبوا عليه كما سيمر بك قريبا، و على كل تقدير فإنه لا يعقل ان ترسل حكومة بغداد عاملها على اليمن يجبى الأموال و ينفذ ما يريد، و يبطش بمن ناواه و جاذبه حبل سيادته، و ملك اليمن بأسره، و الحجاز بأسره كما زعم عمارة و الخزرجي و الجندى قابع قبوع القنفذ فى قريته التى عمرها على وادى زبيد، و الذى يلوح لنا من خلال الحوادث انه كان يمتد نفوذ بنى زياد على غير التهائم فى بعض الفترات، و قد جرى الأستاذ المعاصر الشيخ محمد الحضرى فى كتابه المحاضرات الإسلامية على منهاج المتقدّمين، كأبى الفدا و صبح الأعشى، و غيرهم، فزعم أن محمد بن عبد اللّه بن زياد صار باليمن كملك مستقل إلا انه كان يوالى بنى العباس.

و لما مات محمد بن زياد فى التاريخ المذكور قام بالأمر بعده ولده

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۶۰

ابراهيم بن محمد فقام بالأمر أتم قيام، و لم يزل مالكا لليمن سائرا سيرة حسنة إلى أن توفى سنة ۲۸۹. هكذا فى الخزرجي و قرة العيون و شرح البسامة «اللآلى المضيّة» للسيد أحمد بن محمد الشرفى و غيرها، و هو يخالف ما سيأتى فإن الروايات متضافرة، على أن ظهور الإمام الهادى إلى الحق سنة ۲۸۴ فى أيام أبى الجيش و قام بالأمر بعده ولده زياد بن ابراهيم بن محمد و لم تطل مدته قال الخزرجي: و لم أقف على تاريخ وفاته.

ابو الجيش اسحق بن ابراهيم

و بعد وفاة زياد المذكور قام أخوه اسحق بن ابراهيم بن زياد و يعرف بأبى الجيش فطالت مدته فى الملك و بلغ فيه نحوا من ثمانين سنة، فتشتّت عليه أطراف البلاد، و تغلب عليه كثير ممن كان تحت يده منهم صاحب صنعا اسعد بن ابى يعفر بن إبراهيم بن محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالى، و لكنه كان يخطب لأبى الجيش و يضرب الدراهم على اسمه و يستبد بحاصلات البلاد، فلم يكن يحمل لأبى الجيش شيئا. قال الخزرجي: و كان مبلغ إرتفاع أموال أسعد بن أبى يعفر لا يزيد عن أربعمائة ألف دينار فى السنة يصرف معظمها فى سبيل المروّة لوافديه و قاصديه.

و فى أيامه ظهر الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين و كان خروجه المرة الأولى سنة ۲۸۰، فوصل إلى الشرفة من بلاد نهم، و أقام بها مدّة،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۶۱

و عاد إلى بلاده بجبل الرس، و لكن اضطراب أحوال اليمن اضطر كثير من رجالها المفكرين و زعمائها النابهين إلى استدعائه و استقدامه مرّة أخرى، و فى مقدمتهم والى صنعاء و حاكمها ابو العتاهية مولى آل يعفر و سيأتى تفصيل ذلك.

و ممن امتنع على أبى الجيش و تنكر له من ولاة تهامة الأمير سليمان بن طرف صاحب عثر و مبلغ ارتفاعه فى السنة خمسمائة الف دينار عثرية، و كان مع إمتناعه عن الوصول إلى ابن زياد يخطب له و يضرب السكة باسمه، و لا يصل إليه، و بعد امتناع من امتنع بقى لأبى الجيش من البلاد من عدن إلى شرجه حرض نحوا من عشرين مرحلة طولا، و من غلافقة إلى أعمال صنعاء عرضا نحو خمس مراحل قال عمارة فى مفيده (رأيت مبلغ ارتفاع أعمال ابن زياد بعد تقاصرها و ذلك سنة ۳۶۶ ألف ألف دينار عثرية خارجا عن ضرائبه على مراكب الهند من الأعواد المختلفة و المسك و الكافور و النيل، و ما أشبه ذلك، و خارجا عن ضرائبه على جزيرة دهلك و هى خمسمائة وصيف و خمسمائة وصيفة من النوبة و الحبش. و خارجا عن ضرائب العنبر، فى السواحل من باب المندب إلى الشحر و خارجا عن ضرائبه على معادن اللؤلؤ) انتهى.

و فى أيام أبى الجيش ظهر الطاغية على بن الفضل القرمطى، و قيل انه هو الذى قتل الأمير المذكور و قيل بل هرب منه و مات سنة ۳۹۱ و قيل انه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۶۲

مات سنة ۳۷۱ و ليس بشيء لما سيأتى عند ذكر موت الحسين بن سلامة.

و بموت أبى الجيش طوى التاريخ صفحة آل زياد و تلونت صفحاته و تشعبت مناحيه، و انتقل الملك إلى عبيد آل زياد ثم إلى عبيد العبيد و قد دفنت القرون أخبار هذه الإمارة، و لم يصل إلينا من أخبارهم إلّا نتفا يسيرة، و ذلك ما سطرناه، و لعل القارىء يستنتج من أخبار الخراج و جمل الضرائب بعض ما يريد عن الحركة العمرانية و سير التجارة وسعة النفوذ، و لكن بصورة إجمالية، و بقدر ما فات المؤرخ من استيعاب المادة اللازمة يضعف الاستنتاج و يتعذر الحكم، و الذى يلوح لنا انه كان لكل جهة من جهات القطر دار ضرب للنقود و شبه استقلال للولاة كما ان سير الحوادث و أسلوبها، تؤيد نظرية القائلين باستقلال آل زياد لولا ما سيأتى، و كيف كان فإن أخبار هذه الحكومة أو الإمارة غامضة جدّا، و عسى أن نجد فى غير ما قد عثرنا عليه من المصادر ما يعين على البحث، و يلقى النور على ما تكاثفت عليه ظلمات القرون و اللّه أعلم.

ايام ابن أبى الجيش: هند بنت أبى الجيش: مولاهم رشيد الزمام مملوك رشيد الحسين بن سلامة

خلف أبو الجيش صبيّا اسمه عبد اللّه، و قيل زياد، و قيل ابراهيم فقام بكفالة الصبى المذكور هند بنت ابى الجيش و مملوك لأبى الجيش حبشى إسمه رشيد الزمام، و لكنها لم تطل أيام رشيد المذكور، و هلك من قريب، و كان له عبد نوبى إسمه الحسين بن سلامة نسبة إلى أمه، و كان حازما عفيفا مقداما حسن السيرة كبير النفس عالى الهمة قد علت منزلته و امتثلت أوامره،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۶۳

و اشفقت النفوس من هيبته فى حياة سيده ، لما عرف من نجابته و صرامته، و سداد طريقته، فكان هو المتولى لجميع شؤون سيده فلما مات سدّ مسده، و ذب عن ملك مواليه و وازى الصبى، و اخته، و ملك آل زياد يومئذ متضعضع الأركان ضعيف السلطان تتناشه سباع الأطماع، و تمزقه أيدى المتغلبين فى جميع البقاع فقام الحسين بن سلامة، و ابدى من المهارة فى علاج الدولة، ما يعجز عنه كبار الرجال، رغما على سواد لونه و يد النخاس التى عركت اذنه:

قد يدرك الشرف الفتى و لباسه‌خلىّ و جيب قميصه مرقوع

غزا المتغلبين من ولاة الأطراف، و نازل أرباب الحصون، حتى أتوه طائعين، و حملوا إليه الأتاوة مذعنين، و أعاد دولة آل زياد سيرتها الأولى، قال الخزرجى: و لم تبق دولة فى اليمن و لا حصن إلّا استولى عليه و استناب فيه من يرضاه .

و فى كلام الخزرجى تجوّز، أو مجازفة على الأصح، و الأرجح ما ذكره الديبع فى كتابه بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد عند ذكر الحسين بن سلامة قال: (و كانت دولتهم قد تضعضعت أطرافها و غلب ملوك الجبال على الحصون و المخاليف فحاربهم الحسين حتى رجع إليه غالب مملكة ابن زياد الأولى» .

و لم يزل الحسين بن سلامة فى الملك بالنيابة عن الطفل إلى أن توفى سنة ۴۰۲ و قيل ثلاث و اربعمائة.

و كان رحمه اللّه عادلا كريما، حسن السيرة طيب السريرة، كثير

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۶۴

المبرّات كلفا بالعمران، أختط مدينة الكدرا فى وادى مهام، و مدينة المعقر، على وادى ذؤال، و عمر الجوامع الكبار، و المنائر الطوال فى المدن، و حفر الآبار و القلب العادية، و عمل المصانع و بنى الأميال و الفراسخ و البرد فى الطرقات، من حضرموت إلى مكة نحو ستين مرحلة فى كل مرحلة جامع و مأذن و بئر، و جدّد عمارة جامع عدن و عمر مسجد الجند المشهور، و قال الخزرجى نقلا عن عمارة ما لفظه: و للحسين بن سلامة فى طريق مكة العليا عدّة مآثر، فيها جامع الجوه ثم مسجد الجند المذكور، ثم ذى اشرق، ثم إب، ثم النقيل، ثم ذمار، ثم ما بين ذمار و صنعاء مسافة خمسة أيام ، فى كل مرحلة منها بناء، ثم جامع صنعاء و هو جامع عظيم، ثم من

صنعاء إلى صعدة عشرة أيام، فى كل مرحلة من ذلك جامع ، ثم عقبة الطائف و هى مسيرة يوم للطالع من مكة و نصف يوم للهابط إلى مكة عمرها حسين بن سلامة عمارة متقنة يمشى فى عرضها ثلاثة أجمال بأحمالها، ثم أورد مآثره على طريقى تهامة الساحلية و الوسطا، و سور مدينة زبيد، و هو أول من سوّرها، و قد أطال المؤرخون فيه، حتى قال الخزرجى: و أخبار الحسين بن سلامة فى اليمن تستغرق مجلدا بل مجلدات: و كان ملكه نحوا من ثلاثين سنة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۶۵

و لا شك أنه من العظماء الذين أثبتوا نبوغهم و تفوقهم بالواقع الملموس، فإنه فتح المعاقل و ارشد الضلال، و أدى الأمانة لمواليه، و وفاء بالعهد، و نهض بمشروع الزعامة فظفر بغنيمة المسجد و الثناء الصالح.

و آثار الرجال إذا تناهتالى التاريخ خير الحاكمينا

و استأثر بغاية و أسما من كل غاية، فكان يعمل الخير للخير و يتعب نفسه ليسعد المجموع، و كان عصاميا، و لو لم يكن كذلك، لما قدر على إعادة ناموس الدولة الزيادية، بعد ذهابها و لما استطاع أن يقف فى وجوه كثير من المنازعين و المواثبين لتلك الدّولة التى شاخت و ذوى غصن مجدها، و انهار بنيان عظمتها و لم يبق لها من النفوذ و السطوة ما تحمى به حماها.

آخر طفل من بنى زياد مرجان العبد و احداثه

قال الخزرجى : و لما مات الحسين بن سلامة انتقل الملك إلى طفل آخر منهم قال عمارة أظن اسمه عبد الله فكفلته عمة له و عبد حبشى اسمه مرجان، و هو من عبيد الحسين بن سلامة فاستقرت الوزارة لمرجان، و كان لمرجان عبدان حبشيان ربّاهما صغارا، و ولاهما كبارا، و هما نفيس و نجاح، و كان نجاح يتولى أعمال الكدرا و المهجم و بيش و هذه الأعمال الأربعة جل الأعمال الشامية غير زبيد، و كان نفيس يتولى تدبير الحضرة، فوقع التنافس بين نفيس و نجاح عند مرجان على تدبير الحضرة و كان نفيس ظلوما غشوما فكانت القلوب تنفر عنه طبعا و تميل إلى نجاح لرفقه و رأفته و عدله غير أن مرجان مولا هما كان يميل إلى نفيس و يحبه، و كان ابن زياد و عمته يفضلان نجاحا على نفيس، فلما علم نفيس بميل ابن زياد و عمته إلى نجاح

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۶۶

و مكاتبتهما له شكاهما إلى سيده مرجان، فقبض مرجان عليهما و سلمهما إلى نفيس فأخذهما و عمر عليهما جدارا و هما قائمان يناشدانه الله عز و جل حتى ختمه عليهما، فكان آخر العهد بهما و ذلك سنة ۴۰۷ سبع و أربعمائة ، و هكذا ختمت الحكومة الزيادية بمأساة مريعة بعد أن حكمت زيادة عن قرنين فسبحان من يغيّر و لا يتغير:

و كان حصن و إن طالت اقامتهعلى دعائمه لا بد مهدوم

و كان نجاح يوم هذه المأساة غائبا بالأعمال الشامية، و كان هذا الولد و عمته آخر من ولى من آل زياد و مدّة ولايتهم مئتا سنة و ثلاث سنين من تأريخ اختطاط مدينة زبيد سنة ۲۰۴، و كان بنو زياد لما علموا باختلال الدولة العباسية من قتل المتوكل، و خلع المستعين تغلّبوا على ارتفاع اليمن، و ركبوا بالمظلة و ساسوا قلوب الرعية بإبقاء الخطبة لبنى العباس، و لم يزالوا على ذلك إلى التاريخ المذكور و اللّه أعلم.

قال الجندى: و ذكر المعلق أن الحسين بن سلامة توفى سنة ۳۰۴ بزيادة سنة على ما ذكره عمارة.

(و اعلم أن هذه الأخبار يدخلها الصّدق و الكذب و الزيادة و النقصان) و سبب ذلك اختلاف النقل، ثم اختلاف كتب التاريخ، قد يكون المصنف واحدا و التصيف واحدا، و يختلف ما يوجد باحدى النسخ عن الأخرى، و يعرف

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۶۷

ذلك العارف، فربما ينكر المنكر، ما نقلت عن المفيد و غيره و لا ينسب ذلك لقصوره على الاطلاع إلى كتب التاريخ و النظر فى

عدة نسخها، فقد تمحص لك ان ملك بنى زياد أستقل عن مواليهم من سنة ۲۰۳ إلى سنة ۳۷۱ مائة و ثمانية و ستون سنة (۱۶۸) و بالنيابة عنهم ثمانية و ثلاثون سنة ۳۸ لقيام ابن سلامة، ثم كانوا أعوانا لمواليهم متأدبين معهم، حتى كان من انيس المذكور سابقا ما قدمنا ذكره قال الديبع فى كتابه بغية المستفيد : و قد ضبط الجندى نفيسا هذا فجعله انيسا بفتح الهمزة و كسر النون و هو وهم فليتنبه له و اللّه أعلم.

انتقام نجاح و استيلاؤه على زبيد

و لما بلغ الخبر إلى نجاح استنفر الأحمر و الأسود لحرب نفيس و قتاله، و قصده إلى زبيد فى جموع عظيمة، و التحم القتال بينهما فى عدة وقائع، منها يوم رمع و يوم فشال و هما على نجاح و منها يوم القعدة و هو على نفيس، و منها يوم العرف ، و فيه قتل نفيس على باب زبيد بعد أن قتل من الفريقين زهاء خمسة آلاف رجل، و دخل نجاح زبيد و ملكها فى ذى القعدة سنة ۴۱۲، و قبض على مرجان مولاه و قال له ما فعلت مواليك و موالينا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۶۸

قال: هما فى هذا المكان، فاخرجهما نجاح، و جهزهما، و صلّى عليهما و جعل مرجان و جثة نفيس المقتول موضعهما، و عمر عليهما ذلك الجدار حتى ختمه جزاء وفاقا:

و نابش الموتى له ساعةتأخذه انبش من نبشه

و تم لنجاح ملك البلاد من التاريخ المذكور، و ركب بالمظلّة و ضرب الدراهم باسمه، و كاتب خليفة بغداد، و بذل له الطاعة و نعت بالمؤيد نصير الدين، و ضبط أمر التهائم، و خوطب بالملك و استمر كذلك، حتى سمّه على بن محمد الصليحى، على يد جارية أهداها إليه كما سيأتى ان شاء اللّه تعالى و فى أيام نجاح انتقضت معظم البلاد التى كانت خاضعة للحسين بن سلامة، و تغلب كل رئيس على ما تحت يده.

ذكر عمال بنى العباس على اليمن

لما كانت أخبار بنى زياد غير مرتبة على السنين اضطررنا إلى سرد اخبارهم على ذلك الأسلوب، و خالفنا المنهاج الذى رسمناه لأنفسنا فى كتابة هذا التاريخ، و ها نحن نعود إلى خطتنا الأولى و الله ولى التوفيق.

قال الخزرجى و غيره: و دخلت سنة ۲۰۶ فيها عزل الافريقى عن اليمن بنعيم بن الوضاح الأزدى، و المظفر بن يحيى الكندى اشتركا فى العمل، و قدما صنعاء فى صفر من السنة المذكورة، و سار المظفر إلى الجند، و أقام بها مدة يجبى مخاليفها ثم رجع إلى صنعاء و مات بها بعد أيام من رجوعه و صار الأمر جميعه لنعيم بن الوضاح، إلى أن عزل بمحمد بن عبد الله بن محرز مولى المأمون، فقدم اليمن سنة ۲۰۸ و أمر ابنا له يقال له ابو

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۶۹

الحميد يجبى الجند و كان فى ولايته ضعف فخرج نحو الحجاز و استخلف عباد بن عمر الشهابى، فقام بالأمر حتى قدم عليه عامل الخليفة اسحق بن العباس من ولد عبد الله بن عباس، و كان قدومه آخر رجب سنة ۲۰۹ فأساء السيرة و عسف الرعية، و ظهرت منه اخلاق منكرة غليظة. و نال من أهل اليمن كل منال، و تعصب عليهم تعصّبا لم يفعله أحد قبله، كان لا يسأل أحدا عن نسبه فينسب إلى حمير إلّا قتله، و لم يترك لهم ذكرا حتى أمر بقلع الخوخ الحميرى مما أسرف به فى التحامل عليهم.

و فى أيامه فى سنة ۲۱۶ كانت الزلزلة الشّديدة بصنعاء و عدن انهدمت منها المنازل، و خربت القرى و هلك عالم لا يحصى، و لم يزل هذا العامل يمرح فى طغيانه لا يخاف خليفة بغداد لبعده و لا غيره حتى هلك بهذا العام، و استخلف عند موته ولده يعقوب فلم تصف

له اليمن، و كان بينه و بين أهل صنعاء خلاف أفضى إلى قتال، قتل فيه جماعة من أهل صنعاء، ثم انهزم إلى ذمار، فعزله المأمون بعبد الله بن على بن عبد الله بن العباس، فقدم فى المحرم سنة ۲۱۷.

و لم يزل بها إلى أن مات المأمون سنة ۲۱۸ فلحق بالعراق و استخلف عباد بن عمر الشهابى، و لما ولى المعتصم أقر الشّهابى على عمله عدة سنين ، ثم عزله بعبد الرحيم بن جعفر بن سليمان الهاشمى، ثم عزله المعتصم بمولاه جعفر بن دينار و ذلك سنة ۲۲۵، فأرسل جعفر خليفة له يقال منصور بن عبد الرحيم التنوخى، فقدم اليمن فى صفر من السنة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۷۰

المذكورة، فضبط البلاد و وجّه العمال إلى المخاليف، و قدم عليه عبد الرحمن بن على بن عيسى بن ماهان، و قد أشرك معه فى العمل، فأقام مع منصور فى اليمن برهة، ثم عزل جعفر بن دينار بايتاخ التركى، مولى المعتصم، فأقر منصور، و عبد الله على عملهما فلم يزالا إلى أن مات المعتصم سنة ۲۲۷.

أول دولة الحواليين

لما تولى الخلافة الواثق بن المعتصم، أقر ايتاخ التركى على اليمن فوجه أبا العلاء العامرى، فلما وصل صعدة أرسل الأمير يعفر بن عبد الرحيم الحوالى غلامه طريف بن ثابت فى عسكر نحو صنعاء فخرج إليهم منصور بن عبد الرحيم فى أهل صنعاء فهزمهم و قتل من موالى آل يعفر بن عبد الرحيم نحوا من ألف رجل و أسروا آخرين، فضرب أعناقهم، و قدم أبو العلاء صنعاء بعد الوقعة فأقام بها حتى مات و استخلف أخاه عمر بن العلاء، فأقام بها مدة ثم ان ايتاخ استعمل على اليمن هرثمة، مولى المعتصم، فوصل فى آخر المحرم سنة ۲۳۰ ثلاثين و ماءتين، و مكث أياما ثم خرج لمحاربة الأمير يعفر بن عبد الرحيم، و هو بشبام، فحاربه أياما، و عاد إلى صنعاء ثم إن الواثق عزل ايتاخ عن اليمن و استعمل عليها جعفر بن دينار، فسار إلى اليمن و حاصر يعفر بن عبد الرحيم مدة بشبام، ثم كان الصلح بينهما، و عاد العامل إلى صنعاء فلبث فيها إلى أن توفى الواثق آخر ذى الحجة سنة ۲۳۰ .

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۷۱

و فى أنباء الزّمن ان الذى حارب يعفر بن عبد الرحيم هو هرثمة و انه بقى إلى أن مات الواثق سنة ۲۳۰، و قام بعده المتوكل فاستعمل على اليمن جعفر بن دينار، فأقام فيها أياما و استخلف ولده محمد، و خرج إلى العراق، فلم يزل ولده محمد على اليمن حتى قتل المتوكل و استمر على اليمن مدة المنتصر و المستعين و المهتدى إلى أيام المعتمد، فكتب الموفق و كان هو المتولى شؤون الخلافة إلى الأمير محمد بن يعفر الحوالى بولاية اليمن فوجّه عماله على المخاليف، و فتح حضرموت، و كانت قد تمنعت من قبل، قال الخزرجى: هذه رواية الشريف ادريس فى كتابه «كنز الأخبار»، و قال الجندى: لما مات الواثق و قام بالأمر بعده المتوكل أقر جعفر بن دينار على اليمن مدة، ثم عزله و استعمل حمير بن الحرث فلم يتم له الأمر مع الأمير يعفر بن عبد الرحيم و عاد حمير إلى العراق هاربا، و استولى يعفر بن عبد الرحيم على صنعاء و مخاليفها، و قتل المتوكل عقيب ذلك إلى أن قال و لما ولى الخلافة المعتمد على اللّه و استوثقت له البلاد، و امتدت أيامه، أخذ البيعة له فى اليمن الأمير محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالى، و تابع له الخطبة، فلما وصل خبره إلى المعتمد كتب إليه بنيابته على صنعاء و مخاليفها، فغلب على صنعاء و الجند و حضرموت و كان مع ذلك يوالى ابن زياد و يحمل إليه الخراج، و يظهر أنه نائب عنه لعجزه عن مقاومته، و كان وصول كتاب المعتمد سنة ۲۵۷ سبع و خمسين و مائتين، فأقام على عمله إلى سنة ۲۶۲، و عزم للحج و استخلف ابنه ابراهيم بن محمد.

و فى أيامه حصل فى صنعاء سيل عظيم و هو السيل الثانى فى الإسلام و أخرب دورا كثيرة.

قال الجندى : و فى سنة ۲۶۵ بنى الأمير محمد بن يعفر جامع صنعاء

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۷۲

على الحال الذى هو عليه الآن (فى القرن السابع)، و لم يزل ابراهيم بن محمد بن يعفر على ولايته الى سنة ۲۷۰، ثم أمره جدّه يعفر بن عبد الرحيم بقتل محمد بن يعفر و احمد بن يعفر فقتلا بعد المغرب، فى صومعة شبام فانتشرت على يعفر بن عبد الرحيم الأمور، و خالف عليه الفضل بن نفيس المرادى بالجوف و ولد طريف غلامه بيحصب ورعين و المكر مال ببيحان، و مالوا إلى جعفر بن احمد المناخى، فجهز لمحاربتهم ابراهيم بن محمد بن يعفر، فكانت الحرب بينهم سجالا و استعمل بن يعفر على الجوفين الدّعام بن ابراهيم، فتغير له الدعام، و نصب له الحرب فسار إليه عسكر ابراهيم بن محمد بن يعفر و التقوا بورود فهزمهم الدعام و قتل منهم كثيرا، و فى كفران الدعام لما أولاه هذا الأمير الحوالى يقول الشاعر:

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۷۳ و دعام جدّ أبناء يعفررفعوه فى عظيم المنزله

كان فى طوداتان ساكناصاحبا للفقر لا حيلة له

فحباه ملك ابنا يعفربهباة جمة متصله

ثم ولّاه بوادى غرقفغدا يعمل فيه عمله

ثم جازاه بأن خالفهمن تجرّى جر و سوء اكله

و قدم عهد يعفر بن ابراهيم بن محمد بن يعفر على صنعاء و مخاليفها من صاعد بن مخلد وزير المعتمد، فاعتزل ابراهيم بن محمد عن الإمارة و ولى ابراهيم بن عبد الرحيم فأقام بصنعاء مدة و استعمل على صنعاء ولاة كثرا، و كان أكثر مقامه بشبام، ثم اجتمع أهل صنعاء من الأبناء و غيرهم و الشهابيين على عمال ابى يعفر فقاتلوهم و اخرجوهم من صنعاء و نهبوا دار أبى يعفر و احرقوها، و لم يلبث ابو يعفر ان قتل بشبام آخر المحرم سنة ۲۷۷، فقام بالأمر بعده ابن عمه عبد القاهر بن احمد بن يعفر ايام حتى قدم من العراق احمد بن الحسين جفتم عاملا على صنعاء، و كان قدومه فى صفر سنة ۲۷۹، فقاتله الدّعام فى صنعاء فهزمه جفتم، و دخل عليه صنعاء و طرده عنها، و دامت صنعاء فى يد جفتم الى ان توفى المعتمد فى رجب سنة ۲۷۹، فقام بالخلافة المعتضد بن الموفق طلحة فأقر جفتم على ولايته بصنعاء فلم يزل بها إلى سنة ۲۸۲، و كان حازما شديد الحذر و لما عاد إلى العراق فى السنة المذكورة، و ثب الدّعام على صنعاء ثم هرب منها، و رجع الأمر الى بنى يعفر، و لم يزل إبراهيم بن يعفر على صنعاء و مخاليفها، و هو يهادن ابن زياد و لم تطل مدّته، و قام بعده إبنه أسعد بن ابى يعفر بن ابراهيم بن محمد يعفر بن عبد الرحيم، و فى أيامه ظهرت القرامطة فخرج قوم من اليمن إلى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۷۴

جبل الرّس بالمدينة فقدم مولانا الإمام الهادى إلى الحق عليه السلام .

ظهور الدولة العلوية الإمام الهادى نسبه و مناقبه آثاره العلمية فتوحه و حروبه

مؤسس الدولة العلوية الامام المجتهد المطلق الهادى الى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب عليهم السلام قال فيه الفقيه حميد الشهيد رحمه الله فى كتابه الحدائق الوردية بعد ان ذكر صفاته و نعوته (فضله عليه السلام لا يخفى و نور مجده لا يطفى، و ظهور حاله يغنى عن ذكر محاسن خلاله، إلّا انا نذكر من أحواله طرفا، رعاية لحقه الواجب، و هو الذى فقأ عين الضّلال، و أجرى معين العلم السّلسال، و ضارب عن الدين كافة الجاحدين، حتى عرف الله من أنكره، و مناقبه أكبر من أن تنظم فى سلك المدائح، و قد روينا عن بعض علمائنا رحمهم الله عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم، أنه قال يخرج من هذا النّهج و أشار بيده إلى اليمن رجل من ولدى اسمه يحيى الهادى يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، يحيى الله به الحق و يميت به الباطل: فكان عليه السلام هو الذى نشر الاسلام فى أرض اليمن بعد أن كانت ظلمات الكفر فيه متراكمة، و موجات الالحاد متلاطمة، حتى انهل من نحورهم الأسل الناهلة، و أنقع من هامهم السيوف الضامية فانتعش الحق بعد عثاره، و علا

بحميد سعيه مناره فسلام الله على شخصه الكريم)

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۷۵

و قال فيه السيد صارم الدين الوزير فى بسامته

و فى إمام الهدى الهادى المتوج‌بالعليا اكرم داع من بنى مضر

من خص بالجفر من أبناء فاطمةو ذى الفقار و من اروى ظما الفقر

و صاحب المذهب المذكور فى اليمن‌المشهور من غير لا إفك و لا نكر

و منها فى ذكر و قائعه عليه السلام:

و فى ابن فضل و من لبى لدعوتهو فى مسودة تدعو إلى سقر

قضت بتسع مع التسعين معركةغر كبدر و أوطاس و كالنهر

قضى بها نحبه صيد غطارفهمضوا و أشياع صدق من بنى الطبر

سائل شباما و صنعاء و صعدةمع نجران منه و سفح القاع من عصر

و سل بنى يعفر عنه و كندتهمو غلب همدان و الأخلاف من مضر

تخبرك عن ضربات منه قاطعةقدت دروعا و أودت كل ذى صعر

ذو الفقار سيف امير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام خرج بعد الإمام الهادى إلى اليمن و تقدم الكلام على ذى الفقار عند كلامنا على صمصامة عمرو بن معدى كرب الزّبيدى و الجفر جلد ثور صغير مكتوب فيه علم ما سيقع لأهل البيت عليهم السلام مروى عن جعفر الصادق قال أبو العلاء المعرى:

لقد عجبوا لأهل البيت لماأتاهم علمهم فى سك جفر

و مرآة المنجم و هى صغرى‌أرته كل غامرة و قفر

كان خروج الإمام الهادى عليه السلام إلى اليمن المرة الأولى سنة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۷۶

۲۸۰ فوصل إلى الشرفة قرب صنعاء و مكث بها مدة، اشتغل فيها بنشر مبادىء الإصلاح و تهذيب العقول، و لكن الأمة كانت اذ ذاك فى سبات عميق و جمود جاف، و غفلة سادت على العقول و استولت على الأفكار، فمنعتها عن التفكير فى الوسائل المخلصة من آفات المقاصد الذّاتية و المطامع الشخصية، فساءه ما عرف من خراب فى الذّمم، و فساد فى الضمائر، و تيقن ان الاصلاح لا يستسيغونه بحال و ما لبث أن غادر إلى بلده بالحجاز و بقيت الأمة ترزح بأصارها و تنوء بأعبائها و شملها ما لا يطاق من البلاء و الأرزاء و الفتن العمياء، و الغارات الشعواء كف تقصيرهم و معاندتهم للحق و أهله، و لما اشتد بهم الحال و أضربهم البلاء كتبوا إلى الإمام الهادى يسألون النهوض اليهم، و يعلمونه بتوبتهم و رجوعهم إلى الله من خطاياهم، و عند ذلك رأى من الواجب عليه تلبية دعوة أهل اليمن و امتشاق الحسام لإصلاح الفاسد، و تقويم مناد المعاند، و احياء ما اندرس من معالم الدين و نصر شريعة سيد المرسلين و اقتحام الغمرات فى سبيل ذلك:

فالحق أخفى ما يكون مجرّداو تراه أوضح ما يكون مدرعا

و لم يحفل بما كان من تقصير اليمنيين و خذلانهم، و لا بالى بما أمامه من العقبات، بوجود الطامحين إلى السيادة من أهل اليمن و المتغلبين من غيرهم، واثقا بنفسه معتمدا على ربّه، لا يثنيه عن و ثبته العلوية، طول المدى و وعورة الطريق غايته احدى الحسنيين الفوز أو الشهادة و لسان الحال منه تنشد:

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۷۷ سأحمل اعباء الخطوب فطالماتماشت على الاين الجمال القناعس

و انتظر العقبى و ان بعد المدىو ارقب ضوء الفجر و الليل دامس

و انى لأقرى النائبات عزائماتروض أبى الدهر و الدهر شامس

و احقر دنيا تسترق لها الطلامطامح لحظى دونها متشاوس

تجافيت عنها و هى خود غريرةفهل ابتغيها و هى شمطاء عابس

ولى مقلة وحشية لا يروقهانفائس تحويها نفوس خسائس

قال مصنف سيرته السيد على بن محمد بن عبيد الله العباسى رحمه الله: سمعت منه عليه السلام ما لا أحصيه إذا اجتمع عنده الناس يقول:

(و الله لإن أطعتمونى لا فقدتم من رسول الله صلى الله عليه و سلم إلّا شخصه إن شاء الله). قال و سمعته ليلة و هو يقول: (و الله لوددت ان الله أصلح الاسلام [بى] و ان يدى معلقة بالثريا، ثم أهوى إلى الأرض فلا أصل إلا قطعا) قال و سمعته يوما يحلف بالله مجتهدا و يقول: (لوددت أن صلح أمر هذه الأمة و انى جعت يومين و شبعت يوما) و كان أيضا يتمنّى لو أن معه خمسمائة رجل ليدوس بهم اليمن ، و مناقب هذا الإمام و آثاره و ما خلّده فى اليمن أجل من أن تحصر، و قد أورد مصنف سيرته و غيره فى فضله و مناقبه آثارا عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم منها قوله: يخرج من هذا النهج، و أشار بيده إلى اليمن الخبر المتقدم، عن الفقيه حميد الشهيد، و عن على عليه السلام قال رسول الله (ص) يخرج رجل من عترتى اسمه اسم نبى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا يميز بين الحق و الباطل،، انتظروه فى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۷۸

الأربع و الثمانين و مائتين، فى أول سنة واردة، و أخرى صادرة قال كاتب سيرته، و كذلك كان فاسمه اسم يحيى بن زكريا، و طار علمه صلوات الله عليه فى الآفاق حتى صارت أقواله فى أقصى بلاد العجم، يأنسون بها أكثر من بلاد اليمن، و عليها يعتمدون و بها يفتون و يقضون، و فى الحدائق الورديّة روى السيد ابو طالب باسناده عن المرتضى محمد بن الهادى عليهما السلام قال: ان يحيى بن الحسين بلغ من العلم مبلغا يختار عنده و يصنف، و له سبع عشرة سنة و هذه من عجائب الرّوايات التى تضمنت خرق العادات، و لا عجب ممن كانت أعراقه تنتهى إلى الذروة العالية النبوية، أن يبلغ هذا الكمال، و يفوز بمحاسن الخلال، و قد قال صلى الله عليه و سلم:

اللهم اجعل العلم و الفقه فى عقبى و عقب عقبى و زرعى، و زرع زرعى فتناوله هذا الدعاء الشريف الموثوق باجابته فارتوى من سلسال العلم المعين، و تفيأ ظلال العرفان، حتى تفجر العلم من جوانبه، و نطق من الحكم بغرائبه و صنف التصانيف الفائقة، و الكتب البديعة الرائقة، نحو كتاب الأحكام، و هو مجلدان فى الفقه، متضمنا تفصيل الأدلّة من الآثار و السنن النبوية،، و الأقيسة القوية ، ما يشهد له بالنظر الصائب و الفكر الثاقب و منها كتاب المنتخب فى الفقه أيضا، و هو من جلائل الكتب، و فيه فقه واسع و علم رائع، و منها كتاب الفنون فى الفقه، مهذب ملخص، و كتاب المسائل، و مسائل محمد بن سعيد، و كتاب الرضاع، و كتاب الزراعة، و كتاب أمهات

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۷۹

الأولاد، و كتاب الولاء، و كتاب القياس، و منها فى التوحيد كتب جليلة القدر، نحو كتاب التوحيد، و كتاب المسترشد، و كتاب الرد على أهل الزيغ، و كتاب الإرادة و المشبه، و منها كتاب الرد على ابن الحنفية فى الكلام على الجبرية، و فيه من الأدلة القاطعة، و الإلزامات النافعة ما يقضى بأنه السّابق فى الميدان المبرز على الأقران، و كتاب بوار القرامطة، و كتاب أصول الدين، و كتاب الامامة و إثبات النبوءة، و الوصية، و كتاب الرد على الامامية و كتاب البالغ المدرك و هو قطعة لطيفة فيها كلام كأنّه الروض ملاحة و نظارة و السحر لطافة، و دقة، و كتاب المنزلة بين المنزلتين، و منها كتاب الديانة، و كتاب الخشية، و كتاب تفسير خطايا الأنبياء، و كتاب الرّد

على ابن جرير، و كتاب تفسير ستة أجزاء، و معانى القرآن تسعة أجزاء و كتاب الفوائد جزءان ، و كتب سوى ذلك كثيرة ما تقرب من عشرين كتابا تركناها، و هى ظاهرة مشهورة قد شحنت من مسائل العلم و دور الفهم ما يشهد بأنه عليه السلام فى العلم القمر الباهر، و البحر الزاخر) انتهى

و فيما أوردناه من أسماء الكتب التى ألّفها هذا الإمام العظيم دلالة كافية على تفنّنه فى العلوم و استبحاره فى المعارف مع صفاء نفس و حس مرهف و قريحة خصبة مواتية أضف إلى ذلك ما كان عليه من لين الكف و كثرة الإحتمال و الزهد و الورع و لعلماء الزيدية اعتماد عظيم على مؤلفاته و آرائه، و إليه تنسب الهدوية مذهبها.

خبر صلح الإمام بين قبائل صعدة و عزمه إلى نجران

كان خروج الإمام الهادى إلى صعدة فى شهر صفر سنة ۲۸۴ و كانت بين أهل صعدة و قبائل سعد و ربيعة من قبائل تلك الجهات حروب مستعرة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۸۰

و غارات مدمرة، قد عظم أمرها، و استحكمت أحقادها و طال أمدها، فاضطرب حبل الأمن، و اجدبت البلاد، و تقطعت السّبل و غلت الأسعار و هلكت المواشى:

رمى الدهر أهليها بحرب و لم يردبها الشر لكن الحروب هى الشر

فلما وصل الإمام الهادى إليهم، لم يدخل البلد حتى قطع دابر الفتنة، و أصلح بين الفئتين، فأنزل الله عليهم السماء مدرارا، و اخصبت أرضهم و صلحت ثمارهم، و رخصت أسعارهم، و امنوا فى طرقهم، بعد الذى كانوا فيه من الجدب و القحط و الخوف و العداء المستحكم، قال كاتب سيرته:

و لقد أخبرنى بعضهم، أن قائدا لآل يعفر كان معه ألوف من العسكر أتاهم، فأراد الصّلح فيما بينهم، و انهم يقتتلون، و هو واقف ماله فيهم حيلة، حتى وقع بينهم عشرون قتيلا ما استوى له صلح بينهم) .

و لما دخل الإمام صعدة، كتب إلى عموم أهل اليمن يدعوهم إلى الجهاد، و أرسل عماله على المخاليف، و كتب لهم العهود، و أوصاهم بتقوى الله و العدل و الرفق، و حسن السّيرة، و أقام كذلك أربعة أشهر، و كتب أهل اليمن تتوارد عليه، و وصل إليه أهل نجران يطلبون خروجه إلى بلدهم، و كان الوافد عليه منهم قبيلة شاكر و ثقيف و وادعة و الأحلاف و جماعة من بنى الحارث ، فأجابهم الإمام و خرج من صعدة آخر يوم من جمادى الأولى من السنة المذكورة، فدخل نجران و أقام فيها العدل و أصلح أمورها

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۸۱

و نظم الأحوال، و كان قد لفت نظره كثرة ما يملك أهل الذمة من الأراضى و المزارع، وسعة ثروتهم، فخشى أن يستفحل أمرهم، و ينتقل ما بأيدى المسلمين من المزارع و النخيل إليهم، لثروتهم، فرأى أن يضع حدّا لهذا، و لاحظ فى ذلك مراعاة حقوق الفقراء و المساكين من أهل البلد، الذين حرموا بسبب انتقال الأموال من المسلمين إلى الذّميين، جانبا كبيرا، من واجبات هذه الأموال كما صرّح به الإمام فى كتاب صلحه المشهور ، مع أهل الذمة بنجران فيما يجب عليهم من الخراج و الجزية، و هو كتاب طويل مشهور صالحهم فيه على التسع فيما يسقى سيحا ، أو بماء السماء و نصف التسع فيما يسقى بالدّوالى و الخطارات إلى آخره.

عزم الإمام إلى و شحة ثم إلى برط

مكث الإمام بنجران إلى شهر رمضان من تلك السنة ثم رجع إلى صعدة و استخلف على نجران أحمد بن محمد بن عبيد الله العلوى من ولد العباس بن على بن أبى طالب عليه السلام، فلم يلبث بصعدة إلّا قليلا، و عزم إلى و شحة فأصلحها، و ضبط أمورها، و خلف بها

محمد بن عبيد الله العلوى، و عاد إلى صعدة، و منها عزم لإصلاح أحوال أهل برط ، و كان قد أرسل

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۸۲

عامله جبل برط قبل مسيره إلى نجران، فلما وصل عامله إلى برط، تمنع عليه بعض أهل برط و منعوه من صلاة الجمعة، فكتب بذلك إلى الإمام، فما كان بأسرع من خروجه إليهم، و لما وصل أسفل الجبل أرادوا منعه عن توغل الجبل، فنصحهم، و حذّرهم فلم يلتفتوا إلى نصحه، فلم يتمهل أن طلع و استولى عليه، فبقى به مدّة، حتى أصلح الفاسد و قوّم المائل، و أرشد الجاهل فسمعوا له و أطاعوا، و استعمل عليهم رجلا يقال له عبد العزيز بن مروان، و ذلك لآخر يوم من صفر سنة ۲۸۵، و عاد إلى صعدة فأقام بها شهر ربيع الأول و بعض أيام من ربيع الثانى

خلاف أبو دغيش الشهابى

فى شهر ربيع الثانى من السنة المذكورة، ورد على الإمام من عامله بوشحة، محمد بن عبيد الله كتاب فيه: أن أبا دغيش الشهابى جمع جموعا كثيرة من الرّجال و منع الصدقة، و أنه قد اشتبك معه فى حرب على ذلك، فبادر الإمام الهادى بالخروج من صعدة و عسكر بقرية يقال لها البقعة بالقرب من صعدة، ثم وجّه إلى أبى دغيش رجالا يدعونه إلى الله، و يسألونه الدخول فى الحق و الرّجوع إليه، فأبى، و تمنع و كان الإمام الهادى عليه السلام، لا يحارب قوما حتى ينذرهم و يحذرهم، و يدعوهم إلى الحق فإن رجعوا، و إلّا قاتلهم متحرّيا العدل فى كل أحواله، مقتفيا سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه، و له فى ذلك كلمات مأثورة منها قوله: (إن هى إلّا سيرة على و إلّا فالنار) و لما عرف من أبى دغيش الإصرار، و عدم الإنقياد وجه أخاه عبد الله بن الحسين فى عسكر جرار لتأديب ذلك الثائر :

نادى إلى الحسنى فلما أعرضواو استكبروا شرع الرماح فأسمعا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۸۳ و الحق أعزل لا يروع فإن بدامستلئما لاقى الطغاة فروّعا

فسار الجيش مع أميرهم، حتى نزلوا و شحة و بعد الانذار منهم ثانيا و الدّعوة لأولئك العصاة خرج عبد الله بن الحسين مع عامل و شحة إلى عفادة قرية أبى دغيش المذكور، فنشب القتال بينهم و كانت الدائرة على أبى دغيش و أصحابه، و انهزموا هزيمة منكرة، فدخل الجيش قرية عفاده و ملكوها و أحرقوا منازل المقاتلين و مكثوا بها مدة لإصلاح أمورها، و أعطى عبد الله بن الحسين، أهل القرية، و بعض المستأمنين من المحاربين ربع أموال الصدقة، و نصف سدسها، عوضا عما أخذ عليهم، و استحلهم من معرة الجيش.

ثم عاد أبو جعفر محمد بن عبيد الله إلى وشحة و أخو الإمام إلى صعدة.

و فى هذه السنة أيضا خرج الإمام إلى نجران مرة ثانية، و ذلك انه خرج بعض عمال الصّدقة بمال الصّدقة، حتى بلغوا موضع الرّكب فى طريق نجران، فتلقّاهم رجل يقال له خبيش بن وادعة، فى جماعة من أصحابه، فأخذوا المال، و قتلوا رجلا كان مع العمال، فلما بلغ الإمام هذا الحادث، خفّ لتأديب المتمردين، و نزل بقرية شوكان من قرى نجران، و فى قرية المفسد خبيش المذكور، و كان قد فرّ منها و له فيها أموال و أعناب و نخيل، فأمر الإمام بقطع نخيله و أعنابه، و هدم منزله و راسله ليردّ المال المنهوب، و يرجع إلى الحق فعاند و استكبر، و جمع لصوص البادية و عزم على الفساد، و قطع الطريق، و لما بلغ الإمام ما اعتزم عليه من العبث و الفساد دعا عليه فأهلكه الله و أراح من شره.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۸۴

الدعام و كتبه إلى الامام، انتقال الإمام إلى خيوان و أثافت خبر الصلح و غدر أرحب بن الدعام

و فى هذه السنة وصلت كتب الدّعام بن إبراهيم إلى الامام الهادى، يستمد منه الولاية على ما تحت يده من البلاد، فأجابه الإمام إلى ما

طلب و شرط عليه الطاعة و العمل بالكتاب و السنة، و كان الدّعام من الولاة المتغلبين الذين لا يتقيدون بنظام سوى نظام الاستغلال و الاستئثار و لا يخضعون لغير قانون الارادة المطلقة، و قد ذكرنا بعض أحداثه و أخباره فى أيام يعفر بن عبد الرحيم الحوالى، و ما بعده، فلم يوافقه ما شرط الإمام، و تعبت الرسل بينهما على غير طائل، و كان الإمام أثناء هذه المراسلة بنجران، فخرج منه فى خلق كثير، و قصد خيوان فدخلها و اصلح أمورها و فرح به الناس و اطمأنوا إليه فمكث بخيوان زهاء ثلاثة أشهر، ثم انتقل إلى بطنة حجور، و لما قرب من البلد استقبله السّكان بالسمع و الطاعة، و جاؤوا إليه يهرعون بالعلف و ما يحتاجه الجيش، فأبى عليهم ذلك، و لم يقبل لأحد منهم علفا و لا غيره، و بعد ثلاثة أيام انتقل إلى قرية يقال لها الحضن لقوم من همدان فأصلح أمورها و انتقل منها إلى أثافت ، فصلى بها الجمعة و دعا الناس إلى البيعة، فبايعه بشر كثير، و بالقرب من اثافت محل يقال له بيت زود فى يد الدعام فوصل أهل هذا المحل، فيمن وصل إلى الإمام و استغاثوا به من الدعام و جنوده، فبعث معهم الإمام رجلا من بنى عمه واليا عليهم من قبله، فلما وصل عامله إلى بيت زود، خرج من كان فيه من ولاة الدعام، فأمر بالمعروف و نهى عن المنكر و نفى الفواحش.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۸۵

ثم كتب الإمام إلى صعصعة بن جعفر صاحب ريدة فأجاب بالسمع و الطاعة، فوجه إليه الإمام نفرا من همدان لضبط البلد، و إخراج من فيه من ولاة الدّعام، ثم ان الدعام جمع جموعه و نهض يريد البون فبلغ الإمام، و كان قد انتقل من أثافت إلى خيوان، فخرج من خيوان إلى بيت زود، و نزل الدعام بحمدة من قرى البون، فصار الإمام بعسكره إلى موضع يعرف بنجد الطين ، و هنالك أمر بتعبية أصحابه، و لما رآه الدعام كذلك عبأ عسكره، و قبل أن يلتحم القتال، بين الفريقين أرسل الإمام رسولا إلى الدعام، و قال له: يقول لك الهادى لا- تقتل العرب فيما بيننا و ابرز إلىّ، و يتوقف الناس حتى أقاتلك، فإن قتلتنى استرحت منى و إن قتلتك استراح منك أهل الإسلام، فلما وصل الرّجل الدّعام و اخبره بمقالة الإمام رد ردّا جميلا و قال انه لا يريد الحرب، فأعاد إليه الإمام رسولا يعظه و يوقفه على ما هو فيه من الضلال، و دامت الرسل بينهما تختلف إلى ان انتهت بالصّلح، و دخول الدّعام فى عداد الخاضعين لراية الإمام، و حلف له على السمع و الطاعة، و اختلط العسكران ، و عاد الإمام إلى بيت زود و سار الدّعام إلى حمدة فأقاما ثلاثة أيام، و الرسل بينهما تختلف لتقرير مواد الصلح، و فى اليوم الرّابع أغار أرحب بن الدّعام على أثافت بقوم من همدان يقال لهم بنو سليمان كانوا بطانة أرحب المذكور، و قد ساءهم الصلح فزيّنوا له الغدر و نكث العهود و جرّءوه على قتل عامل الإمام و اظهار الفساد:

و من يكن الغراب له دليلايمر به على جيف الكلاب

و لما بلغ الدّعام الخبر اغتم، و انتقل إلى ورور، ثم لحق باثافت، و ما

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۸۶

كاد نبأ الحادث يتّصل بالإمام حتى خرج من موضعه إلى موضع يقال له مشوط لبنى ربيعة، و ذلك آخر يوم من رمضان، و أرسل الصوارخ فى الناس، فاجتمعوا إليه لثلاث خلون من شوال، و أجمع أمرهم على منازلة الدعام و محاربته ليذوق و بال أمره (وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) فصار الإمام الهادى بجموعه إلى اثافت و جرت بينه و بين أصحاب الدّعام معركة حامية الوطيس، ثبت فيها الإمام ثبات الأطواد الشوامخ، و أظهر من شجاعته و اقدامه ما حير الكماة، و قهر الأبطال قال مصنف سيرته حدثنى سعيد بن ابى سورة و هو مع الدّعام و كان من فرسان اليمن المعدودة، قال انتخبت من عسكر الدعام ثلاثين فارسا من الرّجال أهل البأس و قد مارست الشجعان فما رأيت مثل وقوف الهادى إلى الحق و قلة مبالاته بنا: و دامت المعركة سحابة ذلك اليوم، إلى أن حجز اللّيل بين الفريقين فانصرف كل فريق إلى معسكره، و ظل جيش الإمام يراوح من باثافت القتال و يغاديهم حتى سئموا و ملّوا و اضناهم الحصار، و البرد و انقطاع المدد فخرج الدّعام متسلّلا منها إلى خيوان لأربع بقين من ذى القعدة و هو يدعو بالويل و الثبور على من الجأه لحرب الإمام (على نفسه يجنى الجهول و يجرم) و للّه القائل:

لا تنبش الشر فتبلى بهفقلما تسلم من نبشه

إذا طغى الكبش بلحم الكلى‌ادرج لحم الكبش فى كرشه

و قد كان بعض أهل خيوان يكاتبه و يسأله المصير إليهم رغبة فى إثارة الفتنة، و إضرام نيران الخلاف، و لما خرج الدّعام من أثافت، بادر بعض جند الإمام، و دخل القرية و نهب ما بقى فيها و الإمام لم يزل بعسكره، و لما بلغه خبر النهب و الاحتلال اغتم غمّا شديدا و قال: (لو لا انى اخاف ضيعة الإسلام لما أقمت باليمن و لمضيت إلى بلدى فما احسب أن هؤلاء يحل

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۸۷

المقام بينهم و لا أستحل أقاتل بهم) و امر برد جميع ما نهب، و ارسل إلى أهل اثافت، من كان له شىء فليحضر يأخذه، فجعل أهل اثافت يحضرون فيتعرفون على امتعتهم فمن كان له شىء اخذه حتى استكملوا جميع ما أخذ عليهم .

و لأن الإسلام فى نظره عليه السلام كما قال بعض الصّحابة رضوان الله عليهم، حائط منيع، و باب وثيق، فحائط الإسلام العدل و بابه الحق فإذا انقض الحائط و حطم الباب استفتح الاسلام، فلا يزال الإسلام منيعا ما أشتد السلطان، و ليس شدّة السلطان قتلا بالسيف و لا ضربا بالسوط، و لكن قضاء بالحق و اخذا بالعدل) انتهى.

و ما الدين إلا أن تقام شرائحو تؤمن سبل بيننا و هضاب

و هكذا فهم أسلافنا روح الدين و لبابه و بذلك اخترقوا صفوف الأمم و اختطوا ديارها، فاستولوا على المالك أحقابا و أخذوا إمرة الأرض اغتصابا، و عنت لهم الوجوه إكبارا و إعجابا و للّه القائل:

نصر الله أمة اذ تولى‌أمرها العادلون بين الخلائق

و كماة فى المكرمات تبارواو هم الأسد فى صدور الفيالق

دوّخوا الأرض و طّدوا الملكقاموا بفروض الكتاب تحت البيارق

ثم عزوا و الملك صار عضوضافاستكنوا كأنهم فى حدائق

و إذا الظلم و الفساد اقامانضب الحوض من حماة الحقائق

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۸۸

(أبو العتاهية و نسبه مكاتبته للإمام و امداده)

هو عبد الله بن بشر بن طريف بن ثابت، مولى يعفر بن عبد الرحيم الحوالى، و يكنى بأبى العتاهية، والى صنعاء و مخاليفها لآل يعفر، كاتب الإمام الهادى و راسله، و وعده النصرة و المؤازرة، و لما كانت وقعة أثافت، و فرار الدّعام إلى خيوان كما سبق عزم الإمام إلى التحول من بنى ربيعة إلى موضع من بنى صريم يقال له الدرب أيضا، و ذلك لأيام باقية من ذى الحجة سنة ۲۸۵، و كان قد أرسل إلى صنعاء إسماعيل بن مسلم يستنجز من أبى العتاهية الوعد بالمدد فأمدّه ببعض الجنود و خرج اسماعيل بن مسلم إلى ريدة بمن معه، و اقام بها ينتظر باقى العسكر، و لما تأخر عززه الإمام بمحمد بن سليمان، و لما وصل إلى أبى العتاهية، وجّه معه أخاه جراحا، و بعد جماعة من الفرسان فلحقوا بالإمام إلى درب بنى حريم آخر المحرم سنة ۲۸۶ فانتقل الإمام و جراح بن بشر و من معه إلى خرفان و السبيع من أرحب، و هم جند الدعام، و قوته و أبناء عمومته، و لما بلغهم إنتقال الإمام إليهم، فرّوا من قراهم، و اعتصموا برؤوس الجبال و تركوا بيوتهم و ما فيها، فكف الإمام جنوده و منعهم عن التعرض لشىء من زروع القوم و أشيائهم و لم يزل بهم، حتى أمنوا و نزلوا إليه فأمنهم و استحلفهم على السمع و الطاعة، فحلفوا، و كان الدعام عند ان بلغه وصول المدد من أبى العتاهية جمع أهل خيوان و قال لهم: (اليس من العجب أنى أصبحت مسودا و أصبح ابو العتاهية

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۸۹

مبيضا) فأمّا انا فقد عزمت على أن لا أقاتل ابن رسول الله فما تقولون، فقال بعض أصحابه: بل تقاتل و نقاتل معك، و لا يأخذ ملكا قد

قاتلت عليه آل يعفر و غيرهم، ثم يدفعه إلى هذا العلوى، و كانت كتب الدّعام تترادف إلى الامام ايام إقامته بدرب بنى ربيعة، و كان يشترط فيها لنفسه شروطا، مثل جباية بعض البلد، و ولايته على بعض فكان الهادى، يقول: لو سألنى ان أوّليه شبرا من الأرض ما وليته على المسلمين، و لا جاز لى ذلك عند رب العالمين، و بعد صلاح خرفان و السبيع، انتقل الإمام، إلى حوث لمناجزة الدّعام فازداد قلق الدعام، و اغتم لذلك و غادر خيوان إلى غرق (الجوف الأعلى) و قبل تنفيذ ما اعتزم عليه من الخروج و مبارحة البلاد جمع أصحابه و استشارهم فى أمر الإمام فاختلفت آراؤهم، فقال لهم: أما أنا فأوّل من أجلب هذا الرّجل و أخرجه من بلده، و راسله حتى قدم هذا البلد، و قد كانت أمور الله المستعان عليها، و قد عزمت على أن لا أقاتله أبدا و ان اسمع له و اطيع، فاعلموا لأنفسكم، و أنا خارج من خيوان إلى بلدى و أرسل جماعة من مشائخ خيوان و أعيانها بهذا الكلام إلى الإمام، و لما وصلوا إليه طلبوا لأهل خيوان الأمان فأمنهم الإمام، ثم انتقل إلى بلدهم و لبس الناس العافية و اطمأنوا:

بعض الأنام إذا رآى نور الهدىعرف الطريق و لم يضل المهيعا

و من البرية معشر لا ينتهىعن غيّه حتى يخاف و يفزعا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۹۰

قال السيد العباس مؤلف السيرة (و وصل خبر الدعام انه لما صار إلى بلده أمر بالأذان بحى على خير العمل، و أضرب عن الخمر و أظهر الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و أرسل إلى الهادى إلى الحق يطلب منه لقاءه، حتى يحلف له و يتوب إلى الله فما كان منه، فأجابه الهادى إلى ذلك و لقيه بالقرب من خيوان، فحلف له هو و بنو عمه و ولده ثم انصرف إلى بلده) و وجّه الإمام معه أبا جعفر محمد بن سليمان واليا من قبله ليأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و يجبى الصدقات، و مكث الإمام يتردد إلى أثافت و بنى حريم، و يصلح ما بين القائل فى تلك الجهات، حتى استقامت الأمور و صلح الجمهور و عاد إلى صعدة فى النصف من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، و منها عزم إلى نجران لتأديب المفسدين، و أقام بها أياما، ثم رجع إلى صعدة، و لم يلبث ان خرج إلى خيوان لإصلاح بعض قبائل تمرّدت من حاشد و هم العمريون، و فى أثناء قيامه باصلاح هذه القبائل تآمر أهل نجران بعماله، و هجموا عليهم إلى منازلهم فاشتبكوا معهم فى قتال و كتبوا بذلك إلى الامام.

عزم الإمام إلى نجران و ثورة ابن عباد

لم يتريث الإمام و قد بلغه ما كان من أهل نجران بل بادر بالعزم لتقليم أظفار تلك القبيلة العاتية، فتحوّل من خيوان بمن معه من الجنود فى ذى القعدة و قصد صعدة و كانت مؤامرة قد إمتدت، و اشترك بعض رؤساء خولان تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع ؛ ص۹۱

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۹۱

منهم ابن عباد رئيس الاكيليين ، فلما علم بوصول الإمام و ما ينويه من العزم لتأديب الثائرين بنجران أراد تثبيطه، و بذل كل مجهود فى صدّه عن المسير، و صمّم الإمام على المضى إلى ما أتجه إليه فأيس ابن عباد، و عرف انه اخفق مسعاه فى التّثبيط و المخادعة، و لم يبق أمامه غير الظهور بالخلافة، فاعلن بذلك و ثار بمن معه داخل بلد صعدة، فقابله بعض أصحاب الإمام، و قضوا على ثورته سريعا، ثم تجهز الإمام و خرج أوّل ذى الحجة سنة ۲۸۶، و لم يلبث ان دخل نجران فى عسكر عظيم، فكانت له هناك وقعات هائلة، منها وقعة الحضن و ميناس و الهجر و غيرها، دارت رحى معظم هذه المعارك على سيف الإمام و بسالته، فإنه اقتحم ثبج الحروب فيها بنفسه، و اعتمد بعد الله على سيفه قال السيد العباسى عند الكلام على وقعة الهجر ما لفظه :

كسر الهادى ثلاثة أرماح فى القوم، ثم ضرب بسيفه حتى امتلأ قائم سيفه علقا و لصقت أنامله على قائم السيف، و فى ذلك يقول الإمام من قصيدة أولها:

طرقت لعمرك زاهر مولاهاو الحرب مسعرة يشب لظاها

و منها:

نحن الفواطم لهونا طعن القناو مدامنا حرب تدور رحاها

هلا سألت فتخبرى اذ لم ترىاذ سار يطلب مهجتى أعداها

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۹۲ لاح الضياء و ابرقوا بكتيبةشهباء تدفق خيلها و قناها

و الجيش فى ايديه كل عقيقة الفين احكم سنّها و جلاها

و المشرفية فى اكف حماتهاتحكى البوارق لمعها و سناها

إلى آخرها، و كان النّصر حليف الإمام، و قتل من أهل نجران خلق كثير قال فى سيرته : ثم إنه أمر بجمع القتلى، و تعليقهم بعراقيبهم فى الشجر منكسين على كل شجرة جماعة موزّرين بالخرق و الشمال ، و أقام بالقرية (الهجر) ثلاثة أيام أو أربعة إلى أن قال ثم أتت بنو الحرث و استوهبوا الإمام جثث اخوانهم و دفنوها فى الحفر و الآبار.

أبو جعفر محمد بن عبد الله العلوى و ولايته على نجران

لما فرغ الإمام من حرب الثائرين، أقام فيهم مدة شهرين لإصلاح البلاد، ثم أرسل إلى أبى جعفر محمد بن عبيد الله العلوى، و كان عامله على صعدة يستقدمه إليه، فلما وصل استخلفه على نجران، و قفل راجعا إلى صعدة فى جمادى الأولى سنة ۲۸۷، و ما كاد يصلها، حتى بلغه خبر إنتقاض قبائل خولان، و تمردها، و هم الأكيليون و بنو كليب و المهاذر، و الغويرات، و البحريون، و طرف من بنى جماعة، فأمر الإمام بهدم منازل الأكيليين، و قطع أعنابهم و جرت بينه و بين المخالفين عدّة وقعات، انتهت بهزيمتهم و انظامهم فى سلك الخاضعين لسطوة الإمام، و بعد أن قضى على

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۹۳

جميع حركات المشاغبين فى الجهة الشمالية، كما مرّ، جمع جموعه و قصد صنعاء.

دخول الإمام صنعاء قتال الجفاتم و آل طريف تسليم أبى العتاهية، و تنقل الإمام فى البلاد

و دخلت سنة ۲۸۸ فى المحرم منها دخل الإمام الهادى صنعاء و ذلك ليلة الجمعة لسبع بقين من المحرّم، و معه أبو العتاهية يسير بن يديه، حتى أدخله إلى الدار التى كان فيها، و كان قد دبّر حيلة و أخرج الجفاتم، و آل طريف إلى السّر ، ليكونوا قوة فى وجه الإمام تمنعه عن قصده، و أظهر لهم انه يتجهز لمحاربته و صدّه عن صنعاء، و كانت جميع المخابرات، و المراسلات، تجرى بصورة سرّية لم يطلع عليها سوى وزيره ابن عباد المقتول مع الإمام فى حرب شبام، كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى.

و بلغ عبد الله بن جراح و الجفاتم صبيحة ذلك اليوم خبر دخول الإمام صنعاء فأقبلوا من السر يركضون و انضم إليهم آل طريف، و آخرون من أصحاب أبى العتاهية، و أميرهم ابراهيم بن خلف و اجمع رأيهم على الوقيعة بالإمام و أصحابه و جعلوا موعد تنفيذ هذه الفكرة وقت صلاة الجمعة، و لما خرج الإمام للصلاة بادروا بنهب أثقاله، و بعض أصحابه، فبلغه ذلك، و هو على المنبر فأتم خطبته، و صلّى بالناس، ثم خرج فى أصحابه حتى بلغ منزله، و كان أبو العتاهية، قد خرج إلى ابن عمّه، و من معه من رواد الفتنة، و هم بالجبانة، و عساكرهم على الدرب يحثّهم على السّكينة، و الهدوء، و الرجوع عما اعتزموه من المخامرة على الإمام، و شقّ عصا المسلمين فسبّوه و شتموه و رموه بالنبل و الحجارة، و انضم إليهم من أهل صنعاء زهاء عشرة آلاف رجل من صغار الأحلام الهمج، فزاد غرورهم، و داخلهم العجب:

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۹۴ و لو علموا عقبى الأمور لقابلواأوائلها بالحزم و اطّرحوا العجبا

و لكنه المقدور يلوى بذى الحجىفيسلبه ان حم آراؤه سلبا

و بدأ القتال بينهم و بين الطّبريين أصحاب الإمام، فانهزم الطبريّون، و خرج الإمام فى أصحابه، و حمل عليهم حملة، فانهزموا و قتل خيارهم، و تبعهم إلى الجبانة ، فسأله أبو العتاهية الرجوع فرجع، ثم ان الجفاتم، أرسلوا إلى أبى العتاهية يسألونه طلب الأمان لهم من الإمام، فأمنهم الإمام، و رجعوا إلى دورهم، و فى اليوم الثانى أمر مناديا ينادى بالعطاء للعسكر، فركب بعض الجند إليه، و تخلف آخرون، و بلغ الإمام عنهم كلام قبيح و اجمعوا على حربه، فلما كان من الغد، وجّه الإمام إلى كبارهم و أهل البأس منهم و العناد، قال السيد العباسى : (فلما أتوه و صاروا فى داره أمر بهم فى الحبوس و الحديد، و أخذ سلاحهم و دوابهم و فرّقها على الطبرّيين، و هدأ البلد، و انقطعت الفتنة و لبس الناس العافية: و لما استقرت الأحوال بالإمام سلّم أبو العتاهية جميع ما فى يده من الأموال و الدّواب و الخيل و الأسلحة و هجر الولاية و تزهّد).

من أخمل النفس أحياها و روّحهاو لم يبت طاويا منها على كدر

ان الرياح إذا اشتدت عواصفهافليس ترمى سوى العالى من الشجر

و لعل القارىء يستغرب ما هنا و لا يقتنع بالبرهان الشعرى على مدح الخمول و تحسينه، و يستبعد أن يكون الحافز لأبى العتاهية الى التنازل عن الملك و مأثرة الضنك و البؤس، حب الخمول، و تغلب النزعة الصوفية على روحه، و لا سيما إذا عرف انه لم يلبس المسوح، و يطيل السّبحة و يأخذ زاوية المسجد، ينتظر الموت فحسب، بل نزل عن منصّة الإمارة إلى ميدان الكفاح، فخاض المعامع، و قارع الأبطال وزجّ بنفسه فى غمرات الموت

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۹۵

طائعا مختارا و مات موت الجندى فى ساحة القتال، قصفا بالسيوف و طعنا بالرماح:

و يلوح لنا أن زمن أبى العتاهية كان ملآنا بالاضطراب، فيّاضا بالفتن لخلو البلاد عن السلطة الوازعة، لضعف خلافة بغداد و سوء طالعها على هذه البلاد، و ضيق دائرة نفوذها فى ربوع جنوب الجزيرة فنتج من ذلك طبعا، اختلال النظام، و اضطراب الحبل و انتشار الأمور، و اشتباه المخارج و الموالج ، و رفع كل مواثب عقيرته بما يريد، بحيث أصبح كل طامع، أو متغلب يناهض الآخر، و يصاوله، و يحاول بكل قواه القضاء عليه، و سلبه كالوحوش الضارية، و الذئاب العاوية و الأمة بين الغالب و المغلوب كالحبّة تحت الرحا و الخيط بين شقى المقراض

و الناس فى فتنة عمياء قد تركتأشرافهم بين مقتول و محروب

و كان خليفة بغداد يقنع من المتغلب على القطر بالخطبة و ضرب السكة و من أولئك آل يعر و بنى زياد، و هؤلاء و أولئك وجد فيهم الصالح و الطالح، و من خانه البخت، و من ساعده الحظ، و البلاء كالمرصد المهيأ لتدوين حركات الزّلازل غرض النابل و فريسة الصائل.

و من ملك البلاد بغير حربيهون عليه تسليم البلاد

فهى دائما ترتقب راجفة، خسف و زلزال محنة لا تهدأ إلّا لتثور، و لا تسكن إلا لتثب، فلم ترق هذه الحياة المضطربة أبا العتاهية و رأى أنه لا ندحة له عن الإنغماس فى ذلك التيّار المخيف: إلّا بالقضاء على كل مشاغب، و تقويم عناد كل معاند (و هم كثر) و الفوضاء ضاربة أطنابها فى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۹۶

جميع الأنحاء اليمنية، كما أشار إلى ذلك كثير من مؤرخى اليمن، و أسلفنا الإشارة إليه أيضا.

فلما عرف حراجة الموقف و كثرة المثّبطات و مفتّرات السعى اختصر لنفسه طريق العمل بالا إلى رجل عظيم فيه الأمل المنشود:

فيه ما تشتهى العزائم ان همّذويها و يشتهى الأذكياء

فلمن حاول النعيم نعيمو لمن آثر الشقاء شقاء

و كانت الآمال مشرئبة و النفوس متطلعة، و الأعناق متطاولة من أبى العتاهية، و من غيره إلى الإمام الهادى إلى الحق يحى بن الحسين بن القاسم عليه السلام، فكانوا يراسلونه، و يفدون إليه كما فعل الدّعام، و أهل نجران، و غيرهم، بيد أن أطماع الكثير منهم كانت تحدوهم إلى الإنحراف عن جادّة السلوك و تنبو بهم إلى هوة الحضيض، و تقطع أعناق الرّجال المطامع، فبادر أبو العتاهية، إلى التخلى من متاعب الزعامة، و انصاع الى التقشف و العزلة، و آثر حياة الفرد و عيش الجندية على الملك و الرفاهية و لسان الحال منه عند ذلك تنشد:

إذا ما لم تكن ملكا مطاعافكن عبد المالك مطيعا

و ان لم تملك الدنيا جميعاكما تهوى فاتركها جميعا

هما سببان من ملك و تركينيلان الفتى الشرف الرفيعا

فمن يقنع من الدنيا بشىءسوى هذين عاش بها وضيعا

و أقام الإمام بصنعاء و ضرب السكة باسمه، و دعا النّاس إلى البيعة له قال الشرفى فى اللآلى، نقلا عن المنصور بالله عليه السلام: أنه لما

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۹۷

فتح صنعاء و أهلها جبرية ، و كان فيها سبعة آلاف فقيه، و كانوا يصلّون خلف الهادى عليه السلام، فاختاروا منهم سبعمائة فقيه، ثم سبعين عالما، و شيخهم جميعا القاضى يحيى بن عبد الله بن كليب جدّ بنى النقوى، و تقدّموا إلى بين يدى الهادى لمناظرته، فتقدم يحيى النقوى، و قال: ما تقول يا سيدنا فى المعاصى، فقال عليه السلام: و من العاصى، فسكت يحيى النقوى، و لم يجبه بشىء، و قام و قام معه أصحابه إلى مؤخّر المسجد فوبّخه أصحابه، و قالوا فضحتنا عند هذا الشريف، فقال: يا قوم ان قلت ان الخالق العاصى كفرت، و ان قلت المخلوق العاصى، خرجت عن مذهبى إلى مذهبه، فقاموا بأجمعهم فبايعوا الهادى عليه السلام و صاروا على مذهبه:

و بعد أن أصلح شؤون صنعاء و بعث العمال على المخاليف انتقل إلى شبام كوكبان، و بث عماله على البلاد، و وعظ النّاس، و ذكرهم و رفع عنهم المظالم، و نظم جميع الشؤون و عاد إلى صنعاء، و استخلف ابنه أبا القاسم محمد المرتضى على شبام، و جهاتها، و لم يلبث بصنعاء إلّا يسيرا، و سار فيها إلى ذمار و يحصب و رعين و جيشان ينتقد أمور رعيته هنالك، و كان خروجه من صنعاء آخر شهر صفر من السنة المذكورة، و خرج معه ابو العتاهية، و استخلف على صنعاء أخاه عبد الله بن الحسين، و لم يلبث أن عاد إليها، ثم خرج إلى شبام مرة أخرى، و استخلف على صنعاء ابن عمه سليمان بن على، و كان الإمام قد ألقى القبض على كثير من آل يعفر و آل طريف، و سجنهم فى صنعاء

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۹۸

و شبام، و قدم ثم وجه ابنه ابا القاسم فى جماعة من الجند إلى بلد همدان، و بقى فى عدد قليل، فطمع آل يعفر، و آل طريف فى البلاد لقلة الجند بها، و أجمع أمرهم على إثارة القبائل فخرج نفران من آل يعفر من شبام سرّا إلى أهل قدم، و استثاروا حماستهم، و طلبوا منهم النجدة، فلبوهم و بلغ أمرهم صعصعة بن جعفر صاحب ريدة البون فانضم إليهم و وثب على البون، و فرق أموال الصّدقة، و خيلا- كانت للإمام هنالك، و زحف الثّوار إلى بيت ذخار، لمناجزة الإمام فطلب الإمام من عامله بصنعاء إرسال كل حامل سلاح من أهل صنعاء، فخرج منهم بشر كثير، و لما وصلوا إلى شبام، طلع الإمام، و معه ابو العتاهية، و من معه من الجنود لطرد الثّوار من جبل ذخار ، و خلف على شبام محمد بن عباد، و أهل صنعاء و لما علم الثوار بخروج الإمام عن شبام، باغتوها، فدخلوها و أخرجوا من بالسجن من الجفاتم و غيرهم، و ما كادت تقع أعين الجند الصنعانى على الثائرين، حتى فروا و انهزموا لا يلوون على شىء، فقتل محمد بن عباد، و طارت الأنباء إلى الإمام، فأرسل أبا العتاهية، و محمد بن الدّعام، لطرد الثّوار، و استرداد شبام، فانقضوا عليهم إنقضاض البواشق من جبل ذخار، و طردوهم عن شبام و فرقوهم شذر مذر، و بات الامام ليلته بالجبل المذكور، و هرع صبيحة اليوم الثانى إلى شبام، و حضر دفن ابن عباد و جنازته.

إنتقاض أهل صنعاء و ضهر على الإمام و تداعى سائر البلاد

لما انهزم أهل صنعاء و غيرهم من شبام، فروا نحو صنعاء و ضهر

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۹۹

و البون، و لقيهم فى الطريق عدد كان أرسله عبيد الله بن محمد الحسينى، عامل الإمام على ضهر لمن بشبام، فقال بعضهم لبعض: قد قتل ابن عباد و خالفت العساكر و الأولى أن نعود على من يظهر من جند الإمام لتكون لنا يد عن آل يعفر:

و كانوا كذئب السوء لما رأى دمابصاحبه يوما احال على الدم

و رجعوا على اعقابهم القهقرى، و وثبوا على حبس ضهر فكسروه و أخرجوا أبا الغشام بن طريف، و من معه من آل يعفر و خرج عامل الإمام لا يلوى على شىء (من نجا برأسه فقد ربح) و قصد صنعاء فما تلعثم أهل صنعاء ان (جاؤوا بمطفية الرّضف) و صنعوا صنيع أهل ضهر و اعلنوا الخلاف لأيام بقيت من جمادى الآخرة بقيادة رجل منهم يقال له احمد بن محفوظ فكسروا السجن و وثبوا على عامل الإمام على بن سليمان مفاقصة، فانفلت من بينهم فى ستة فوارس من بنى عمه و من الطبريين، و كان فى سجن صنعاء جماعة من آل طريف و الجفاتم، و تداعت سائر البلاد فكأنما كانوا على ميعاد، و اخرجوا عمال الإمام من بين أظهرهم و دب دبيب الشر و الفساد فى عراصهم:

و من يتعود عادة ينجذب لهاعلى الرغم منه و العوائد أملك

و كان الإمام يومئذ فى شبام، فلما وافته الأنباء، و عرف الحقيقة و جاهره الناس بالخلاف بعد أن ساعفته الأيام و انقادت له الأمور، جمع حرمه و أثقاله و قبل أن يغادر البلاد، اطلق من كان بسجن شبام من آل يعفر و آل طريف، و قد سيق ان الثّوار أخرجوا من كان فى السجن، و لعل هؤلاء غير من أخرج الثوار قال السيد العباسى : (أطلق الهادى عليه السلام أسعد بن ابى يعفر و ابراهيم بن خلف من حبس شبام و أعلمهم بما كان من سوء نيتهم إليه، و قال

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۰۰

قد وهبت لكم أموركم فاتقوا الله فى سركم و علانيتكم).

و كأنه أراد أن يعلّمهم درسا بليغا فى التسامح و العفو و الإغضاء فأتى بأعجب ما عرف فى تاريخ الفاتحين، و أجل ما سطر فى باب العدل و التسامح و العفو عند المقدرة، و كظم الغيظ، و عدم اللّجاج فى الإنتقام، و قديما قيل «من انتقم فقد شفى غيظ نفسه و أخذ أقصى حقه، و من أخذ حقه و شفى غيظه لم يجب شكره، و لم يذكر فى العالمين فضله»، و لم نر أهل النّهى و المنسوبين إلى الحجى و التّقى مدحوا الحكام بشدّة العقاب، و قد ذكروهم بحسن الصّفح و بكثرة الاغتفار و شدة التغافل:

أخذ التاريخ مما تركواعملا أحسن أو قولا أصابا

و من الإحسان أو من هذهنجح الراغب فى الذكر و خابا

ثم فيه أكبر برهان على حبّ الإمام للوئام و السلام مع قوة نفس، و شدّة بأس و شجاعة، و كرم أخلاق نادرة المثال تحلّت بها شخصيته الفذة حيث عامل أعداءه، بهذه المعاملة، فى أشد الأوقات حرجا و ضيقا، و لو كانوا مع غيره لما كان حظهم منه غير السّيف، و قد أشار بذلك محمد بن الدعام، و أبو العتاهية كما نقله صاحب السيرة، فلم يقبل الإمام ذلك منهم:

يفر جبان القوم عن أم رأسهو يحمى شجاع القوم من لا يناسبه

و يرزق معروف الجواد عدوهو يحرم معروف البخيل أقاربه

و هكذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم، و قّافون عند الشّبهات، و لو لا صرامته فى الحق و رغبته الشديدة فى اتباع أثر السّلف لكان له مندوحة فى معاقبتهم و التّشديد عليهم.

ثم إن أهل شبام تجمعوا، و همّوا بالإمام قبل أن يقوم من مقامه، و لما عرف ذلك منهم، رجع عليهم و معه ابو العتاهية، فكانت معركة قتل فيها جماعة منهم، و قتل الإمام أكثرهم، و انقطع من الجمال، التى كان عليها

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۰۱

رجل الإمام جملان كانا مثقلين لا يطيقان السير، فأخذوهما، و لما وصل البون عارضه أهل البون، فحمل عليهم ابو القاسم، و فلّ جمعهم، و بات الإمام و من معه فى ريدة، و انتقل اليوم الثانى إلى بيت زود و وجّه بالحرم الى درب بنى صريم، و عاد إلى ريدة، و فى اليوم الثالث باغت الإمام، و من معه أبو زبا مولى آل طريف، و صعصعة بن جعفر فى جيش كثيف، فدخلوا القرية و لزموها من كل جهة، ففشل جند الإمام، و فرّوا على وجوههم، لا يلوون على شىء، و بقى الإمام فى نفر يسير حمل بهم على المغيرين، و أصدقوهم الطّعن و الضرب، حتى أخرجوهم من القرية مدبرين و البواتر تعمل فى أقفيتهم، قال السيد العباسى: و كان مع الإمام عليه السلام، فى ذلك اليوم ذو الفقار سيف على بن أبى طالب عليه السلام، و به كان يقاتلهم و فى ذلك يقول:

الخيل تشهد لى و كل مثقف‌بالصبر و الابلاء و الإقدام

حقا و يشهد ذو الفقار بأننى‌ارويت حدّيه نجيع طغام

نهلا و علا فى المواقف كلهاطلبا بثار الدّين و الإسلام

حتى تذكر ذو الفقار مواقفامن ذى المعالى السيد القمقام

جدّى على ذو الفضائل و النهى‌سيف الإله و كاسر الأصنام

صنو الرسول و خير من وطى‌الثرى بعد النبى إمام كل إمام

و فر ابو زبا، و صعصعة إلى قرية يقال لها الغيل من قرى البون فتعقّبهم الإمام و قاتلهم بالغيل قتالا شديدا، حتى أمسى ثم انصرف الى ريدة سالما، لم يقتل من أصحابه أحد قال مصنف سيرته : فلما كان فى بعض الطريق

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۰۲

لقيه أصحابه الذين كانوا انهزموا عنه و خلوه فانصرف بهم، فبات بريدة فلما أصبح أمر بقطع رؤوس المقبلين فقطعت، ثم أمر بها فحملت إلى صعدة و نجران.

عودة الإمام إلى صنعاء المرة الثانية

ثم انه جمع جموعه و قصد صنعاء و معه أخوه عبد الله بن الحسين على اثر عودته من الحجاز، فلما علم آل يعفر و آل طريف بمقدمه تجمعوا من صنعاء و شبام و ضهر، و خرجوا فى جيش عظيم لمقاتلته فالتقى الجيشان خارج صنعاء و كانت ملحمة عظيمة، انهزم فيها آل يعفر و من معهم و دخل الإمام صنعاء و كان قد أرسل إلى الدّعام يستنجده فتخاذل و لم يجب خوفا من آل يعفر، و كان دخول الإمام صنعاء يوم الجمعة آخر رجب سنة ۲۸۸ و لم يخسر من جنده سوى نفر واحد

و كان أهل صنعاء فى خوف شديد لما يتوقّعونه من عقوبة الإمام لما سبق منهم من اخراج عامله على بن سليمان و ما أحدثوه، فلما دخل صنعاء لم يعاقب أحدا قال فى سيرته ، و لما كانت الجمعة الثانية من دخوله صنعاء خرج إلى المسجد، و وعظ الناس، ثم قال: أيها النّاس ما نقمتم علىّ إلا ما حكى الله سبحانه عن قوم لوط فى قولهم: «أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ »، و لكنى أقول لكم كما قال عمّى يوسف صلى الله عليه و سلم لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» و استمرت الحرب بين الإمام و آل يعفر و آل طريف سجالا من تاريخ دخوله صنعاء إلى جمادى الآخرة سنة ۲۸۹ تسع و ثمانين و مائتين ملئت هذه الفترة بحروب و معارك قتل فيها عدة من خيار أصحاب الإمام كأبى العتاهية، و على بن سليمان و غيرهم،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۰۳

و أصيب فيها الإمام بجراحات عظيمة و لم يتمكن من التوسع فى البلاد، بل ظلّ شبه محصور، فلم تطمئن به الحال، و كانت صنعاء و جبل مقم، وحدّة، و سناع، و بيت بوس وحدين، و عصر ، ميادين النّزال فاضطر و الحالة كذلك إلى مغادرة صنعاء تفاديا من عواقب الفتن المستمرة و الغارات الدائمة، أضف إلى ذلك ضعف المالية فقد طلب من أهل صنعاء القرض أو المعونة، فلم يسعفوه بشىء، فخرج من صنعاء إلى صعدة فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

إنتقاض أهل نجران و مسير الإمام لتأديبهم

فى أثناء هذه المدة وصلت الإمام كتب عامله بنجران بانتقاض قبائلها و اجتماعهم على الفساد و إخراجهم العامل من قرية الهجر، مركز ولايته إلى الحضن، فلما وصل الإمام صعدة بادر بالخروج إلى نجران لتأديب الثائرين، فلقيه أبو جعفر محمد بن عبيد الله و ابنه على بن محمد و أخوه القاسم بن محمد فى جماعة من همدان، و لما علمت بنو الحرث بمقدمه البلد، لا ـ بسهم من الخوف و الوجل، ما أفقدهم القرار، فأتوه طائعين مستسلمين، يلتمسون منه الصفح و التجاوز عما أحدثوه فأجابهم إلى ما طلبوا، و شرط عليهم إرجاع ما أخذوه على الناس من الحقوق، فامتثلوا لأمره، و انصاعوا إلى إشارته، و دخل الإمام مع عامله قرية الهجر و عادت المياه إلى مجاريها، و بعد أن مكث بها أيّاما رجع إلى صعدة و استقر العامل بموضعه.

و دخلت سنة ۲۹۰ فيها تحرك الإمام لمطاردة ابن عياد الأكيلى، و كان ابن عياد بعد فشله و هزيمته فى حركته التى أشرنا إليها سابقا، عزم إلى آل طريف، و التمس منهم المدد لمحاربة الإمام فأمدّوه، و كانت الحرب بينه و بين الإمام بموضع يقال له الحدائق، و بأول معركة انهزم ابن عباد، و استولى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۰۴

الإمام على حصنه حصن علاف، و أمر بقطع أعنابه، و هدم منازله، و لما فرغ من أمر ابن عباد تحول بجيشه إلى بلد وائلة، و كانت قد أحدثت فى طريق نجران أحداثا أيام كان الإمام بصنعاء قال مصنف سيرته : فغدا حتى وصل موضعا يقال له كتاف من بلد وائلة، و كان موضع المحدثين فنهب العسكر ما وجدوا فيه من مال و غيره و قطع أعنابهم و خربها، ثم تقدم إلى موضع آخر يقال له المطلاع ففعل به كما فعل بكتاف، ثم أقبلت إليه وائلة بسمعهم و طاعتهم و طلبوا منه الأمان، فأمنهم، و ضمن بعضهم بعضا، و أخذ منهم جماعة من المحدثين، و رجع إلى صعدة.

الخلاف بين آل يعفر و عبيدهم و استقدامهم الإمام و ما كان من الأحداث

و فى هذه السنة وقع الخلاف بين آل يعفر و عبيدهم فكتب آل يعفر إلى الإمام يستنجدون به و يستنهضونه فتثاقل لما يعرفه منهم من الغدر و قلة الوفاء بعد التجربة و الإختبار (ان المعافى غير مخدوع) و كان الدّعام هو المضطلع بأعباء هذه الوساطة حيث جعله أبناء يعفر الواسطة بينهم و بين الإمام، و تكررت الكتب منهم فلم يسعفهم الإمام بما راموه، و لا التفت إلى ما أملوه و كان الدّعام يرغب فى نهوض الإمام و لكنه لما عرف تثاقله عزم إليه بنفسه، و رغبه فى الوثوب على صنعاء لملاءمة الظّروف و مواتاة الأحوال، و قال له قد استوت لك الأمور و استوثقت لك من القوم، و لم يبق غير النّهوض، فانخدع الإمام بذلك، و خرج من صعدة، و برفقة الدّعام، و لسان الحال منه تنشد:

طورا يمان إذا لاقيت ذا يمنو إن لقيت معديّا فعدنان

و كأنه و قد أخطأه المجد من طريق المغالبة و المصاولة يريده الآن من

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۰۵

جهة الانتهاز و الاستغلال فطوّح بالإمام على حساب أمله المزعوم، و لم يبال بما كان.

و لما وصل الإمام إلى خيوان مكث بها مدة و كان بها ابن الضحاك من قبل آل طريف ففر من وجه الإمام ثم إن الإمام أرسل الدعام لأخذ العهود و المواثيق من آل يعفر، فكتب إليهم الدّعام لملاقاته إلى البون، ففعلوا و أخذ عليهم العهود و المواثيق، و اتفقوا على الاشتراك فى العمل لفتح صنعاء فمضى الإمام مشرق خولان، حتى نزل ببيت حاضر ، و خرج لقتاله من صنعاء إبراهيم بن خلف، و دارت بينهما عدة معارك، لم يتمكن فيها الإمام من التغلّب على قوّة عدوه، و استمرت الحال كذلك، حتى عرف الإمام فى جيشه الضّعف، فانتقل من بيت حاضر، إلى موضع يقال له مدر ، و عند ما حطّ رحله بهذه القرية، استأذنه أصحابه من خولان و همدان و نجران، فى الانصراف فأذن لهم، و بقى فى عدد قليل فبلغ آل طريف قلة من معه فانتهزوا الفرصة، و أرادوا القضاء عليه، و نهضوا لحربه فى جموع كثيرة، و نزلوا بالقرب منه، فانتقل من مدر إلى موضع يقال له إتوه ، و أرسل الصّوارخ فى همدان تستنفرهم للقتال، فلم يجبه أحد، و كان كلما وصلت رسله قرية من قرى همدان نهض أهلها إلى آل طريف و صار واليا عليه و حربا له:

و رها تخذل من يقوم بنصرهاو تظل تنصر دونه الخذ الا

و اذا أهاب بها الهداة رأيتهاتعصى الهداة و تتبع الضلالا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۰۶

و فى أول يوم من شهر رجب من السنة، تحرك جند آل طريف، و قصد الإمام إلى موضعه بالقرية المذكورة فلم يجبن الإمام عن عدوه و لا بالى بقوة عدوه، و قلة عدده، و عدده، بل كان أملك ما يكون لنفسه و أضبط لشعوره ثبت فى جماعة قليلة من الطبريين و العلويّين، كأنهم حقيقة بين أغلاط لا- ترهبهم الأهوال فى مواقف القتال، فكافحوا كفاح الأبطال، و صبروا لعدوهم و قد أحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم:

لقى الرجل الحادثات بصبرهمحتى انجلت غمم لها و غبار

لانوالها فى شدّة و صلابةلين الحديد مشت عليه النار

و ما زالوا يقاتلون حتى قتل أكثرهم، و أسر محمد بن الامام بعد أن أصيب بجراحات سقط منها عن فرسه مغشيّا عليه، فلحقه القوم، و كان فيهم ابن الضحاك الخيوانى، فحال بين القوم و بين إصابته، و مضوا به إلى ابن خلف، و معه جماعة من أصحابه، و خرج الإمام من هذه المعمعة فى نفر يسير، و سار حتى نزل بورور، و قد كان لما (التقت حلقتا البطان) و (وقعت بقرّ) أرسل ابنه أحمد إلى الدّعام يسأله المصير إليه فيمن معه، فكره الدّعام ذلك، و تثاقل، و كان من ردّه عليه أن قل لأبيك ينجو بنفسه، فليس هذا وقت قتال:

و لم يزل الإمام يكرر استصراخ همدان و يجيل قداح الرّجاء فى تلك الأنحاء علّه أن يجد المطلوب، لاستئناف المقارعة، حتى يحكم الله بينه و بين عدوّه، فلم يظفر بما يريد (إذا عظم المطلوب قلّ المساعد) فقد صمّت

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۰۷

عنه همدان آذانها و جاهره الناس بالخلاف، فكتب إلى الجعفرى يسأله أن يوجه إليه معونة من المال يستعين بها على حرب القوم، فثقل عن ذلك فثبت الإمام مكانه و الدّعام يكاتب ابن خلف فى الصّلح و الخلاص لمن عنده، فلم يجبه ابن خلف إلى ما طلب، و بعد لأى أسعد ابن خلف بشرط، أن ينصرف الإمام من ورور فإذا وصل صعدة أطلق ابن خلف محمد بن الإمام و أصحابه، و أخذ على ذلك الدّعام العهد و الميثاق، فأبى الإمام أن ينتقل، و بينما هو يرجو و يؤمّل ان تساعده الأيّام، و ينقاد له الحرون، إذ وافته الأنباء بوصول على بن الحسين جفتم، عامل المكتفى على اليمن إلى مكة فخشى الإمام على ما خلفه، و بادر باسراج جواد الأوبة، و عاد إلى صعدة، و لبث بها قليلا ثم خرج منها إلى بلد وائلة، و كانت هذه القبيلة، قد أظهرت الفساد، و خرجت عن الطاعة، فنهض لتأديبها فى عساكر كثيرة و ذلك فى النصف الأخير من ذى الحجة عام تسعين و مائتين (۲۹۰).

و لما وصل بلاد وائلة أذاقهم كأسا مترعة بالبطش و التنكيل جزاء لما استمرؤوه من المرتع الوبيل:

هو دان الرباب اذ كرهوا الدى- ن دراكا بغزوة وصيال

قال السيد العباسى : و مضى العسكر كله حتى قرية أملح و نهبوا ما وجدوا فيها و أقاموا بها أياما يخربون المنازل و الآبار، و يقطعون النخيل و الاعناب، و القوم فى ذلك يطلبون الأمان و هو كاره لذلك، لما يعلم من شرارهم و قلة وفائهم، و ما زال ينتقل فى قراهم و يخربها قرية قرية، حتى طرحوا عليه بأنفسهم فأمنهم، و رجع إلى صعدة بعد النكاية الشديدة بهم:

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۰۸

دخول على بن الحسين جفتم صنعاء و خروج أبى القاسم محمد بن الإمام من السجن، و ما كان من الأحداث

فى شهر شوال من هذا العام، وصل على بن الحسين جفتم عامل حكومة بغداد على اليمن إلى مخلاف بنى شهاب و أقام بقرية ارتل ستة أيام، و فى صنعاء إبراهيم بن خلف متغلّبا عليها، و فى اليوم السابع خرج ابن خلف فى جماعة من أصحابه كالمسّلمين على جفتم، ثم انهم قبضوه و حبسوه فى بيت بوس ، فلم يلبث أن احتال و هرب من السّجن، و قصد صنعاء و لما دخلها انضم إليه أصحابه و الجند الذى بها، فانتشرت الأمور على ابن خلف و ارتبكت أحواله فهرب منها إلى تهامة، و خرج أبو القاسم محمد بن الإمام فى أثناء من حبس بيت بوس و دخل صنعاء فى اليوم الذى دخل فيه جفتم صنعاء و قد مكث فى سجن آل طريف فى صنعاء و بيت بوس، مقيّدا بالحديد بعد أن طافوا به فى أسواق صنعاء عند إدخاله إليها مقدار ستة أشهر، ولد فى محبسه و محنته عدة قصائد كتبها إلى والده الإمام منها قوله :

امير المؤمنين تعزّ عنىو لا تحفل ببعدى و اغترابى

و هبنى كنت فى القتلى صريعابأطراف الأسنة و الحراب

و قم لله مجتهدا مجدّافمثلك لا يعلّم بالصواب

و كيف و أنت أفضل من عليهاو ابصر بالعلوم و بالكتاب

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۰۹

و كان أسعد بن أبى يعفر و ابن عمه عثمان بن أبى الخير قد و ثبا على صنعاء بعد فرار ابراهيم بن خلف، فأحسنا إلى أبى القاسم محمد بن الإمام و سيّراه الى شبام و كانا يغدوان على جفتم كل يوم فارادهما على تسليم الأمر إليه فاستنظراه و عرف انهما يماطلانه، و يراوغان، فكبسهما و أرادا أن يهربا فلم يتمكّنا فخرجا فى مواليهما، و من أنضم إليهما من أهل صنعاء و حاربا جفتما و قتلاه و جماعة من أصحابه و مال الجيش إليهما، و يقال أن بعض أهل صنعاء أكل من لحم جفتم تشفّيا و انتقاما لما كان يرتكبه أصحابه من المنكرات و القبائح ثم ان أسعد بن أبى يعفر وثب على ابن عمه عثمان بن ابى الخير فحبسه و استبد بالأمر وحده إلى سنة ۲۹۳ كما سيأتى.

و لما قتل جفتم حاذر أبو القاسم محمد بن الإمام أن يبدو لآل يعفر فى أمره ما لا يحمد، و عزم على الخروج من شبام خلسة تحت جلباب الظلام فاتفق مع رجلين من خولان، و تواعدوا لليلة معينة، ينتظرانه الخولانيان بفرس معدّ خارج البلد فى موضع معين، و فى تلك الليلة بادر ابو القاسم فتدلّى من السور، و تبعه أصحابه و قصدوا المحل الذى تم الإتّفاق على إنتظار الخولانيين فيه، و كان اللّيل قد تولج، و النجم قد تبلج، و لم يجدوا السروجى و لا المسرج ، و بينما هم كذلك إذ ظهر أمرهم على الحامية التى فى الطريق، فأمسكوهم، و أرجعوهم إلى شبام، و علم بما كان الأمير عبد القاهر ابن ابى الخير الحوالى فجرى بينه و بين أبى القاسم كلام، و أمر باعادتهم إلى المنزل الذى كانوا فيه، فكتب أبو القاسم إلى أسعد و عثمان كتابا يشكو طول مقامه و ضجره، بموضعه، فأرسلا إليه بدواب و خلع و سيف و نقود، و كتبا يعتذران إليه و كتبا أيضا إلى على بن الحسين الأقرعى ليرافقه فى الطريق و سيراه معزّزا مكرما، و لما وصل ريدة تلقته عمال الدعام فصرف رفيقه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۱۰

الأقرعى و رافقوه إلى غرق، فأقام هنالك أياما ثم صحبه ابن الدّعام إلى حضرة والده الإمام لأيام مضت من المحرم سنة ۲۹۱.

و قد يجمع الله الشتيتين بعد مايظنان كل الظن ألا تلاقيا

و فى هذه السنة اشتد القحط و عمّ الجوع عموم اليمن، حتى أكل الناس بعضهم بعضا، قال أبو القاسم محمد بن الإمام، انه لما دخل صنعاء فى السنة الماضية، كان السّعر بها خمسة مكاكى بدينار، فلم يزل ينقص حتى خرج و هو على مكوك بدينار و النّاس قد هلك عامتهم هولا.

خلاف أهل نجران

و لما اشتدت أزمة القحط و تعاظم الهول على أهل نجران، تحرك أهل الشر و الفساد من يام و بنى الحرث و اضطربت البلاد و اختل الأمن، و ساءت الأحوال، فقابل العامل محمد بن عبيد الله تلك الحركة بالحزم و اليقظة، و تتبع الأشرار قبل استفحال شرّهم، و ضرب على أيديهم، و طهّر البلاد بتشريدهم، و إخراجهم منها إلى صعدة و حظر على الناس حمل السلاح من أعلى الوادى إلى أسفله، فلم يحمل أحد سلاحا فهدأت الأمور، و أمن النّاس، و لم يكن معه إلّا خدم له، ستة و عشرون رجلا، بهذا العدد القليل ضبط البلاد، و حفظ الأمن إلى شهر جمادى الأولى سنة ۲۹۲ اثنتين و تسعين و مائتين، و رجعوا عودا على بدء و تنادوا من كل مكان شاحط ، لاستئناف الثّورة، و تحالفوا على الفساد و الانتقاض، و كان ذلك إبّان حضور الثمرة، و المتولى كبر هذه الأحداث الهوج ابن حميد و بنو الحرث، منبع الشر و مادته و ارسلوا إلى أبى جعفر محمد بن عبيد الله يؤذنونه الحرب فكتب أبو جعفر إلى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۱۱

الإمام، فأجاب الإمام بكتاب طويل كله تهديد و وعيد، و زجر و تنديد، و ذيله بقصيدتين حماسيتين، و لما وصل هذا الكتاب إلى المفسدين أجمع رأيهم على مناجزة العامل، و القضا عليه، فبادروا من ساعتهم عقيب قراءة الكتاب بالوثوب عليه إلى قرية الهجر، و تبادلوا معه القتال إلى الليل، و كان معه ابن بسطام، و لما عرف إجتماعهم عليه و امتناع المقاومة بتلك المدرة ، أشار عليه بالانتقال معه إلى حصن (ميناس) و هو فى الظاهر معه و لكن هواه مع ابن حميد و بنى الحرث، غير أن ميله لم يظهر جليّا لأبى جعفر إلّا بعد أن صار معه بميناس، و حين عرف القوم بتحوله إلى ميناس، انقضّوا عليه كالسّباع الضارية، فصمد لهم صمود الشوس اللّهاميم ، و بعد قتال عنيف، قال له ابن بسطام: إنى لا آمن عليك هنا و لا آمن على نفسى، فإن رأيت ان تصير فى حمدان، و أكون لك عينا على بنى الحرث، فذلك رأيى، و إن رأيت غير ذلك فافعل، فلم يسعد غير التّحول و الإنتقال إلى (وادعة) و أقام فيهم حتى قدم الإمام فى رجب من السنة المذكورة، و كانت قبيلة شاكر و ثقيف قد انضمتا إلى وادعة و تحالفوا على نصرته.

وصول الإمام عليه السلام الى نجران

لما وصل الإمام أعلى الوادى لقيه أبو جعفر محمد بن عبيد الله فى جماعة من الوادعيين، فسار إلى الحضر، و بات به و لما أصبح أتته الأحلاف و من كان يسكن بنجران من يام يعتذرون من اجتماعهم مع بنى الحرث على عامله، لأنهم استرهبوهم فعذرهم الإمام، و صفح عنهم، و أقام ذلك اليوم بالحضن، ثم سار إلى قرية الهجر، فكان القتال بينه و بين بنى الحرث، فقتل منهم ثمانية رجال، و استشهد أربعة من أصحابه فحملهم إلى الحضن، و دفنهم هنالك، ثم انتقل إلى قرقر قريبا من الهجر، و أمر بنهب جميع أسواق

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۱۲

بنى الحرث و خرابها، فكانت العسكر تفسد و اخماصا و تروح بطانا، و استمر يضيّق الخناق على من بالقرية يغاديهم القتال و يراوحهم النكال، بقطع نخيلهم، و هدم صياصيهم، فاستأ من إليه ابن بسطام و من معه من بنى ربيعة، و ذلك آخر رجب.

و لما رأى ذلك ابن حميد، تحول من ميناس إلى الهجر لتلافى الخطر، و تأييد من بقى، فشدد الإمام عليهم و أصدقهم القتال، و أمر

بقطع نخيل بنى حثيمة أصحاب ابن حميد، و لم يكن قطع عليهم قبل ذلك اليوم فلم يطيقوا عند ذلك صبرا، و أسرعوا فى طلب الأمان بعد التأبّى و الامتناع و استماحوه العفو، فعفا عنهم، و خرجوا من القرية، و دخلها الإمام، فى النصف الأخير من شعبان، و أقام بها إلى آخر رمضان، ثم وافته الأنباء بأن ابن حميد يستميل أعرابا من يام و بنى الحرث و يحثهم على التّمرد و العصيان، فبادر الإمام بالخروج، لخضد شوكته و القضاء على بذرته فلم يجده بالمكان، الذى قيل انه فيه، فأمر بقطع نخيله، فجاءت بنو الحرث ترجوه أن يكفّ عن القطع يومه، ريثما تجتمع بابن حميد فاسعدهم الإمام، و رجع إلى الهجر.

و فى اليوم الثانى أقبل أولاد ابن حميد، و طلبوا لأبيهم الأمان فوهبهم النّخل، و أجاب أنى لا أؤمنه حتى يطأ بساطى، و سأطلب نفسه و إبله، فإن ظفرت بشىء من ذلك فلا لوم لكم علىّ، و بلغ ذلك ابن حميد، فسار من ساعته إلى البادية يجوس خلال ديار شعب ثائر صعب المقادة ، نزاع إلى الشّر على استعداد تام و أهبة كاملة للعيث و الانتقاض، فلا يحتاج إلى مداورة و طول عناء لإثارتها، داحسية شعوى، تضطر الإمام إلى مواصلة الزحف

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۱۳

و سوق الجيوش، و تكبد المشاق، ثم لا يقف سيل هذه الفتنة، حتى يجترف عامل الإمام و يقضى عليه القضاء الأخير كما سيمر بك قريبا و لله القائل:

إن الذئاب قد اخضرّت براثنهاو ليس يؤمن ذئب مسّه ضرر

و رب هيجا خير من موادعةو رب سلم هو السم الذى ذكروا

و أقام الإمام بنجران و قد ذلّت له الرقاب و تضاءلت له النفوس، و استأمنت إليه جميع القبائل يام و بنى الحرث و غيرهم، و لم يبق غير ابن حميد كما مرّ، ثم رجع الإمام إلى صعدة لسبع مضت من ذى القعدة.

نزول الإمام إلى تهامة و عزم ابى القاسم محمد بن الإمام لحرب القرامطة

فيها وصلت الإمام كتب من الغطريف الحكمى و إبراهيم بن على الحكمى يسألانه المصير إليهما و إنهما سيسلمان إليه ما فى أيديهما من مال و عسكر، و مخلاف و أعطيا على ذلك العهود الغليظة و المواثيق الأكيدة، فلم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۱۴

يثق الإمام بما بذلا حتى أرسلا جماعة من ثقاتهما إليه، ليوجبوا عليه الحجّة و سألوه أن يرسل إليهم من ثقاته من يستحلفهم على ما أعطوه، فوجه إليهم نفرا من أصحابه لذلك، و بعد أن أخذوا عليهم العهود و المواثيق، عادوا إليه، و لما صحّ له ما أعطوه من أنفسهم أرسل الصوارخ فى خولان فاجتمع إليه منهم عسكر كثير.

و وجه ابنه أبا القاسم إلى خيوان، و أمره أن يكون على أهبة، فإذا جاءته كتب من زبيد سار لحرب القرامطة، إلى صنعاء بهمدان، و من قدر على جمعه من غيرهم، و عزم الإمام بمن معه نحو تهامة حتى وصل إلى شرس ، فكتب إليه الحكمى أن يصير إلى محل يقال له طرطر ، و بذلك المحل تلقّته رسل الحكمى بالغنم و البقر و الطعام و العلف و نحو ذلك، نزلا له و لأصحابه، و بلغه ان جميع ذلك اخذ على الرعية، و انه كما قيل (جدح جوين من سويق غيره) فأرسل الإمام إلى أهل القرية، ورد عليهم ما أخذ منهم و أخبرهم ان ذلك لا يحل له و لا يستجيزه، و لما علم الحكمى بما كان سقط فى يده و ندم على استدعائه الإمام، و رجع القهقرى، و كشّر للإمام عن نابه و جمع جموعه لمحاربته فالتقى الفريقان، و التحم القتال بينهما فكانت الدائرة على الحكمى، و على الباغى تدور الدوائر .

و فيها قتل ابراهيم بن خلف مولى آل طريف و قد ذكرنا هربه من صنعاء

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۱۵

إلى تهامة و كان استقراره بالكدرا ثم إنه طلع منها هذه السنة و أراد الاستيلاء على جبل ذخار فقتله عبد لعدنان صاحب الجبل و بعث

برأسه إلى مولاه.

كلمة عن القرامطة و ما قيل فى هذه النحلة الباطنية أو الإسماعيلية

فى أواخر القرن الثالث للهجرة كانت الدولة العباسية، قد كبرت و شاخت، و أصبحت تعيش فى ظلّ الأمراء و المتغلبين، من فرس، و ترك، و ديلم و نحوهم، و كانت الدّعاية لأهل البيت النبوى عليهم السلام و الإنتصار للدّين تكأت كل ثائر، و سلاح كل طامع، و كان أهول الدعايات خطرا، و أبعدها أثرا النحلة القرمطية، تلك النحلة التى أحدثت أعظم زلزلة هزّت الإسلام، و ساقطت شرفاته، و أحدثت اكبر انقلاب عرفه تاريخ المسلمين، و كان مثير هذه الفتنة التى طال جثومها و اشتدت غيومها، و تلونت مكائدها، و تعدّد مصائدها، رجل قدم من خوزستان، و نزل بسواد الكوفة، فمرض ذات يوم فساعده رجل يدعى كرميته، لحمرة فى عينيه و اللّفظة نبطية و معناها، حمرة العين فلما شفى شيخ القرامطة المذكور، سمى باسم ذلك الرجل، و خفف بعدئذ فسمى قرمط، و قيل إنما لقب بقرمط لقرمطته أى تقريبه فى خطه أو خطوه، و القرمطة كلمة عربية معناها إخفاء الكتابة أى دقّتها، و عدم إظهارها، و كان ظهور هذه النحلة الضالة حوالى سنة ۲۷۸ و أول من أظهرها أبو سعيد الجنّابى القرمطى، و كان ورعا زاهدا متقشفا لا يأكل إلّا من كسبه كثير الصلاة و العبادة، أقام على ذلك مدّة، و اعلم الناس انه يدعو إلى امام من أهل البيت عليهم السّلام، فانتشر مذهبه فى الشّام و سواد الكوفة، و كثر أتباعه، و خضعت لهم دمشق، و استولوا على كثير من البلدان و أسّسوا دولة بالبحرين، و امتد نفوذهم إلى الحجاز و اليمن كما سيأتى، و غاية نحلتهم تعطيل الشّرائع

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۱۶

و إنكار النّبوءات و البعث و الجزاء، و تحريف نصوص الكتاب و السنة بتأويلها إلى باطن و ظاهر فى أول الأمر و الخروج إلى الإلحاد و التعطيل فى النهاية، قال المقريزى فى خططه (و كان ابتداء أمر قرمطة هذا فى سنة ۲۶۴ أربع و ستين و مائتين، و كان ظهوره بسواد الكوفة فاشتهر مذهبه بالعراق، و قام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الحال، و المدثر، و المطوق، و قام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنّابى من أهل جنّابة ، و عظمت دولته و دولة بنيه من بعده، حتى أوقعوا بعساكر بغداد، و اخافوا خلفاء بنى العباس، و فرضوا الأموال التى تحمل إليهم فى كل سنة، على أهل بغداد و خراسان و الشام و مصر و اليمن، و غزوا بلاد الشام و مصر و الحجاز، و انتشرت دعاتهم بأقطار الأرض، فدخل جماعات من الناس، فى دعوتهم و مالوا، إلى قولهم، الذى سمّوه علم الباطن، و هو تأويل آيات القرآن و دعواهم فيها تأويلا بعيدا انتحلوا القول به بدعا ابتدعوها بأهوائهم فضلّوا، و أضلوا كثيرا) انتهى.

و قد اختلف الناس فى تسميتهم فمنهم من يسمّيهم بالقرامطة، و منهم من يطلق عليهم لقب الباطنية أو الإسماعيلية، نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق عليه و على آبائه السلام، و مذهب الإسماعيلية: أن الأئمة سبعة، و هم على عليه السلام و الحسن و الحسين و على بن الحسين، و محمد بن على و جعفر بن محمد الصادق، و هم مختلفون فيما بينهم، فمنهم من يعد محمد بن اسماعيل بن جعفر، و يسقط إسماعيل، و منهم من يعدّ إسماعيل، ثم يعدّ بعده ابنه محمد، و هذا مذهب خلفاء مصر ، و مذهب الإسماعيلية، و مذهب الامامية متفق فى المبدأ العام للتشيّع و هو أنه لا بدّ للناس من إمام

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۱۷

معصوم يبلغهم الشريعة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و على آله و سلم، و أن الشريعة لا تؤخذ بالرأى، و يتفقون منهم على إمامة الستة من على بن أبى طالب إلى جعفر الصادق، و منه يبتدىء الخلاف فالإثنا عشرية، ذهبوا إلى فرع موسى الكاظم، و الإسماعيلية ذهبوا إلى فرع إسماعيل و لما كان الإمام، هو حجة الله فى ارضه على عباده، و لا تبقى الأرض بغير إمام حجّة، و الإيمان بالإمام جزء من الإيمان و عبادة الله، و معرفته، لا تتم إلّا بمعرفة الإمام و من مات، و لم يعرف إمامه، مات ميتة كفر و نفاق، و لم يقم احد من ولد إسماعيل و يظهر للناس، قالوا: إن الإمام قد يكون مستورا مكتوما عن الناس خبره، و لا بد له من نائب لتبليغ الدعوة و ساقوا الإمامة إلى

محمد بن اسماعيل، ثم أولاده من بعده، و لهم تعاليم يسترون كثيرا منها عن الناس، و من أجل ذلك يطلق عليهم اسم الباطنية: و بعضهم يقول: أن أصل هذه النحلة يرجع إلى النحلة الديصانية ، و أن عبد الله بن ميمون القداح و أبوه ميمون كانا ديصانيين، و ان عبيد الله المهدى رأس الدولة الفاطمية العبيدية، من نسل هذا الرجل و الخلاف فى صحة هذا القول و عدمه مشهور، و هو يدور حول نسب العبيدية و ليس ذلك غرضنا الآن، و الذى يهمّنا من البحث معرفة الفرق بين الإسماعيلية و القرامطة و الباطنية، لعلاقة البحث بالتاريخ اليمنى، و هل الثلاثة الأسماء لمسمّى واحد أم لعدة مسمّيات، قال فى تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام: ان أعظم مسألة و أكبر مشكلة تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۱۸

عرفها التاريخ حركة الاسماعيلية، فقد قدروا على توفيق ما لم يوفق من مصالح طبقات النّاس المتباينة و هذا تاريخ الإنسانية كله يشهد شهادة صادقة على أنه لم يقم حتى اليوم و أرجح انه لن يقوم فى المستقبل، حزب أو دين أو مذهب أو جميعة، أو شركة تضم تحت لوائها الغالبين و المغلوبين، و أصحاب الأفكار الدينية، و المتعصبين للدّين من جميع الطوائف، و تتخذ المؤمنين واسطة لنقل السلطة إلى الكافرين، و تستعمل الغالبين آلة لهدم ما بنوه من الملك و تسليمه إلى غيرهم

ثم هى تؤلف حزبا كبيرا متلاحما مطيعا تستند عليه لوضع تاج الملك عند سنوح الفرصة إن لم يكن على رأس مؤسس ذلك المذهب فعلى رأس أحد خلفائه: هذه كانت غاية عبد الله بن ميمون القداح الأساسية و هذه كانت أفكاره، و هى كما نرى أفكار غريبة مدهشة جريئة، و قد ساعده على تحقيقها دهاؤه النادر، و لياقته الغريبة، و معرفته العميقة لمصالح الناس، فلو فتّشت صفوف الإسماعيلية لوجدت بينها ممثلى جميع الأمم الخاضعة يومئذ لخلفاء بغداد، من عرب و عجم و كرد و ترك غيرهم: و جميع الأحزاب السياسية و الاجتماعية، و لرأيت بينهم الفوضويين و الشيوعيين على إختلاف نحلهم و مبادئهم، و ممثلى جميع الاديان و المذاهب، من السنية و الشيعة إلى الملحدين و الدهريين، و غاية الكل واحدة ، و هدفهم الوصول إلى نتائج لم يصل إليها أحد قبلهم، و هذا من غرائب الأمور، و لهم أسرار لا يطّلع عليها إلّا من قطع مراتب، أو مراحل التكرس المطلوبة، و اقسم القسم الغليظ أمام الداعى و هذه أسماء الدرجات:

التفرس التأنيس التشكيك التعليق الربط التدليس التأسيس: و لكل درجة من هذه الدرج علم يتلقاه المدعو فى تلك الدّرجة و من قواعد هذه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۱۹

الفرقة أنه لا يحلف القسم المطلوب و لا يؤخذ الرتبة الرابعة ، و ما عداهم إلى هذه الرتبة لا يعرفون من سر الجمعية إلا مبادئها الدينية و الأدبيّة فقط.

أما تعاليمها الاساسية و الاجتماعية فلم يكن يكشف لهم عنها إلّا بعد الدرجة الرابعة، و السّر فى نجاح هذه الفرقة تغلبها على العصبيّة القومية التى لم يقدر عليها بنو أمية و لا بنو العباس فانهم أظهروا أن المسائل القومية لا تهمهم، و لا هى من أغراضهم فسواء لديهم العربى و العجمى و النبطى و المسلم و الكافر، فقد كانوا ينشرون دعوتهم بين جميع الأمم الخاضعة للدّولة العباسية. و بين جميع الأحزاب و النحل لا يفرقون بين دين و دين، و لا بين حزب و حزب انتهى.

فإذا عرفت ما تقدم و قدرت على درس كتبهم و على ما يلقونه من التشكيك و الهذيان، على المدعو الى نحلتهم و المجذوب إلى حظيرتهم، من المفتريات الكاذبة و المزاعم الباطلة الموصلة إلى تعطيل الشرائع، من أن لكل آية أو أثر معنيين ظاهر و باطن، و ان التّكاليف الشرعية أغلال، المراد منها سياسة الإنسان غير المهذب، عرفت سر تسميتهم بالباطنية هذه خلاصة ما قيل عن الفرق الثلاث، أو الفرقة ذات الأسماء الثلاثة كما يؤدّيه ظاهر الكلام المتقدم.

و ذهب الأستاذ محمد الخضرى فى محاضراته إلى أن النحلة الفاطمية نحلة سياسية الغرض منها تحطيم الدولة العباسية و القضاء عليها، إلّا أنها شيبت بشىء من التعاليم لتكون مقدمة للدعوة و أساسا لها حتى لا يفجأ المدعو بالغرض السياسى لأول وهلة، و التعاليم، متى

كانت سرّية حامت حولها الظنون، و جعلتها الشكوك فى ظلمات، حتى لا تتميز حقيقتها و قد نشأ

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۲۰

عن هـذا المـذهب قوتان كبريان، احداهما منظمة معتدلة و مركزها قرية سلمية بقرب حمص، و هى موّئل الدّولة، الفاطمية العبيدية، و مجمع أسرارها، و الثانية قوة ذات فوضـى و جور، و نكوب عن حسن السياسة، و مركزها كان لأول ظهورها بالعراق، و هى القرامطة و هذه أولاهما فى الظهور، فإنها ظهرت بوادر شرّها فى عهد المعتمد على الله:

و فى الأحـداث الكائنـة أيام الفاطميـة ما يؤيـد نظريـة الأستاذ الخضـرى، فقد كانت الحروب على أشدها بين الفاطميين و القرامطة، و ذلك على عهـد المعز لدين الله أول من ملك مصـر من العبيديين و القائد جوهر، و لما هلك المعز، و تولى بعده ابنه العزيز سـنة ۳۶۵ أغارت القرامطة على دمشق و كان بها القائد جوهر، ففر منهم إلى عسـقلان فحصروه بها سبعة عشر شهرا حتى افتدى نفسه منهم بمال، ثم قصـدهم العزيز و قاتلهم قتالا شديـدا، و انتصـر عليهم، بعد أن قتل من أصـحابه نحوا من عشـرين ألفا، و هذه الأحداث و إن كانت تـدل على العـداء المستحكم و التبـاين بين الفريقين، فـإن فى غيرهـا ما يـدلّ على الإتصال الوثيق بين الطائفتين، و ذلك فيما رواه ابن الاثير و غيره، عن أبى طاهر القرمطى، لما أخـذ الحجر الأسود و قتل الحاج، و انتهك حرمـة البيت الحرام، كتب إليه المهـدى عبيد الله الفاطمى من المغرب ينكر عليه ذلك و يلومه و يلعنه، و يقول: قـد حققت على شـيعتنا، و دعاة دولتنا اسم الكفر و الإلحاد بما فعلت، و إن لم ترد على أهـل مكـة، و على الحجـاج و غيرهم مـا أخـذت منهم و ترد الحجر الأسود إلى مكـانه، و ترد كسوة الكعبـة فأنا برىء منك فى الدنيا و الآخرة، و لما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود إلى موضعه، و قال: أخذناه بأمر ورددناه بأمر .

و ذكر المعرى فى رسالة الغفران: أن للقرامطة بالاحساء بيتا يزعمون أن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۲۱

إمامهم يخرج منه و يقيمون على باب ذلك البيت فرسا بسرج و لجام و يقولون للطغام هذه الفرس لركاب المهدى يركبه متى ظهر، و إنما غرضهم بذلك خدع و تعليل و توصّل إلى المملكة و تضليل، و من أعجب ما سمعت أن بعض رؤساء القرامطة فى الدّهر القديم، لما حضرته المنيّة جمع أصحابه، و جعل يقول لهم لما أحسّ بالموت (إنى قد عزمت على النقلة، و قد بعثت موسى و عيسى و محمدا، و لا بد لى أن أبعث غير هؤلاء: فعليه اللعنة لقد كفر أعظم الكفر فى الساعة التى يؤمن فيها الكافر، و يؤوب إلى آخرته المسافر) انتهى.

و الـذى يمكن الجزم به أن هـذه الطائفـة المتذبذبـة الملحـدة توافق الإسـماعيلية فى المبـدأ و الغايـة، مبـدأ التّشـيع و الدعوة إلى الامام المزعوم، و الغاية التغلب و الاستيلاء على الملك و الكيد للدّول الاسلامية، و لذلك تصافحوا أول الأمر، و اتفقوا على الكيد و الغدر و تنابذوا فى النهاية على الملك و الفساد فى الأرض، و الله لا يصلح عمل المفسدين.

اليمن و حظّه من الدعايات الثلاث منصور اليمن و ابن خليع على بن فضل

عرف أهل اليمن من قـديم الزمان بالحبّ لأهل البيت النّبوى عليهم السـلام، و على الخصوص قبيلة همدان المشـهورة بما كان لها يوم صفّين مع الإمـام على بن أبى طـالب عليه السـلام و لم تزل رجالاـت همـدان تتقرب من الإمـام على كرم الله وجهه بمناصـرته، و لزوم جماعته حتى أثنى عليها بقوله:

و لو كنت بوابا على باب جنةلقلت لهمدان ادخلوا بسلام

و فى هـذا البيت من عاطفـة الحب و الإـحترام ما لا يفتقر إلى مزيـد بيان، و لما قتل الخليفـة الثالث عثمان بن عفان، و كان ما كان من المحن و الرزايا،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۲۲

أصـاب اليمن، رذاذ من سبيـل الفتنـة الجـارف، فظهر بعض رجـال فى اليمن بـالتّعصّب لعثمان و راسـلوا معاويـة بن أبى سـفيان، فانتهز

معاوية الفرصة، و أرسل بسر بن أرطاة العامرى، فدخل بسر اليمن و أظهر من القسوة و الجبروت، و الخبث المتناهى فى معاملته لأصحاب على عليه السلام و شيعته، ما ينكره الدين، و يمقت مرتكبه و تشمئز منه الإنسانية و الحق و الفضيلة، حتى أفضت به الحال فى تجاوز الحد إلى قتل قثم و عبد الرحمن ابنى عبيد الله بن العباس، عامل أمير المؤمنين على اليمن، و هما صبيّان لم تخضر مآزرهما فانحازت همدان إلى جبل شبام همدان، و هو ذمرمر و تحصنت فيه من طغيان بشر المذكور .

و لم تزل تحتفظ بحبها للإمام على و أولاده عليهم السلام، حتى تكوّنت من ذلك الحب فكرة سياسية، و قام بتمثيل هذه الفكرة رجال خبراء بطرق الاستغلال، و من جملتهم أحمد بن عبد الله بن خليع بعدن لاعه و كان خبيرا برجال الشيعة، و من ينتمى إليهم و كانت نحلة الاثنا عشرية، و شقيقاتها، فى طور الاكتمال و النمو، فكان ابن خليع يوهم أتباعه باقتراب ظهور المهدى، و يبث فيهم سمومه الفتاكة، و يقول قيام المهدى فى العام الذى يدخل فيه منصور اليمن، و هو يدخل فى هذا العام، و جعل يعدّ عدته من سلاح و مال و نحوه فاتصل بنا ذلك الدّاعية، و ما يقوم به من الخدمات لجمعيته السرّية، بملك صنعاء ابن أبى يعفر، فأمر من أتاه به و سجنه حتى مات فى سجنه، و كان رئيس الجمعية علم بما كان فأوفد إلى اليمن من قبله الحسن بن فرج بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۲۳

حوشب و يعرف بمنصور اليمن للدّعوة إلى المهدى، و أمره أن يقصد عدن لاعه ، فانتهى به السير إلى عدن ابين فوجد هنالك من رجال مذهبه من دلّه على عدن لاعه، فسار إليها و وجد بها انصاره الذين قد تسمّمت عقولهم بذلك المذهب، فأكرموا وفادته، و اقترن بأبنة أحمد بن عبد الله الداعى قبله الهالك فى سجن بن يعفر، و قبض ما كان قد أعدّ ابن خليع من مال و سلاح، و أظهر الدّعوة و أقام بنشر أفكاره الهدامة و ابتنى بيت ريب بجبل مسور، و ملك الجبل المذكور، و كوكبان، و ما بينهما من البلدان، و التف حوله لفيف من همدان و استفحل شأنه، إلى أن بعث الى السند داعية ابن أخيه المعروف بالهيثم، و بعث إليه رئيس الجمعية بأبى عبد الله الحسين بن احمد بن زكريا الشيعى الصنعانى، و أمره بامتثال أوامر منصور، فى المنشط و المكره، و ان يترسم خطاه، و يحتذى أعماله، و بعد ان يفهم الدرس و يجيد الدّس، يذهب حيث أراد ففعل الشيعى ما أمر به، و حذق الصنعة، و سار إلى افريقية لبث الدّعوة بها، و ما زال، دائبا عاملا، حتى تغلبت الدعوة على القيروان، و غيرها فى إفريقية، و أزالت ملك بنى مدرار من المغرب، و كان لهذه الدعوة بكتامة، و بلاد البربر ما هو مشهور و خرج مع الحس بن فرج داعية أيضا على بن الفضل اليافعى الخنفرى ، و لكنه لم يقف عند رموز ذلك المذهب بل تجاوز الحدّ فأظهر الكفر و الرّدة و الإباحية جهارا بلا مواربة و لا توارى، بل تجاوز ذلك و جاذب فرعون حبل كفره الملعون، و تلك غاية السخف و الطغيان، و قد

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۲۴

فعل من العيث و التدمير و التخريب و التقتيل فى الأمة اليمنية مالا يوصف و لا يحيط به البيان، و سنأتى على أخباره تفصيلا، و إنما سقنا هذه الجملة لبيان اصل هذا الداء و من أين بدا و كيف ظهر، و فوق كل ذى علم عليم.

قال الجندى فى تاريخه ، كان على بن الفضل من عرب يقال لهم الاجدون ينسبون إلى ذى جدن، و كان شيعيا على مذهب الاثنا عشرية ، فحج مكة ثم خرج مع ركب العراق لزيارة مشهد الحسين فلما وصله جعل يولول و يصيح، و يقول ليت من كان حضرك يا ابن رسول الله حين جاءك جيش الفجرة، و ميمون القداح ملازم للضريح و معه ولده عبيد الله يخدمه، فحين رأيا ابن فضل على تلك الحالة طمعا فى اصطياده، ثم خلا به ميمون، و عرفه انه لا بد لولده من دولة يتوارثها بنوه لكن لا تكون حتى تكون بدايتها من اليمن فقال إبن فضل ذلك يمكن فى اليمن، و الناموس جائز عليهم فأمره بالتّثبيت و الوقوف حتى ينظر ما فى الأمر، و كان ميمون فى الأصل يهوديا قد حسد الإسلام، و اغتار على دينه فلم يجد حيلة غير العكوف على تربة الحسين بكربلاء و إظهار الإسلام و أصله من سلمية مدينة بالشام و انتسب إلى العلوية، و أكثرهم ينكر صحة نسبه . و الله أعلم.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۲۵

قال و قطع ابن مالك بأنه يهودى، و صحبه رجل من كربلاء يعرف بمنصور بن الحسن بن حوشب بن الفرج بن المبارك من ولد عقيل بن أبى طالب، كان جده زادان اثنا عشرى المذهب أحد أعيان الكوفة. و سكن أولاده على تربة الحسين فحين قدم ميمون تفرّس بمنصور النجابة و الرياسة فاستماله و صحبه و كانت له دنيا يستمد منها، و كان ذا علم بالفلك، فأدرك ان له دولة و انه احد الدعاة إلى ولده، فلما قدم ابن فضل و صحبه رأى انه قد تم له المراد و ان ابن فضل من أهل اليمن خبير به، و بأهله، فقال ميمون لمنصور: يا أبا القاسم ان الدّين يمان و الكعبة يمانية و الركن يمان و كل امر يكون مبتدأه من قبل اليمن فهو ثابت لثبوت نجمه، و قد رأيت ان تخرج انت و صاحبنا على بن فضل إلى اليمن و تدعوان إلى ولدى فسيكون لكما شأن و سلطان، و كان منصور قد عرف من ميمون إصابات كثيرة، و بعد أن أوصاهما بالاتفاق و حذرهما من الافتراق أرسلهما و أمرهما بإخفاء أمرهما و أمر منصور ان يقصد عدن لاعة من بلاد حجة، فلم يعرف منصور عدن لاعة، و قصد عدن أبين، ثم انه خرج من عدن أبين صحبة جماعة من التجار من تلك البلاد و ما زال يظهر الورع و العبادة حتى استمالهم إليه و دعاهم إلى المهدى المنتظر، و حلف منهم جماعة على القيام، و صاروا يأتون إليه بزكاة أموالهم، ثم انتقل بما معه من الأموال و بنى عين محرم و هو حصن كان لبنى الفدعا و تبعه خمسمائة رجل ممن تابعه و عاهده فأظهر الدعوة علنا، و مال إليه خلق كثير، و لما أخذ جبل مسور استعمل الطبول و الرايات، بحيث كان له ثلاثون طبلا، إذا أقبل من مكان سمعت الى مسافة بعيدة، و كان للحوالى حصن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۲۶

بجبل مسور، به وال انتزعه منه، و كتب إلى ميمون بخبره بقيام أمره و ظهوره على من عانده، و بعث له بهدايا و تحف جليلة و ذلك عام (۲۹۰)، و لما وصلته الهدايا قال لولده عبيد الله: هذه دولتك قد قامت لكن لا أحب ظهورها إلّا من المغرب، و هذا عبيد الله هو الملقب بالمهدى جد ملوك المغرب و مصر و إليه ينتسبون:

و أما على بن فضل فإنه قصد أول أمره بلد يافع، و جعل يتعبّد فى الأودية و الشعاب حتى اغتر به أهل البلاد و انخدعوا بزوره و تمويهه، و سألوه أن يطلع جبلهم فأبى أول الأمر ثم أجابهم على شرط الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر:

جعلوا الحق لبغى سلّمافهو كالبتار لهم و الترس

و قديما باسمه قد ظلماكل ذى مأذنة أو جرس

فسمعوا له و أطاعوا، و أتوه بزكاة أموالهم، و أخذ عليهم العهود بالسّمع و الطاعة، و أمرهم بعمارة حصن فى ناحية السرو ففعلوا و انهبهم اطراف البلاد و أراهم ان ذلك جهاد فى سبيل الله حتى يدخلوا فى دين الله طوعا أو كرها، و كان يومئذ فى لحج و ابين رجل يعرف بابن أبى العلاء من الأصابح مالكا لها فقصده ابن الفضل بمن معه من يافع و غيرهم، فكانت الدائرة عليه و انهزم إلى صهيب و اجتمع هنالك أصحابه فقال لهم: إنى أرى رأيا صائبا قالوا: و ما هو، قال: اعلموا ان القوم قد امنوا منا وارى ان نهجم عليهم فانا نظفر بهم فأطاعوه و أعادوا الكرة على إبن ابى العلاء، فظفروا به، و قتلوه و استباح ما كان له و لأصحابه، و وجد فى خزائنه سبعين بدرة، و بذلك طار ذكره و غلظ

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۲۷

أمره، و قصد المذيخرة سنة ۲۹۱، و بها جعفر بن احمد المناخى و إليه ينسب مخلاف جعفر، و كان ابن فضل، قد كتب إلى المناخى: بلغنى ما أنت عليه من ظلم المسلمين، و أخذ أموالهم، و إنما قمت لاقامة الحق و إماتة الباطل، و كان جعفر قد قطع من أهل جهته على حجر بالمذيخرة ثلثمائة يد فاقترح عليه ابن فضل تسليم دية الأيدى المقطوعة، ثم جمع جموعه و قصد المناخى، و لما التقى الجمعان انهزم ابن فضل و عاد إلى بلد يافع، و كانت الوقعة يوم الخميس لثمان خلون من رمضان من السنة المذكورة.

و دخلت سنة ۲۹۲ فى صفر منها تجهز الطاغية لمنازلة جعفر المناخى و قصد المذيخرة فدخلها، و أخذ حصن التعكر ففر المناخى إلى تهامة و بلغ القرتب من وادى زبيد فأمدّه صاحب زبيد بجيش كثيف، فرجع يريد استرجاع المذيخرة فلقيه على بن الفضل فى جموعه،

و كانت بينهما ملحمة كبرى قتل فيها جعفر بن ابراهيم و ابن عمه ابو الفتوح، و حملت رؤوسهم إلى المذيخرة، و تم للطاغية الاستيلاء على بلاد المناخى و جعلها مستقر طغيانه.

قال الجندى و لما ملك ابن فضل بلد الجعفرى استباح البلد و سبى الحريم و جعل المذيخرة دار ملكه، ثم ادّعى النبوءة، و أحل لأصحابه شرب الخمر، و نكاح البنات و الأخوات، و دخل الجند فى موسمها أول خمس من رجب، فصعد المنبر و قال الأبيات المشهورة و هى:

خذى الدف يا هذه و العبىو غنّى هزاركِ ثم اطربى

تولى نبى بنى هاشمو هذا نبى بنى يعرب

لكل نبى مضى شرعةو هذى شريعة هذا النبى

فقد حطّ عنا فروض الصلاةو حط الصيام و لم يتعب

إذا الناس صلوا فلا تنهضىو ان صوّموا فكلى و اشربى

و لا تطلبى السعى عند الصفاو لا زورة القبر فى يثرب

و لا تمنعى نفسكِ العرسينمن الأقربين مع الاجنبى

و هذه الأبيات الإباحية و إن كانت تمثل نزعة الطاغية و استهتاره فإنّا نستبعد ان يكون هو قائلها و الأرجح ما رواه الشرفى فى لآليه من انه قالها فيه بعض شعراء عصره .

و دخلت سنة ۲۹۳ فيها سار إلى بلاد يحصب و دخل منكث فأخربها، و لما وصل ذمار وجد بها جيشا عظيما للأمير الحوالى بهران فكتب إلى والى هرّان و يقال له اليافعى كتب إليه يستميله فأجابه اليافعى، و مال إلى نحلته، ثم قصد ابن فضل صنعاء بجنود جرّارة فنزل ضبوة، و خرج إليه امير صنعاء اسعد بن أبى يعفر فحاربه يومه و قتل من أصحاب الطاغية بن فضل أربعمائة رجل، و رجع أسعد آخر ذلك اليوم إلى صنعاء فتعقّبه بن فضل ليلا، و لم يتمكن من دخول المدينة، فحط بجبل تقم ثلاثة ايام، و فى اليوم الرابع هاجم صنعاء فى خمسة آلاف مقاتل، و دخلها من ناحية الشهابيين بسعاية مهلّب الشهابى فحاربه أسعد بن أبى يعفر إلى عصر ذلك اليوم، و كان يوما عصيبا على أهل صنعاء، و خرج منهم جماعة بأهلهم و أولادهم و تركوا منازلهم، و امتعتهم، فاستباح الطّاغية صنعاء قتلا و نهبا، و أباح المحارم و فر ابن يعفر إلى شبام، فحاربه القرمطى صاحب جبل ذخار، فخرج ابن يعفر بأهله و أثقاله إلى بلاد الدعام قال فى أنباء الزمن: و لما تمكن ابن فضل من

صنعاء لم يحسن فيها صنعا أظهر مذهبه الخبيث، و دينه المشؤوم و ارتكب محظورات الشرع وادعى النبوءة ورقا منبر جامع صنعاء و خطب خطبة منكرة صرّح فيها بعقيدته الكفرية، و حمل عليها من تابعه من تلك الفرقة الغوية، و قد ذكر هذه الخطبة كثير من المؤرخين، و إنما تركناها تنزيها لكتابنا عن كلام هذا المارق اللّعين، و إن كانت شاهدة عليه بالكفر الصّريح، غير أن فى أعماله ما يغنى عن التصريح ضاعف الله له العذاب، فى يوم الجزاء و الحساب، فإنه هدم أركان الاسلام، و بالغ فى دحض الشرائع الواردة عن سيد الأنام صلى الله عليه و على آله الكرام، و أباح لتابعيه الخمور، و إتيان الذكور، و ارتكاب المحرّمات من نكاح البنات و الأمّهات، و أسقط حج بيت الله الحرام، و من قبيح فعله أنه اتّخذ جامع صنعاء إصطبلا للخيل بعد تلاوة القرآن فيه بالنهار و الليل .

و لما علم منصور بن حسن بدخول الطاغية صنعاء تجهّز بالمسير إليه من مسور، و حين اجتمع به لامه على ما فعل بصنعاء و أقاما اياما و ابن فضل يعظم منصورا و يبجله و يقول: انما أنا سيف من سيوفك، و يوهم أصحابه ان منصور بن حسن من جملة أتباعه، و كان منصور يهاب ابن فضل لجرأته و فتكه، فكان كل واحد منهما يضمر الشر للآخر، و يتربص به و لسان الحال تنشدهما:

شقيان فى خلق واحدتؤلف بينهما الزندقة

كشقّى مقص تجمعتاعلى غير شىء سوى التفرقة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۳۰

و لما عزم ابن فضل على قصد تهامة نهاه منصور بن حسن و قال له:

الرأى ان تقف بصنعاء و انا بشبام سنة، حتى نصلح البلاد التى استفتحناها، و تتمكن فيها اليد، فلم يسعد ابن فضل، و سار فى ثلاثين ألفا و جعل طريقه على بلاد المغارب، و لما توسط مضايق البلاد ثارت عليه القبائل، و لزموا الطّرق، فلم يقدر على التخلص فانجده منصور و خلصه من أيدى الثائرين فسار ابن فضل لطيته و كان مروره على ملحان و منه توجه إلى المهجم، فقتل صاحبها، ثم سار إلى الكدرا، فأخذها، و تقدم إلى زبيد ففر منه اسحق بن ابراهيم بن زياد فنال منه ابن فضل ما يريد، و ملك زبيد، و قتل من أهلها و سبأ من نسائها أربعة آلاف عذراء، ثم خرج منها راجعا إلى المذيخرة، و لما وصل بعض الطريق قال لأصحابه ان هؤلاء النساء شغلنكم عن الجهاد، و نساء الحصيب فتنة فاذبحوا ما فى أيديكم منهم فذبحوهن فى ساعة واحدة، فسمى ذلك الموضع الذى ذبحن فيه المشاحيط، و لعمرى ان القلم ليتعثّر خجلا من تسطير تهافت هذا الطاغية و استهتاره لو لا أنها حقائق تاريخية، و كيفما كان فإن ذلك لا يمنعنا من إرسال اللّعنات على مرتكب تلك المخازى و المقت العظيم، لتلك الدعاية التى عبدت الطرق لملحد مستهتر يستبيح المدن و من فيها و يقتل أربعة آلاف عذراء فى ساعة واحدة لا قوة إلّا بالله.

أحوال صنعاء بعد عزم الطاغية عنها و رجوع الإمام الهادى إليها

فى هذا العام بعد رحيل ابن فضل عن صنعاء و ثب بها ابن كبالة فاستولى عليها و قتل من بها من فلول القرامطة و كتب بذلك إلى الدعام لينجده

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۳۱

فارسل الدعام ولده الحسين فى عسكر إلى صنعاء و كتبا إلى الامام الهادى عليه السلام يعلمانه بما كان، و يدعوانه اليها فأجابهما الإمام، و أرسل ابنه أبا القاسم، فسار إلى صنعاء فى جمادى الأولى ثم ان جماعة من أهل صنعاء ساروا إلى حضرة الإمام يستنهضونه، فبادر إلى صنعاء، و دخلها لأربع ليال من جمادى الآخرة من السنة، و دخل معه آل يعفر و الدعام، و ولده و ابناء الروية و ولد جعفر بن ابراهيم المناخى، و غيرهم من رؤساء اليمن و سراته، و كانت إقدام القرامطة قد تزعزعت و حاربهم ابن كباله فى ضهر و شبام و طردهم عنها، فبعث الإمام ابنه ابا القاسم إلى ذمار و ولّى القضاء بصنعاء احمد بن يوسف الحداقى.

و كان ابن فضل يحارب اسحق بن ابراهيم بن زياد فى زبيد و لما فتحها و فرّ صاحبها كما تقدم عاد إلى المذيخرة و قد قوى أمره و ارتفع دخانه فأرسل عيسى اليافعى إلى ذمار فخرج منها أبو القاسم و لحق بالإمام إلى صنعاء و سار ابو العشيرة احمد بن محمد بن الروية إلى ثاه رداع فانحاز إليه كثير من عشيرته و أهل البلد فقصده اليافعى إلى رداع و قتله و استباح البلد .

و دخلت سنة ۲۹۴ فيها وثب ابن كبالة على الامام الهادى فندب الامام لحربه أهل صنعاء فتخاذلوا، فخرج الإمام من صنعاء و عاد إلى صعدة فى عاشر المحرم و كان أسعد بن أبى يعفر قد صار بهمدان، و أقام بورور، قبل أن يرتكب ابن كبالة جريمته، فكتب إليه يستقدمه، و كان جراح بن بشر بشبام فأخرجه القرمطى منها و عاد إلى صنعاء و وصل اسعد بن أبى يعفر و أقاموا جميعا بصنعاء و اقرّوا احمد بن يوسف قاضى الإمام على القضاء.

و فيها عزم ابن ذى الطوق القرمطى و عيسى اليافعى الى بلاد المغرب، فخرج لحربهما جراح و ابن كبالة فى أهل صنعاء و عسكرهما، فقاتلوهم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۳۲

و انهزموا عنهم بعد أن قتل من أهل صنعاء و غيرهم أربعمائة قتيل، و عادوا إلى صنعاء ثم ان ابن ذى الطوق القرمطى و ثب على

عيسى اليافعى القرمطى فقتله، و جماعة من أصحابه غدرا فاستأمن بقية أصحاب اليافعى إلى صنعاء.

رجوع الطاغية إلى صنعاء

و فيها عزم الطاغية ابن فضل على قصد صنعاء و لما بلغ جزيز خرج إليه أسعد بن أبى يعفر و من معه فقاتله، و قتل من أصحابه نحو ستين رجلا و لم يثبت له فدخل ابن فضل صنعاء أول يوم من رجب من هذه السنة و استباحها، و نال من أهلها منالا عظيما، و سار اسعد و ابن كبالة إلى قدم، و مكثت القرامطة تعيث و تفسد فى صنعاء و نواحيها ثلاث سنين، إلّا أحد عشر يوما و أصابتهم علة فمات منهم من لا يحصى و الحمد لله ربّ العالمين .

نجران و ما كان به من الأحداث

و فيها ظهرت الدّعاية القرمطية بنجران على يد رجل من موالى بنى أمية يقال له حسين بن حسين الحاشدى فتطاولت أعناق بنى الحرث و اليامين الى مساقط الفتنة و مراتع الضلال، و هموا بما لم ينالوا و رئيسهم ابن حميد و مرزوق بن محمد المرى، و على بن الربيع المدانى، و لما عرف ابو جعفر ما يضمرونه من الشر و الفساد، كتب إلى الامام يستحثه على المسارعة لاخماد ذلك الفساد و كتب إليه قصيدة أولها :

دار لمية ما بها آثارفالرّبع منها موحش مقفار

قد غيّرتها بعد ساكنها الصباو تقادم الأزمان و الأمطار

و محا مغانيها الدّهور فأصبحتدار الأوانس ما بها سمار

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۳۳ و تنكرت عرصاتها و ادرورستفالدار من تلك الحسان بوار

من بعد ما كنا بها فى لذةاضحت خلاء ما بها عمّار

إلّا ثلاث فى الرماد رواكدسود و مسجوع الجبين مطار

لما وقفت العيس فى عرصاتهاأسل الديار فلم يجبنى الدار

انهلّ دمعى عند ذاك لذكرهمو مع غزير واكف مدرار

و ذكرت ايام الشّباب و طيبهااذ نحن فيها قاطنون صغار

نلهو نلعب فى رياض نعيمهالا تنقضى من طيبها الأوطار

و منها فى مخاطبة الإمام و استحثاثه و ذكر القرامطة و مذهبهم الخبيث

يا خير من قاد الجياد و من بهفخرت قريش كلها و نزار

يا خير من غمر الأنام بفضلهيا خير من ينتابه الزوار

ظهر الفساد بأرضنا و بلادناقامت بذاك قرامط أشرار

كفروا برب النّاس بابن محمدو الكفر شيمتهم فهم كفّار

قالوا إمامهم اله قادركذبوا عليهم لعنة و صغار

فانهض نصرت عليهم فابدهمان القرامط عاضدتها عار

فلما وصل الكتاب إلى الامام نهض مبادرا الى نجران لسبع بقين من رجب، و أقام بنجران يتبع القرامطة و يقلم اظفار المفسدين فى تلك الديار، و يقيم الحدود على من ظهر منه انتهاكها من الاشرار، فرجم امرأة ثبت لديه بالشهادة العادلة المعتبرة انها زنت بعد إحصان، و قتل رجلا من العبيد كان يبيع الخمر و يجمع بين الرجال و النساء، و بعد صلاح البلاد و زوال دواعى الشّرور و الفساد، عاد

الى صعدة أول يوم من رمضان و استاق جماعة من القرامطة و اليامیین و على ابن الربیع و غیره و أودع الجمیع سجن صعدة.

و لكن ذلك لم ينهنه اهل نجران عن الغدر و نقض العهود (و ليس بغان

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۳۴

طيشهم و التقلب) فسرعان ما رجعوا إلى ما ألفوا فحرس العامل غفلته منهم و لم يطابق بين جفونه، و أمعن فى تتبع عوار أتباع الغى منهم حتى استقامت قناتهم و سكنت دهماؤهم، و بينما هم كذلك إذ وردت أوامر الإمام قاضية بسحب الجنود من نجران و ارسالها مددا لعبد الله بن الخطاب الحكمى ابن عم الغطريف الحكمى إلى تهامة، فخرج محمد بن عبد الملك الوادعى إلى الامام و راجعه فى اطلاق اليامیین الذين استاقهم الامام من نجران و حبسهم بصعدة فأطلقهم بعد أن حمّلهم للوادعيين سبع عشرة دية، عدد قتلاهم، و لما وصلوا الى نجران طمع ابن بسطام فى تخلية ابن الربيع فسار إلى الامام و سأله ذلك فكره الإمام إطلاقه و مراد ابن بسطام من إطلاق ابن الربيع التحزّب للفساد، فلما أيس من إطلاقه، راجع فى القرامطة فاطلقهم الإمام ثم خرج محمد بن الهيثم، و أحمد بن الأربد و كانا فى الظاهر مع الإمام و طلبا منه إطلاق موسى الدهف العمرى، و الحماسيين فأطلقهم و صاروا كلهم فى وادى نجران و ازدادوا حيفا على السلطان، و لم يشكروا ما صنع لهم من الاحسان.

إذا انت اكرمت الكريم ملكتهو ان أنت اكرمت اللئيم تمردا

و لما كان شهر الحجة قدم الحاج من مكة و أخبر أن المسود واصل من مكة الى صعدة فأجمع امرهم على الفتك بعامل الإمام. و بلغ ذلك العامل، فكتب إلى الإمام باضطراب البلد و ما أجمعت عليه الأشرار و ذيل الكتاب بقصيدة أولها :

لاح المشيب بمفرقى و براسىو بعارضى فعاد كالقرطاس

يابن الحسين تحالفت حار علىان يقتلونا يا بنى العباس

من ال خيثمة و مذحج كلهاو الحى من يام وحى حماس

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۳۵ و بنى ربيعة من يحل بضاعن و القاطنين بحافتى ميناس

و هى طويلة، و لما دخلت سنة ۲۹۵ بلغهم قدوم المسود إلى صعدة فكاتبوه يستنهضونه فحثهم على الفتك بالعامل ان كانوا صادقين، فزاد طمعهم و هم كما ترى من أحوالهم يهطعون إلى كل بارقة تلوح، و يفترون بكل سانحة تمر، و يصيحون لكل صيحة، و يهبّون مع كل ناعق، دائمو الانتقاض و الخروج و الثوران و التمرّد، لا سيما بنى الحرث مهد الفتنة و مربع العصيان، فصار ابن حميد يستطيل على عامل الإمام، و تبدو منه بوادر الشر، فكتب أبو جعفر محمد بن عبيد الله إلى الإمام و سأله ان يسبق القوم الى البلد، قبل فوات الوقت، و ذيل الكتاب بهذين البيتين :

ارى خلل الرماد و ميض نارو يوشك ان يكون لها اضطرام

فان النار بالعودين توريو ان الحرب أولها كلام

و ارسل بالكتاب ولده على بن محمد ، فلما وصل إلى الإمام و عرف الواقع بادر بالنجدة، و تحرك على رأس قوة كبيرة من خيل و رجال، و لما وصل الحضن تلقاه ابن بسطام معتذرا عن بنى الحرث، فلم يقبل منه الإمام قبل ان يتفق بعامله و يستفصل منه الواقع و بادر إلى قرية الهجر مقر العامل تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۳۶

و مكث بها أياما، ثم خرج منها غرة ذى القعدة من السنة الى موضع كانت بنو الحرث قد تحصّنت فيه بجبل يقال له اللواء فنازلهم الإمام و ضايقهم حتى أجلاهم، ثم تحول إلى حصن لبنى الحرث يقال له بلاد حطّ بالقرب منه فأمر بهدمه و إحراقه، و جعل يتتبع بنى الحرث فى السّهل و الجبل، و لما رأى ذلك ابن بسطام خاف الهلاك عليهم فصار الى ميناس، و أرسل الى ابن حميد يأمره بالتغيّب، فصار ابن حميد يصرخ بالناس فى ارض زبيد و نهد، و أرسل الى الجوف فلم يجبه أحد.

مقتل ابن بسطام

لما رأى ابن بسطام ما حل من الخذلان بنى الحرث أتى إلى الإمام يستأمنه لجماعة منهم، فأمنهم الإمام، و ما زال يستأمن بنى الحرث قبيلة قبيلة، و الإمام يؤمنهم، و كانت بين ابن بسطام و بين يام و الأحلاف تراث و ذحول فساءها نفوذ ابن بسطام و وجاهته عند الامام، و دبّرت حيلة لاغتياله و قتلوه بقرية الهجر و لما علم الامام جمع الجنود و عزم على غزوهم للأخذ بثأر ابن بسطام، فأرسلوا إليه و طلبوا منه التروى، و قالوا انهم قتلوه بمن قتل منهم و كان ابن بسطام قد قتل ستة من اليماميين و الأحلاف، فتوقف الإمام عن تأديبهم و معاقبتهم لهذه الشبهة، فاجتمعت بنو الحرث بميناس، و زعموا ان ابن بسطام قتل بأمر الإمام وارادته، و انه المطلوب به قبل غيره فأنكر الإمام هذه التهمة و تبرأ منها، و حلف لبنى الحرث و غيرهم، فأقتنع البعض، و تشكك آخرون، ثم انه أخذ جماعة من يام و الأحلاف، و حبسهم و أمر عامله أن يتولّى حسم المادة بينهم، و رجع إلى صعدة، و قد كان أبو جعفر قبل قتل ابن بسطام، طلب من الإمام أن يعفيه عن ولاية نجران، لما يعلمه من غدرهم و مكرهم و تلوّنهم و صعوبة مقادتهم، و انهم و ان وضعوا السلاح عند الغلب، لا يضعون الانتقام عند سنوح الفرصة، فقال له الإمام: لا نحب أن نحمل عليك امرا تكرهه، فاستخر الله فى أمرك و انا نرجو ان لا تخالف ما أمرناك به إن شاء

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۳۷

الله فلما سمع جواب الإمام رجع عن فكرته، و وطّن نفسه على الصبر حتى النهاية، و كان يريد نقل حرمه و أولاده إلى الحضن فلما قتل ابن بسطام نهاه الإمام عن ذلك و قال له انه مما يوهن أمره و يطمع عدوّه فيه، و أمره ان يترك عائلته فى الدار التى كانوا فيها، و قال له ان بنى الحرث ان أرادت الحرب عليك فإنما يقصدون هذه الدّار اى التى كان فيها الإمام الهادى عليه السلام.

رجوع الإمام إلى صعدة و قتل عامله على نجران

تحرك الإمام من نجران فى شهر ذى الحجة من سنة ۲۹۵، و ترك من الجند ثلاثة و عشرين فارسا و خمسة و خمسين راجلا بمعية عامله لإخضاع من تحدّثه نفسه بالتمرّد، و قد أخذ العهود و المواثيق من بنى عبد المدان على السمع و الطاعة لعامله ليقضى الله أمرا كان مفعولا.

و لما انقضت ايام عيد الأضحى ثار ابن حميد و معه بنو الحرث، و كان عند على بن محمد أولاده الثلاثة على و جعفر و القاسم، فأمرهم بالمصير إلى الحضن فكرهوا فراقه، و سألوه ان يخرج معهم فانهم لا يثقون ببنى عبد المدان عليه و لا عليهم فلم يصغ إلى مقترحهم، و قال: انه قد أخذ عليهم العهود و المواثيق و هو يرجو الا يغدروا به:

و المرتجون من ابن الشر خيرهم كمن يؤلف بين الذئب و الضان

و اقسم انه لا يخرج من القرية و فيه عرق ينبض بالحياة، و أبت له نفسه العالية و شجاعته العلوية إلّا الثبات و الدفاع عن الحق إلى آخر نفس من انفاس الحياة.

و قد صدقت فراسة أولاده فى بنى عبد المدان، فإنّهم لما جد الجدّ و حزّبت الحوازب مالؤا العدو عليه و نسوا كل عهد و استخفّوا بكل ميثاق فقد

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۳۸

هاجم ابن حميد و معه بنو الحرث قرية الهجر و غدر بنو عبد المدان و فى ذلك يقول ابو جعفر رحمه الله :

غدرتم يا بنى عبد المدانو كان الغدر من شيم الجبان

حلفتم لى بإيمان غلاظتخرّ لها الصّخور مع القنان

بانكم على نصرى حراصغداة الرّوع فى و هج الطعان

فلم توفوا بعهدكم و كنتمشرارا يا بنى عبد المدان

بقى ابو جعفر فى نفر قليل من خلص انصاره بقلوب يغمرها الإيمان بالله و الرّضا بحكمه، و قد أحاط بهم العدو من كل جهة، و لم يبق أمامهم غير الفرار أو الموت (و هما أمران أحلاهما مرّ).

أبوا أن يفرّوا و القنا فى نحورهمو لم يرتقوا من خشية الموت سلّما

و لو أنهم فرّوا لكانوا أعزةو لكن رأوا صبرا على الموت أحزما

و قد أشار عليه بعض أصحابه بالرّكوب فقال لهم: ليس هذا الوقت وقت ركوب، و لكن أنزلوا معنا نجالد القوم عن أنفسنا و حرمنا، حتى يحكم الله بيننا و بين عدوّنا، و هو خير الحاكمين. و مضى قدما بنفس هاشة، و وجه طلق يهزأ بالخطوب، و يحتقر الموت و لسان حاله تتمثل:

ردى حياض الرّدى يا نفس و اتركىحياض خوف الردى للشاء و النعم

ان لم اذرك على الأرماح سائلةفلا دعيت ابن أم المجد و الكرم

و بعد عراك شديد تحصن و من بقى من أصحابه بالدار التى كان فيها الإمام الهادى، و جعلوا يجالدون القوم و يدافعون دفاع الليوث عن اشبالها، حتى اقتحموا عليهم الدار من جميع جهاتها، و رموهم بالنار و الحجارة فلم يؤثر ذلك فى نفوسهم، و جعلوا يبرزون للقوم الرجل بعد الرجل، فاذا ما قتل الأول سد مسده الآخر، حتى أفضت النوبة إلى أميرهم البطل الأروع،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۳۹

فكانت معركة شديدة ثاروا عليه من كل جانب، و هو ثابت كأنه خنذيذة من جبل يفلّ شبأ عدوانهم، بمن يرديه من أبطالهم فتلاءمت تلك الجموع و تلاحمت و قالت: انه الذّل و العار، رجل واحد أشجاكم، و بلغ مكروهكم و قتل رجالكم أجمعوا عليه، ثم احملوا عليه حملة رجل واحد، ففعلوا، فلقيهم ذوى البيت، ثم حمل عليهم و حملوا عليه، و لم يزل يصاولهم حتى أعياهم، فكمن له رجل وراء الباب و ضربه فى قفاه فسقط بينهم فحملوا عليه و وضعوا فيه سيوفهم فقطعوه و اخذوا سلبه رحمه الله و رضى عنه:

فتى مات بين الضرب و الطّعن ميتةتقوم مقام النصر إن فاته النّصر

و ما مات حتى مات مضرب سيفهمن الضرب و اعتلت عليه القنا السمر

و قد كان قوت الموت سهلا فردّهإليه الحفاظ المرّ و الخلق الوعر

ثم احتزوا رأسه و كان يرتجز الذى اجتز رأسه و يقول :

شيخ لشيخ وصبى لصبىشفيت نفسى منك يا نسل على

فلا أبالى بعدها ما حلّ بىمن سخط الله و من لعن النّبى

و طافوا به فى بلدانهم و صلبوه على خشبة بقرية الهجر، و أخذوا جثته و جثث أصحابه رحمهم الله، و القوها فى سطح الدّار التى قتلوا فيها، و جعلوا يطؤونهم بحوافر خيولهم و عملوا بهم من ضروب التمثيل ما برهن عن تجردهم من كل عاطفة بشرية و انسلاخهم من كل معانى الانسانية، و لم يكتفوا بما اجترموه من عار الغدر و نكث العهود و ذل القسوة فى التمثيل بقتلاهم، حتى تجاوزوا ذلك و اقترفوا أعظم جريمة، و أشنع جريرة تتحاماها الجاهلية و الاسلام، و ينكرها الخلق العربى و الشمم اليعربى، و مدوا أيديهم و شهروا سيوفهم القذرة على النساء و الصبيان و الأطفال فسلبوهن، و أخذوا ما عليهن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۴۰

و تركوهن عوار لا يتوارين بقليل و لا كثير، و ما منهن إمرأة إلّا و قد نالها ضربة سيف، أو رمية منهم، و أخذوا صبيّا ابن ستة اشهر ليضربوا به الجدار فلحقته أمّه و استنقذته بعد ان جرّوه على الأرض و شجوه و أخذوا طفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها أربعة أعوام فضربوها بالسّيف ضربتين، و فعلوا أفعالا- تنمّ عن روح جامحة متمرّدة تحفزها الذكريات، الى دارس بال، و عهود بالجما أيّام كعبة نجران و نشيد الرهبان و قد قدمنا لك ايها القارىء ما فعله الإمام عند ما دخل نجران أول مرّة مع أهل الذّمة، و هم من النصارى كما

سيأتى بيانه عند الكلام على نجران أيّام الإمام القاسم بن على العيانى، و لو أن قدماء المؤرخين نظروا إلى الحوادث نظر استنتاج، و لا حظوا احوال البيئة و الوسط الذى عاشت فيه هذه الطائفة و الظّروف الداخلية و الخارجية التى كان لها أثرها فى تكوين طباعهم و تلوين مشاربهم لظهرت النتيجة معلنة بما كان لدعاة النصرانية، من يد فى تأريث تلك النار، و لكنهم اكتفوا بالنظر السّطحى و تدوين الملاحم البشرية و المعارك الدموية، فجاءت الثمرة ناقصة يعوزها النضوج، و الاكتمال، و انظر إن شئت إلى هذه الحوادث الجلية ذات الشأن فى تاريخ اليمن، تجدها شغلت معظم أيام اكبر الأئمة و أعلاهم شأنا، و أخرت سير اصلاحه الدينى و المدنى كثيرا، و كادت تقضى على بنيانه لو لا عناية الله، و مع ذلك فإنك لا تكاد تظفر بكلمة لكاتب يشير بها إلى السّبب الحقيقى ، و الباعث الأول لوجود تلك المشاكل، و مما يقوّى ما ذهبنا إليه من أن بعض قبائل نجران كانت تساق أو تتأثر بطقوس النّصرانية و دعاتها ما جاء فى قصيدة للإمام الهادى قالها لما تآمرت عليه نجران و بعض

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۴۱

قبائل خولان، فثار ابن عباد الاكيلى فى صعدة كما تقدّم، و أول هذه القصيدة:

نام خدن الحرب من بعد الأرقو استلذّ العيش من بعد الشرّق

و منها:

جهلوا حربى و ظنوا أنهأكلهم خبز النّصارى بالمرق

هذه نظرة عجلى فى الموضوع و سنعود إليه فى الكلام على نجران أيام الإمام القاسم إن شاء الله، و لنعد إلى تتمة أخبار ابى جعفر محمد بن عبيد الله، بعد قتله انتقلت عائلته الى دار محمد بن منجاب المدانى فقام هو و حرمه بأمر هذه العائلة أتم قيام، و جمع الصبيان من أيدى شرار بنى الحرث، و من جملتهم موسى و محمد و عبيد الله و عمره عشر سنين، فأرسل ابن حميد فى طلبه و أمر ابن منجاب ان يأتيه به ليقتله فانكر ابن منجاب وجوده و حلف على ذلك، ثم أتى نفر من أهل نجران الى ابن حميد و طلبوا منه جثة محمد بن عبد الله فوهبها لهم فأخذوها و كفنوها و صلّوا عليها، و دفنوها بالقرب من قرية الهجر فى موضع يقال له البلاط.

و ها نحن نسجل كلمات الشكر لأولئك الرّجال بعد مضى أكثر من عشرة قرون و نعد نفوسهم العالية من نوادر الطبيعة، و أمثلة الابداع، بذلك المجتمع الذى لا ترى فيه إلّا نفوسا متوحشة، و ضمائر منحرفة، و طبائع ملتوية و اتجاهات إلى غير غاية و بين تلك الأوشاب، تظهر نفوسا تحلت بالرحمة، و تجلت عليها آثار الرأفة و قلوبا مملوءة بالحنان، و جنانا يحنو على البائس من بنى الانسان، فما أجدر تلك النّفوس بالشكر و أحقها بالثناء:

ما مات من نبل الرجال و فضلهميحيا لدى التأريخ و هو عظام

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۴۲

و قد كان على بن محمد أرسل إلى يام و وادعة، يطلب منهم النصرة لأبيه، فلم يجيبوه، و اعتذروا بفتنة بين عشائرهم، و بينما هو كذلك إذ وافته الانباء بقتل والده فعاد إلى الحضن و هو أيأس من غريق و له فى ذلك قصيدة رثى بها والده و ذكر تخاذل الأقوام عنه أولها :

منع الحزن مقلتىّ ان تناماو ذرا الدّمع من جفونى سجاما

يوم ناديت حى الاحلاف للنصرعلى مذحج و ناديت ياما

و دعونا للنصر بالوادعيينفلم ينصروا الأمير الهماما

لا يجيبون صارخا قام يدعويا لهمدان انصروا الاسلاما

و منها:

قتلت حارث بن كعب شريفاخير من وحّد الاله و صاما

قتلوه فأفحشوا القتل فيه‌حين اضحى لديهم مستظاما

إلى آخرها: و قد أجمل القول كاتب سيرة الإمام الهادى فيما كان بنجران بعد قتل محمد بن عبيد الله، و أشار إلى أن آخر حروب الإمام كان بنجران، و انه كان عليلا من علته التى توفى منها، و ان العدو هاجم الإمام إلى الحضن، فخرجت خيوله، و كان مريضا فلم يخرج، و لما تراءت الخيلان كانت الحملة على أصحابه، فولّوا مدبرين و قتل رجل من أصحابه يقال له يوسف بن حرب العبسى ، و هو آخر شهيد استشهد مع الإمام الهادى، و لم يكن له بعد ذلك قتال حتى توفى عليه السلام، و لعلك قد عرفت ايها المطلع فيما أسلفناه أن قتل محمد بن عبيد الله كان فى سنة ۲۹۶، و سيمر بك قريبا خبر وفاة الإمام فى سنة ۲۹۸، و لعله لم يغز نجران إلّا بعد

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۴۳

سنتين من الحادث، و انها وافته المنيّة قبل بلوغ الامنيّة و الله أعلم.

أخبار القرامطة و استيلاء الإمام على صنعاء

و دخلت سنة ۲۹۷ فى صفر منها خرج الطاغية بن فضل من المذيخرة قاصدا زبيد فدخلها بعد قتال و فرّ صاحبها إلى المهجم فاستباحها و قتل من أهلها خلقا كثيرا و سبى نساءها، و أقام بها سبعة أيام و عاد إلى المذيخرة، و خلف بزبيد عاملا من قبله و لكنه لم يلبث بها إلّا يسيرا و طرده صاحبها المنهزم عنها و فيها أظهر القرمطى نحلته الاباحية المجوسية، و أباح شرب الخمرة و سائر المنكرات و صرف الناس عن الحج.

و فيها بعث الإمام على بن محمد بن عبيد الله العلوى فى جماعة إلى صنعاء و كتب إلى الدّعام ان يخرج معه ففعل و سارا حتى دخلا صنعاء يوم الخميس لأيام باقية من رجب و طردا عامل القرمطى و أصحابه و استقر على بن محمد بها، ثم ان الامام بعث ابنه ابا القاسم فى جماعة من خولان و همدان إلى صنعاء و لما وصلها ارسل الى مخلاف مقرا و الهان و حراز و هوزن ، فدخلت جميعا فى طاعته، و قتلت من دعاة القرامطة جماعة و امنت البلاد و تآلفت الرعية و بلغ ابن كبالة الخير و هو بتهامة، فقدم حتى صار بالهان فمال إليه خلق كثير من الناس، رغبة فى الفساد و أرسل الى حراز من أخرج أصحاب الإمام، فكتب ابو القاسم بما كان إلى والده الإمام فأمره بمفارقة صنعاء لئلّا يجمع حرب القرامطة و ابن كباله فخرج من صنعاء فى شوال سنة ۲۹۷ و بادرت القرامطة من شبام، فدخلوها و أقاموا بها أربعة عشر يوما، و لم يجدوا بها أحدا، و قدم جراح بن بشر من تهامة بعد خروج محمد بن الإمام

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۴۴

من صنعاء و دخول القرامطة إليها فدخل إلى ناحية منها، و خرجت عنها القرامطة لقلتهم، و قدم أيضا أسعد بن أبى يعفر فاستقر بصنعاء، و إليه مخاليفها و معه جراح بن بشر، و ابن كبالة أقام بذمار، و إليه مخاليفها.

و دخلت سنة ۲۹۸ فيها فى ربيع الأول منها خرج اسعد بن أبى يعفر لحرب القرامطة فكانت بينهم حرب شديدة على درب شبام كان النّصر فيها لأسعد فدخل شبام بعد هزيمة القرامطة و أقام بها أيّاما، ثم أعادت القرامطة الكرة و نزلوا من بيت ذخار، فانهزم أسعد، و خرج من البلد، و قتل عبد القاهر بن حمدان بن ابى يعفر، و قدم ابن كبالة ممدّا لأسعد فدخلوا شبام، و طردوا القرامطة عنها و طلعوا جبل ذخار، و تم لهم طرد القرامطة عن الناحية، و أقاما أيّاما ثم انصرف ابن كبالة و بقى اسعد بشبام يتتبع القرامطة فى الجبل أيّاما ثم رجع إلى صنعاء و تخلى عن شبام من دون حرب، و لا هزيمة، فعادت إليها القرامطة و أخربوها.

وفاة الإمام الهادى إلى الحق عليه السلام

فيها مات الإمام الهادى بصعدة يوم الأحد لعشر بقين من ذى الحجة من السنة و دفن يوم الإثنين قبل الزّوال بمسجده المشهور بصعدة، و مولده بالمدينة المنورة، على صاحبها أفضل الصلاة و السلام سنة ۲۴۵ و قد قدمنا كثيرا من ترجمته و أحواله و هو بلا شك، أكبر

مصلح أرتفع اسمه فى أفق التاريخ اليمنى، و نال من الاحترام و الحب فى قلوب اليمنيين مكانة لم يتبؤها احد بحيث أصبحت آثاره و أعماله و صفاته العالية قبلة الأبصار و مهوى الافئدة، و قد مر بك آثاره العلمية فإنه كان بمكانة عليا، من العلم و الفضل و الورع و مكارم الأخلاق و الحلم و التواضع، كثير الصفح و التجاوز عن سيئات النّاس و هفواتهم و فيما اسلفناه من الحوادث و الماجريات المتعددة ما يشهد بصحة ذلك، و ناهيك بمعاملته لآل يعفر و مواليهم عند ما رحل من شبام و هم إذ ذاك فى سجنه، و كلمة واحدة منه تكفى لإلحاقهم بأمس الدابر، و كان شجاعا مقداما

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۴۵

ثابت الجأش ماضى العزيمة:

يباشر فى الحرب المنايا و لا يرىلمن لم يباشرها من الموت مهربا

اخو غمرات ما يوزع جأشهاذا الموت بالموت ارتدى و تعصّبا

دائم الحركة جم النشاط قوى الشكيمة عظيم الهمة مقدرا لمسؤولية الحكم شديد الشعور بواجب الزعامة:

على خير ما كان الرجال خلالهو ما الخير إلّا قسمة و نصيب

حريصا على مصالح الناس الدينية و الدنيوية كثير العناية بشؤونهم الاجتماعية و الاخلاقية كان يصلى بالناس الجماعة ثم يقعد للارشاد و فصل الخصومات، ثم ينهض فيدور الأسواق و السكك فإن رأى جدارا مائلا أمر أهله باصلاحه، أو طريقا فاسدا أو خلفا مظلما أمر أهله ان يضيئوا فيه للمار، و ان رأى امرأة أمرها بالحجاب، و إن كانت من القواعد أمرها بالتستر و من آثاره الاصلاحية إحداث البراقع للنساء باليمن، و إلزامهن بذلك، و كان يقف على أهل كل بضاعة و يحذرهم من الغش و يسعر لهم بضاعتهم، و ينهاهم عن التّظالم، و كان يقول انما ورد النّهى عن التسعير على أهل الوفاء و أهل التّقوى فإذا ظهرت الظلامات، وجب على أولياء الله ان ينهوا عن الفساد كله و يردوا الحق إلى مواضعه، و يزيحوا الباطل من مكانه و يأخذوا على يدى الظالم فيه.

كان يتفقد السجون بنفسه و يسأل عن ذنوب المسجونين، فمن كان فى دين نظر فى جدته أو إفلاسه، و من كان فى ذنب تفقّد جرمه و أمره، و فحص عن احوالهم، و كان رحيما بالفقراء و الأيتام، قال كاتب مسيرته: رأيته يفتّ الطعام للأيتام و يثروه بالسمن ثم يقول ادخلوهم ثم ينظر فمن كان فيهم ضعيفا فى المأكل قال: هذا مغبون فيأكل مع المساكين، ثم يعزل له شيئا، قال: و كان لا يأكل حتى يطعم منه المساكين و كان يأمر صاحب بيت المال أن يطعم الطوافين من المساكين على قدر ما فى بيت مالهم، و كان يأمر بالكسوة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۴۶

لهم فى كل وقت فيجعل للشتاء الصّوف و نحوه و لغير الشتاء، ما يوافقه، و يقول لكل زمان لباسا، و كان يكسو الرجال و النساء و الصبيان. و كان كثير الاهتمام بأهل الذّمة و العناية بهم. فكان يقول لهم: من آذاكم فأعلمونى به، و من اطلع على محرمكم أو تعرض لكم احللت به ما أحل بمن نكث عهد رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم انتهى.

و كان عليه السلام صدوقا، لا يعرف شيئا من دهاء الساسة و مكرهم و لذلك اشتدت عليه المحن و تنوّعت الرزايا، و أمّا صرامته فى الحق و زهده و ورعه فقد قدّمنا لك أمثلة منها و حسبك ما مرّ.

و فى الزحيف ما لفظه: قال علماؤنا انه لما قرّر قواعد المذهب الشريف و الدين الحنيف، و قد كان فى اليمن مذاهب مختلفة قرامطة و أباضية قوم من الخوارج، و جبرية فاستأصل الله بحميد سعيه أكثر أهل تلك المذاهب الرديّة، و أظهر مذهب العترة الزكية فامتلأت اليمن عدلا و توحيدا و ارشادا و تسديدا. انتهى.

قيام الإمام المرتضى محمد بن يحيى عليه السلام

بويع بالخلافة بوصيّة من الإمام الهادى فى المحرم سنة ۲۹۹ و كان كثير العلم و العبادة زاهدا ورعا فكاتب العمّال يأمرهم بالتحرّى على

العدل و حسن السيرة و اشتغل بحرب القرامطة، إلى شهر ذى القعدة من تلك السنة.

ثم انه جمع الجند و أعيان الناس و عاب عليهم أشياء انكرها و خطب فيهم خطبة بليغة، و تخلّى عن الإمامة و رفع عماله من خولان و همدان و نجران، و لزم منزلة، و أقام بعض بنى عمه للنظر بين النّاس و استمرت الحال على ذلك إلى أن قدم أخوه احمد بن الهادى من الحجاز آخر ذى الحجة سنة ۳۰۰ فأقام مع

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۴۷

أخيه إلى صفر سنة ۳۰۱ ثم اجتمع عليه الناس و بايعوه كما سيأتى.

بقية أخبار القرامطة و الحرب بين الطاغية ابن فضل و منصور بن حسن

لما توفى الإمام الهادى عليه السلام جمع أسعد بن أبى يعفر من قدر عليه و نهض بهم لحرب القرامطة الذين بشبام فطردهم عن الشبام، و أقام بها أياما حتى وافته الأنباء بحركة الطاغية من المذيخرة نحو صنعاء فكرّ راجعا و وصل ابن كبالة منهزما من ذمار و دخل صنعاء.

و فى اليوم العاشر من المحرم سنة ۲۹۹ دخل ابن فضل صنعاء فهرب منها أسعد، فلم يقم الطاغية فيها بل ترك فيها من يحفظها، و سار إلى شبام، و طلع بيت ذخار، و خلع طاعة صاحبه المهدى و أراد من منصور بن حسن أن يخلع طاعة المهدى، و ينضم إليه فعاتبه منصور و لامه على تلك النّزعة، فأجابه الطاغية أن لى بأبى سعيد الجنّابى أسوة، إذ قد دعا إلى نفسه، فلم يساعده منصور و تعكر الصفو بينهما، و كان ابن فضل متهورا سفاكا طاغية، فتوعّد صاحبه و بادر لخضد شكوته و إهلاكه، فى جيش كثيف، فتحصّن منه منصور بجبل مسور، و دارت بينهما عدة معارك قتل فيها كثير من الناس و طالت مدّة الحرب و النزال إلى ثمانية أشهر و لم يظفر أحد منهما بصاحبه، و قد شق بهما الحال، فأرسل منصور فى طلب الصلح، فأجابه الطاغية بشرط أن يرسل منصور ولده إليه ليقال انما تركه تفضلا لا- عجزا فقبل منصور و أرسل ولده إليه فطوّقه ابن فضل بطوق من ذهب، و سار به إلى صنعاء و دخلها لسبع ليال خلت من رمضان من السنة، و نزل بالجامع الكبير، هو و أصحابه فذبحوا و شربوا الخمور و لم يتعرضوا لأحد من أهل صنعاء، ثم كر راجعا إلى المذيخرة مبأة كفره، و عش فجوره، و كان أسعد قد ولّى على بن الحسن الأقرعى على صنعاء، و أقام بذمار و معه ابن كبالة، فاجتمعت إليه جماعة من مذحج و ابن الروية المذحجى و وعدوه النصرة على القرامطة فبث اسعد عماله

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۴۸

على النواحى، و مات ابن كبالة بذمار، فى ربيع الأول من السنة، و قال الخزرجى : إنّ اسعد و ثب على ابن كبالة و قتله، ثم انتقل الى كحلان لما بلغه ان بعض رجال من كحلان يكاتب القرامطة، ثم ان ابن فضل كاتب اسعد بن أبى يعفر، و لاطفه و ولّاه على صنعاء و مخاليفها فدخلها أسعد، و بثّ عماله على مخاليفها، و خطب للطاغية، و قطع خطبة بنى عباس، و لبس البياض و فيها قتل عبد الله ابن أبى الغارات المجيدى صاحب مخلاف المعافر ابن ذى الطوق القرمطى و هو من أكبر قواد الطاغية.

و دخلت سنة ۳۰۰ فيها عظم نشاط القرامطة لبثّ الدعوة و أرسل الطاغية بقائدين من قوّاده فأمسكهما عامل الحرمين الشريفين و ضربهما بالسياط حتى هلكا.

و فيها تحرك ابن فضل لمناجزة ملاحظ بن عبد الله الرومى صاحب زبيد، و لما قرب من زبيد، خرج ملاحظ منها بجميع من معه، و خرج أهل البلاد أيضا و تفرقوا فى تهامة، فدخلت القرامطة و ليس بها أحد.

و فيها مال جراح بن بشر إلى القرامطة، و كاتب ابن فضل فاستدعاه ابن فضل إليه و كان فى بلاد الشرف فهرع لملاقاته و لما وصل وادى مور لقيه ملاحظ الرومى فقتله (ان الشقى وافد البراجم) ثم عاد ملاحظ إلى زبيد و قد فارقها الطاغية و رجع أدراجه.

و فيها انتثرت النجوم بكثرة حتى أشفق الناس، و فيها بعث أسعد بن أبى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۴۹

يعفر أخاه عبد الله إلى ثاه من بلاد رداع فقبضها.

و فيها ظهر المذهب الشافعى فى بلاد اليمن و كان الدّاعى إليه فى الجند و مخلاف جعفر عمر بن محمد الخراشى السكسكى، و قيل إنه لم يظهر إلّا فى المئة الرابعة .

خلافة الإمام الناصر احمد بن يحيى عليه السلام

و دخلت سنة ۳۰۱ فيها بايع المرتضى ابو القاسم محمد بن الإمام الهادى أخاه الإمام الناصر، و قد ذكرنا تنازل المرتضى عن الخلافة، و قدوم الناصر من الحجاز، فاجتمعت خولان و سألوه القيام و بذلوا له السمع و الطاعة، و بايعوه على ذلك، و أقبلت إليه أيضا رجال همدان و نجران و بايعوه فبعث عماله على البلاد و شمّر لحرب القرامطة الساق فكانت له فيهم فتكات عابسة، و وقعات هائلة كما سيأتى بيانه إن شاء الله، و لما أخذ البيعة على من حضر ركب فى ذلك اليوم إلى صعدة القديمة و اجتمع معه خلق كثير، قيل انهم ملؤا ما بين صعدة و الغيل ، و انشده شاعره ابراهيم ابن محمد التميمى قصيدة أولها :

عادات قلبك يوم البين أن يجباو ان تراجع فيه الشوق و الطربا

و هى طويلة، ثم شاور الإمام النّاصر خولان فى نهوضه الى الحجاز، فجدّدوا له البيعة على السمع و الطاعة ما بقوا على الأرض، و بايعه عظيم همدان احمد بن محمد بن الضحاك الحاشدى.

و فيها خالف أبناء الدعام أباهما و فارقاه، و وثبا على غرق فبناها

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۵۰

و أخرباها، و كان فيها عاملا للإمام فاخرجاه إلى المراشى فنهض الإمام لتأديبهما فى عسكر كثيف و طردهما إلى جبل نهم، ثم اتجه إلى مراد لمطاردة الدّعام فالتجأ إلى ملح من بلاد نهم، و بقى الإمام يتأثر آل الدّعام فشردهم إلى أطراف البلاد، و استعمل على غرق على بن محمد بن عبيد الله العلوى، و على اثافت أخاه القاسم بن محمد بن عبيد الله، و على نجران عبد الرحمن الأقرعى، ثم ان ابنى الدّعام راسلا الطاغية ابن فضل، و أمدهما بمال فخرجا إلى مطرة من بلاد عذر، و هى من أطراف بلاد الإمام و كان منهما ما سيأتى، و فيها قتل محمد بن الدعام بغرق قتله ابن عمه ابراهيم بن ابراهيم.

و دخلت سنة ۳۰۲ فيها أغار عمّال الناصر على ابن الدّعام فهزموه إلى خيوان و سار ابراهيم ابن الحسن فى أثره فوصل إلى مرهبه و نهم ثم عاد إلى الإمام.

و دخلت سنة ۳۰۳ فيها مات ملاحظ صاحب زبيد و ولّى بعده عبد الله ابن ابى الغارات، و لم تطل أيامه فولى إبراهيم بن محمد الحرملى .

و فيها سار الإمام الناصر إلى نجران لتفقد شؤونها فأقام بها أياما و عاد إلى صعدة و لما استقر بها وافته الأنباء بظهور القرامطة فى بلاد عذر و الأهنوم و ميل تلك القبائل إلى مذهبهم الخبيث، و تظاهرهم بترك الصلاة و شرب الخمر، و إتيان المنكرات جهرة، فنهض الإمام إلى خيوان و أرسل أبا جعفر محمد بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۵۱

الضحاك الهمدانى، إلى أصحابه من همدان، و أهل عذر و الأهنوم، و ظليمة، و حجور، لغمز قناتهم و معرفة ما هم عليه فرجع ابو جعفر و اخبره بتنكرهم، فتحرك الإمام لمناجزتهم و سار إلى حجور، و نزل بالبطنة فألقاه أهل عذر، ثم تقدّم إلى السويق بجنود كثيرة و قابلته القرامطة فهزمهم و خضعت ظليمة و الأهنوم، و كان بين هاتين القبيلتين احقاد و حروب، فأصلح الإمام بينهم و استأمن إليه من كان قرمطيا، ثم سار إلى اثافت و أقام بها أياما و عاد إلى صعدة و استعمل على اثافت الحسن بن احمد البعدانى.

و كان الإمام الناصر، قد أرسل بكتب دعوته إلى كثير من بلدان اليمن، و لما وصلت دعوته إلى بلاد حجة، لم يقبلوا عليها، و مزقها

بعضهم فداهمتهم القرامطة، و مزّقتهم كل ممزق، و كان وصول القرامطة باستدعاء من أهل قدم لينصروهم على بنى أعشب، فهرعت القرامطة من جبل مسور، و دخلوا حجة و قتلوا رئيسها عبد الله بن بديل الحجورى، و نهبوها و عادوا أدراجهم بعد ان استعملوا رجلا منهم على حجة، و لم يلبث أهل قدم أن تورطوا فى خلاف جديد مع أهل بجير فعاودوا الاستنجاد بالقرامطة فأنجدوهم، و نشبت المعركة على حصن مدرج من بلاد الجبر، فهزمت القرامطة أول الأمر، ثم أعادت الكرة و عطفت على أهل الجبر فهزموهم و نهبوا بلادهم، و اخربوها، و ذبحوا الأطفال، فاستنجدوا بالإمام الناصر و طلبوا منه العفو عما سبق فأنجدهم، و كتب إلى أبى جعفر ابن الضحاك و أمره بالمسير معهم.

هلاك الطاغية على بن الفضل القرمطى

و فيها هلك ابن فضل القرمطى مسموما و كان الذى سمه رجل غريب قدم من بغداد، و قيل من الحجاز، و كان جراحيا ماهرا اتصل بأسعد بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۵۲

أبى يعفر، فرأى من خوفه و قلقه من الطّاغية المذكور، ما حفزه على المغامرة بنفسه، و التطويح بها فى سبيل انقاذ المسلمين من كبول طغيان ابن فضل باغتياله، و لما صمم على ما أعتزمه أخبر أسعد بذلك العزم فرغبه أسعد و وعده المشاطرة فيما يملك، فرحل الشريف إلى المذخيرة و اختلط برجال الدولة، و وضع لهم الأشربة، و ركب الأدوية، و وصف لهم العقاقير و نحوها مما تستدعيه حالة الترف و رغد العيش طبعا، و مكث يعانى هذه الصنعة بمهارة فائقة، حتى نال شهرة عند رجال الدّولة و رفع خبره إلى الطاغية، و كان قد اضطر إلى الفصد فطلبه ليقوم بعملية الفصد فافترص فرصة الاتصال بفريسته و دسّ له السّم فى مشرطه، و ما هو إلّا ان فرغ من مهمته حتى ادرك الطاغية سرّ عمله، و أحسّ بمفعول السم يجرى لطرد روحه الشريرة من جسده الخبيث، جريان النار فى يابس الهشيم فأمر بطلب الشريف فأسرعت الجنود فى البحث عنه، و كان قد بارح تلك القرية الظالم أهلها، فأسرعوا فى طلبه فى الجهات الأربع، و أدركه بعضهم بوادى السحول ، فحاولوا القبض عليه فدافع عن نفسه حتى قتل رحمه الله و شالت نعامة الطاغية، عقيب ذلك منتصف ربيع الآخر سنة ۳۰۳ و دفن بالمذيخرة.

و نقل الزحيف عن كتاب كشف الأسرار و هتك الاستار عن محجوب الكفار للسيد يحيى بن القاسم الحمزى إن سبب موته كان على يد السيد الشهيد

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۵۳

على بن محمد الحسنى رحمه الله، فإنه باع نفسه من الله لما رأى أفعال عدو الله فأعمل الحيلة و تهيأ بهيئة طبيب عارف، و أوهمه أن به علّة ان لم يفعل فيها ما يأمره هلك فأمره بفصد عزفين فى رجله و فصده بمبضع مسموم بسم قاتل. فما مضى عليه إلّا القليل حتى بلغ الألم شغاف قلبه، و هرب السيد بعد فصده حتى بلغ نقيل صيد فقتل هناك شهيدا ثم مات ابن فضل عقيب ذلك يوم الأربعاء للنصف من ربيع الآخر سنة ۳۰۳ انتهى.

و فى تتمة سيرة الإمام الهادى عليه السلام، ما لفظه: و أصاب ابن فضل لعنه الله مرض فى بدنه فتفجر من اسفل بطنه، و أماته الله على اسوأ حال لعنه الله. و لم يذكر ما أشار إليه غيره من مؤرخى اليمن ، ان قتله بالسم على يد الشريف، و قد أشار إلى ذلك أبو الحسن على بن منصور الحلبى المعروف بابن القارح فى رسالته التى كتبها إلى أبى العلاء المعرى و ضمنها عيوب الملاحدة و مذامهم جاء فيها: و الصنادقى فى اليمن، فكانت جيوشه بالمذيخرة و سفهنة و خوطب بالربوبية ، و كوتب بها فكانت له دار إفاضة، يجمع إليها نساء البلدة كلها، و يدخل الرجال عليهن ليلا قال من يوثق بخبره: دخلت إليها لأنظر، فسمعت امرأة تقول: يا بنى فقال يا أمه نريد أن نمضى أمر وليّ الله فينا، و كان يقول إذا فعلتم هذا لم يتميّز مال من مال، و لا ولد من ولد، فتكونون كنفس واحدة فغزاه الحسنى من

صنعاء

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۵۴

فهزمه، و تحصّن منه فى حصن هناك، فانفذ إليه الحسنى طبيبا بمبضع مسموم، ففصده به فقتله انتهى.

و لقد غلط ابن القارح كما ترى، فظن الحسنى ملك صنعاء و انه لمّا عجز عن القرمطى دسّ إليه السّم بواسطة الطّبيب، و لما كانت هذه الرسالة قد طبعت و نشرت، و هى مشهورة اضطررنا إلى الإشارة إليها صونا للحقيقة التأريخية من التشويه.

و قال الأستاذ المعاصر عبد الله بن على القصيمى فى كتابه «الصراع بين الاسلام و الوثنية»: ان هلاك الطاغية المذكور كان بصنعاء و الصحيح ما قدمناه.

استئصال القرامطة و خراب المذيخرة

لما هلك الطاغية و بلغ أسعد بن أبى يعفر بادر بالنّهوض من صنعاء و جمع الجموع لاستئصال شافة القرامطة، و قطع دابرهم، و كان قد انتصب بعد الطاغية ولده الفأفأ، فأساء السيرة فى أصحاب والده، و قتل منهم كثيرا، و ما عثم أسعد بن أبى يعفر أن أناخ بجموعه على جبل ثومان، و قد وافته القبائل اليمنية من كل صوب وحدب فشنّ بهم الغارات على مخلاف جعفر، و أغار على الحصون، و كلما خرج عليهم عسكر من المذيخرة كسرهم المسلمون حتى و هنت قوة القرامطة، و غارت عزائمهم، و أسعد يشدّد عليهم الحصار و يبالغ فى التضييق إلى أن عجزوا عن المقاومة، و دخل اسعد المذيخرة قهرا بالسيف يوم الخميس، لسبع ليال بقين من رجب سنة ۳۰۴ فكانت مدة الحصار و المنازلة سنة كاملة، قال الجندى : (قيل انه لم ينزع اسعد فيها درعه، و لم يزل متقلدا لسيفه، و انقطعت دولة القرامطة من مخلاف جعفر و لم تزل المذيخرة خرابا الى عصرنا).

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۵۵

و لما دخلها اسعد نهب ما فيها و سبى جميع أهلها، و قتل الفأفأ ابن على بن فضل، و جميع من ظفر به من خواصه و أهله و من دخل فى مذهبه، و من جملة السبى بنات الطاغية الثلاث أعطى إحداهن ابن أخيه قحطان بن عبد الله بن أبى يعفر، فولدت له عبد الله بن قحطان الآتى ذكره، و بقيّتهن لإثنتين من رؤساء أصحابه، و قال فى أنباء الزمن: ان اسعد أسر ابن على بن فضل، و أمر بضرب عنقه و من معه من الأسرى، و كانوا نيّفا و عشرين رجلا، و بعث بالرؤوس إلى بغداد فى شهر القعدة من هذه السنة و استخلف على أهل تلك الجهة إبراهيم بن اسماعيل بن العباس.

بقية أخبار الإمام الناصر

و دخلت سنة ۳۰۵ فى المحرم منها نهض الإمام الناصر بعساكر كثيرة إلى حوث لمناجزة القرامطة الذين بشظب، و هم جموع كثيرة فوجّه الإمام لحربهم الغطريف بن أحمد الصائدى و معه حمدان، فانهزمت القرامطة من غير قتال و انتهب الجيش تلك الجهة، و غنموا ما فيها من المغانم الواسعة و رجعوا إلى الإمام، فعادت القرامطة تارة أخرى، و دخلوا قرن الناعى و كان ابراهيم بن الضحاك فى جبل شظب فحاربهم ثم كانت مهادنة بينهم و بين ابن الضحّاك.

وقعة نغاش

و دخلت سنة ۳۰۷، فيها كانت وقعة نغاش المشهورة قال فى اللآلى المضيئة ما خلاصته: كانت آخر الوقعات و أهمّها وقعة نغاش، و كان قد أجتمع من القرامطة خلق كثير من المغارب و ناحية تهامة، و قائدهم يومئذ عبد الحميد بن محمد بن الحجاج صاحب مسور، و ندب الامام قواده و هم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۵۶

ابراهيم ابن المحسّن العلوى، و ابو جعفر احمد بن محمد بن الضحاك و عبد الله بن عمر الهمدانى و عبد الله بن محمد السعدى فى ألف و سبعمائة مقاتل، و كان ابتدأ القتال لليلتين من شهر شعبان سنة ۳۰۷ بموضع يقال له بيت الورد فدامت المعركة، من صلاة الظهر إلى غروب الشمس، ثم ولّت القرامطة الأدبار، فنهض عسكر الإمام إلى قصر محمودى بالقرب من نغاش، و كان الغطريف الصائدى يرتجز و يقول :

سيدنا الناصر باد علمهمثل الهلال زينته انجمه

همدان فى كل مغار تقدمهطرّا و خولان جميعا تخدمه

لا بد من حصن اللّعين نهدمهو نستحل ماله و نعيمه

و فى غد نبصر مالا نعلمهمن أخد مال بالقران نقسمه

و الحق فينا لا يجور قلمه و أمسى جند الناصر على ماء الحمودى ليلة الثلاثاء و فى ذلك يقول راجز خولان:

نحن حميناكم و حزنا القطرما الحمودى يضرب قسرا

و منه تقدموا الى نغاش، و هناك التقى الجمعان و اصطدم الفريقان، و حمى الوطيس و قطفت الرؤوس، و دارت بالحتوف الكؤوس فاستحر القتل فى القرامطة، و هبّت ريح النّصر مع أصحاب الإمام، و كان قد انتظم فى الجيش القرمطى، جلّ قبائل بلاد حجة و حجور و حفاش و ملحان و الضلع و مسور، و غيرهم، و رئسهم عبد الحميد المذكور فصار الجميع جزرا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۵۷

لأصحاب الإمام، و باء الباقون بهزيمة فاضحة، قطعت دابرهم و أخمدت نيران طغيانهم، قيل ان عدد القتلى منهم تزيد على خمسة آلاف قتيل، و فقد من دعاتهم و اهل الرّياسة منهم ثمانية و أربعون داعيا، و قال السيد صارم الدين فى بسّامته:

و كان يوم نغاش منه ملحمةعلى القرامط لم تبق و لم تذر

و عدّ سبعة آلاف مضوا عجلاحصائدا بين مرمى و مجتزر

و بالمصانع أخرى منه تشبههاحلّت عرى الشرك من كونى و من قدر

و لم يقتل من أصحاب الإمام سوى رجل واحد، و افلت عبد الحميد بن محمد و فرّ إلى حلملم و استقر بها، و تفرق فلول عسكره شذرا مذر، و فى ذلك يقول عبد الله بن احمد التميمى فى أرجوزته : التى أولها (عوجا خليلى أوان الموسم) و منها:

القرمطى ذى الضلال المجرمعبد الحميد ذى الفعال المؤثم

إذ فرّ لا يقصر عن حلملمو خلّف الدعاة لحم الوضم

فكتبوا الى الإمام بخبر هذه الوقعة و بما جازوه من النّصر العظيم، فعاد جوابه بالحثّ على متابعة القرامطة، و ترسم آثارهم و مطاردتهم فنهض الجند الإمامى، فهرب عبد الحميد و من معه إلى جبل موتك فدخل جند الإمام حلملم، فأحرقوها و استولوا على ما فيها، و طلع عبد الحميد إلى جبل مدع

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۵۸

ثم نهض جند الإمام إلى المصانع و فيها كانت المعركة الثانية، و فر منهم عبد الحميد إلى مسور و لم يزالوا فى مطاردته و محاربته و النصر حليفهم فى كل معركة إلى ان داهمتهم الجنود الواصلة لنجدة عبد الحميد من حكومة زبيد و كان قد استغاث بهم و منّاهم الأمانى. قال فى أنباء الزمن فى حوادث سنة ۳۰۶: ان الجند الإمامى قتلوا من هذه الفرقة الظالمة أمّة لا يحصرها العدد، و لا ينتهى صاحبها إلى أمد و استولت العساكر الإمامية على ما أجلبت به تلك الفرقة الغوية من سلاح و غيره، و انهزم بقيتهم إلى سور بالخط الآخر، فتبعهم جند الإمام و حاصروهم، حتى روى ان الدماء سالت و سمع لها دوى كدوى السيل حتى أيقنوا بالهلاك ففزعوا إلى

صاحب زبيد، و طلبوا منه النصرة فلم يغن عنهم شيئا غير أن الناصر عليه السلام رأى من المصلحة رفع المحطة عنهم و بهذه الوقعة انحلت عروة القرامطة، و كسرت شوكتهم، و خمدت نار فتنتهم و الحمد لله رب العالمين، و قال فى تتمة سيرة الإمام الهادى: انه لما تضايقوا بالحصار، كاتبوا الحرملى صاحب زبيد و ارسلوا اليه بمال، فارسل عسكرا فى نصرتهم، فلما بلغ ذلك احمد بن يحيى عليهما السلام كره حربه لئلّا يقع عند السلطان انه يحارب قائده، فينقطع الموسم عما فى بلاده من التجار) انتهى.

ثم قال فى أنباء الزمن بعد كلامه المتقدم: و دخلت سنة ۳۰۷.

و ذكر وقعة نغاش فى حوادث سنة ۳۰۶، و قد مر بك ما نقلناه عن اللآلىء المضيئة، و فى سيرة الإمام الناصر ان انصراف جند الناصر من محاصرة مسور سنة ثمان و هو يؤيّد ما ذكرناه، و فى الحدائق الورديّة : ان وقعة نغاش سنة سبع، و صرح أيضا فى انباء الزمن ان الإمام الناصر اشترك بنفسه فى هذه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۵۹

الحرب، و هو غير صحيح، و الظاهر صحّة ما ذكرناه اعتمادا على ما فى سيرته:

و لم يذكر صاحب أنباء الزمن و لا غيره شيئا من الحوادث التى من بعد وقعة نغاش إلى سنة عشر.

وفاة الإمام المرتضى محمد بن يحيى عليه السلام

و دخلت سنة ۳۱۰ فى المحرم منها مات الإمام الزّاهد الورع أبو القاسم محمد بن الإمام الهادى إلى الحق عليهما السلام، و دفن بجنب والده و له إثنتان و ثلاثون سنة و كان فى الزهد و الورع و العلم و العمل بمكانة عالية، و له عدة مؤلفات منها كتاب الأصول فى العدل و التّوحيد و كتاب الإرادة و المشيئة، و كتاب التوبة، و كتاب الردّ على الروافض، و كتاب فضائل أمير المؤمنين على عليه السلام و كتاب الرد على القرامطة و غيرها.

و له من الولد أبو محمد القاسم و اسماعيل و ابراهيم و على و عبد الله و موسى و يحيى ابو الحسين الخارج بالدّيلم الملقب بالهادى، الذى روى عن عمّه كتاب الأحكام و المنتخب و الحسن و الحسين، و العقب للمرتضى فى جهات اليمن من ذرية عبد الله بن المرتضى، و من فى العراق من ذرّية يحيى و هو ابو الحسين الخارج بالديلم .

قال فى أنباء الزمن، بعد ذكر وفاة المرتضى ما لفظه: و لم يزل أخوه الناصر مجاهدا للظالمين منابذا للمعاندين، و استولى على كثير من البلاد و سار إلى عدن فدخلها فى ثمانين ألفا نصفهم اهل قسى، و دانت له أهل تلك

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۶۰

النّاحية، و خضعت له الرّقاب العاصية، و فى هذه السّنة وقع حرب بين دهمة و اختها وائلة بنى شاكر قتل فيها ثلثمائة رجل بسبب جار لوائلة قتلته دهمة.

و دخلت سنة ۳۱۱ لم يتفق فيها ما ينبغى ذكره عن اليمن و ذكر كذلك عدة سنين الى سنة ۳۲۲ قال و فيها مات الإمام الناصر.

و دخلت سنة ۳۲۲ فيها وقعت فتنة بين الاكيليين و البرسميين و الصنعانيين بصعدة و مال أهل صنعاء الى الاكيليين، فلزم احمد بن يحيى عليه السلام منزله و مال عليه العشيون و اليرسميون، و كاتبوا حسّان بن عثمان بن أحمد بن يعفر. و كان مقيما بغرق، و استدعوه فصار إلى برط و أعطاهم مالا كان معه و سار الى بنى الحرث بنجران فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة، و أتى جماعة من خولان ممن لا يعامله إلى أحمد بن يحيى فسألوه القيام و عاتبوه على ما كان منهم فبايعوه و حلفوا له، و وصلت كتب من همدان و الأحلاف يستدعونه فنهض إليهم يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى من هذه السنة فصار إلى الأحلاف و نزل براحة و اعتلّ علة شديدة .

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۶۱

حرب الباطن و مقتل الحسين بن الإمام الهادى

و فى اليوم الخامس من جمادى الآخرة كانت الحرب بين الإمام الناصر و الأمير حسان بن عثمان. و لما كان الإمام عليلا خرج عسكره، و لا قائد له فلم يثبتوا و تفرقوا منهزمين و قتل الحسين بن الهادى و جماعة من أصحابه و انصرف كل إلى مكانه و اشتدت علة أحمد بن يحيى فانصرف إلى صعدة و فى انباء الزمن ان قتل الحسين و الهادى كان بصعدة.

وفاة الإمام الناصر عليه السلام

لم تطل ايام الإمام بعد وصوله فقد توفى على الأثر لثمانى عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة سنة ۳۲۲ عن إحدى و عشرين سنة من ولايته، و كان عليه السلام زاهدا، ورعا عالما متبحرا له عدة مصنفات منها كتاب فى التوحيد فى غاية البيان و التهذيب، و كتاب النجاة ثلاثة عشر جزءا، و كتاب مسائل الطبريين جزآن، و كتاب أجاب به على الخوارج الاباضية، و كتاب الدامغ أربعة أجزاء .

و ملك عليه السلام الجوفين، فكانت له زراعة قوية فيها بلغ عدد البقر السود على حدها ثلاثمائة ثور أسود، و زراعته بشط معين ، و له من الولد القاسم أبو محمد و الحسن و جعفر و يحيى و على و من أولاده محمد الوارد إلى حلب، و أحمد أعقب بحلب و مصر، و غيرهما و منهم أبو الفضل الرشيد بن أحمد، و له ولد باليمن، و منهم الحسن قام بالأمر، بعد أبيه الناصر، و منهم يحيى بن الناصر، قاتل أخاه على الإمامة، هكذا قال الشرفى فى اللآلىء

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۶۲

نقلا عن ابن عنبة ، و ليس بصحيح فإن الحسن مات بعلاف ، و لم يقتل كما سيأتى بيانه، و القاسم المختار، قتله ابن الضحاك بريدة و قد غفل الشرفى عن التنبيه على ذلك، و فى الزحيق ان وفاة الإمام الناصر سنة ۳۲۵.

تتمة أخبار ثورة قبائل صعدة

اشار صاحب أنباء الزمن إلى خبر ثورة القبائل الصعدية بكلمة واحدة سردها بعد خبر وفاة الإمام، ثم قال و الأقرب ان هذه الفتنة كانت قبل وفاة الناصر رحمه الله.

و قد اشار إلى هذه الفتنة و ما جرّته من الأحداث الخزرجى فى الجزء المخصوص بالتراجم فى ترجمة الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى صاحب الاكليل و صفة جزيرة العرب، و ذكر ان السبب فى ذلك قصائده التى قالها من سجن الناصر، مستنجدا بتلك القبائل، و مستفزّا لحماستهم، على الإمام و كان قد سجنه بسبب قصائده التى قالها فى المفاضلة بين القحطانيين و العدنانيين (و عرّض فيها بهجو الحسين بن على بن الحسن بن القاسم الرسّى، و احمد بن أبى الأسد السلمى ، و أيوب بن محمد اليرسمى الفارسى، و كان هؤلاء يتعصبون للعدنانيين على قبائل اليمن فانبرى للرد عليهم و المفاخرة بقومه فذكر خصومه أن فى بعض قصائده الغض من الجناب المقدّس لسيد ولد آدم صلى الله عليه و آله و سلم.

و قال صاحب اللآلىء المضيئة: و ممن أسره الإمام النّاصر الحسن بن أحمد بن يعقوب الأرحبى العبدى، نسابة همدان، و كان من أهل النصب و العداوة لأهل البيت عليهم السلام، و كان كثير الإفترى فى النسب مع معرفته به، و مما قاله و هو فى سجن الناصر عليه السلام بصعدة القصيدة المسماة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۶۳

الجار أولها:

خليلى انى مخبر فتخبرابذلّة كهلان و حيرة حميرا

عذيرى من قحطان انى مشتكعواديكما ظلما و خذلا فانكرا

إلى أن قال:

و أصبحت مأسورا بأيدى معاشررضا لهم بأقبح ذا متذكرا

أظل أقاسى كل احمر ضيطر زبانية حولى و كبلا مسمرا

إلى آخرها، و فى كتاب مطلع البدور و مجمع البحور للقاضى احمد بن صالح بن أبى الرجال فى ترجمة شيخ الزيدية العلامة ابو السعود بعد الكلام على نسب شيخ الزيدية المذكور قال: و قد عنّ هنا ذكر ابن الحائك مصنّف الإكليل، و هو من علماء اليمن و قد تكلم فيه الإمام شرف الدين.

و قد ترجم له ياقوت الحموى و التكريتى و السيوطى فى بغية الوعاة قال: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى، هو الأوحد فى عصره الفاضل على من سبقه المبرز على من لحقه، لم يولد فى اليمن مثله علما و فهما و لسانا و شعرا و رواية و فكرا، و احاطة بعلوم العرب من النحو و اللغة، و الغريب و الشعر و الأيام و السّير و المناقب و المثالب، مع علوم العجم من النجوم و المساحة و الهندسة، و الفلك ولد بصنعاء و نشأ بها، ثم ارتحل و جاور بمكة و عاد فنزل بصعدة و هجا شعراءها فنسبوا إليه هجاء النبى صلى الله عليه و آله و سلم، فسجن و له تصانيف منها الإكليل فى الأنساب، و له ديوان نحو ستة مجلدات، انتهى ما أردت نقله من البغية، ثم قال بعد أن أورد كلام السيوطى هذا، و ذكر بعض مؤرخى أصحابنا فى تأريخ له ان المذكور، اعتقل لسيئات فى دينه قيل بصعدة و قيل بصنعاء أيام النّاصر للحق بن الهادى، و أيام أسعد بن أبى يعفر و استعان بأبى الحسن ابن القاسم المنصور

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۶۴

من بنى منصور اليمن، و منصور اليمن هو منصور ابن فرج بن حوشب ذكره القاضى النعمان و غيره، إلى أن قال: لهج ابن الحائك بتفضيل قبيلة قحطان على عدنان، و حقّر ما عظم الله و تجاسر على انتقاص ما اصطفاه الله فمن ذلك قوله جوابا للكميت:

ألا يا دار لو لا تنطقينافانا سائلون و مخبرونا

بما قد غالنا من بعد هندو ماذا من هواها قد لقينا

إلى آخرها.

و له قصيدة الجار انشأها و هو مسجون أولها (خليلى انى مخبر فتخبّرا) فحبسه الناصر للحق، بيد أسعد بن أبى يعفر، فلما كثر تهييج القحطانية دخل إلى فطيمة، فطلبوا الشفاعة، فأعلمهم انه لم يسجنه و ان أسعد حبسه لجرم اجترمه إليه.

فركب الحسن بن محمد بن أبى العباس من أهل العشة الى اسعد فأفهمه انه لا يخرجه إلّا بأمر النّاصر فعادوا إلى الناصر فأغلظ لهم و خرجوا من عنده و اظهروا الخلاف و قاول الحسن بن أبى العباس جمعا من بنى جماعة إلى أن قال: و استدعى حسان بن عثمان بن احمد بن يعفر و كان عدوا للناصر فكانت حروب و من جملتها حرب الباطن، و قد مضى ذكره انتهى.

قلت: و قد تناولت أقلام اليمنيين الهمدانى نقدا و تفنيدا و نسبوا اليه و فرا من النقائص و الملامات و ليس من غرضنا تحليل ما كتبوه، فالشوط بطين و انما سقنا ما مرّ لعلاقته بثورة القبائل الصعدية و انتقاضهم على الإمام الناصر، و ما كان من الحوادث بعد ذلك، فجلال التاريخ و علوه إنما هما لما يستفيده تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع ؛ ص۱۶۴

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۶۵

الناظر فيه من آداب، و أخلاق و تعاليم و سياسة، و عرفان بمبادىء الأمور و مصائرها و تطورها. و ضاحيها ليلاقى حلقات الوحدة التاريخية برباط وثيق، و أما نزعة الفخر بالقبيلة و العصبية لها، فنعرة سادت أيّام الأموية، و ما زالت تنمو و تترعرع، حتى كان من أمرها ما كان بين عرب الأندلس و خراسان و سورية، و غيرها من البلدان الاسلامية، و كان لها شعراء و رؤساء يمثلون هذه النزعة السيئة، و يثيرون و ترى حقدها و يججمون خامد جمرها.

و نال اليمن حظه من الوجهتين السياسية و الأدبية أمّا الناحية الأدبية فظهرت فى شعر الهمدانى و فخرياته و نشوان بن سعيد الحميرى و قصائده و الدّامغات و مطولات دعبل و نحو ذلك.

و أما الوجهة السياسية ففى أعمال معن بن زايدة الشيبانى، و عقبة بن سالم أمير البحرين و عمان، حيث قتل الأول من الحضرميين تعصبّا لقومه من ربيعة ستة عشر الفا و هنّاه شاعره مروان ابن أبى حفصة بقوله:

وطئت خدود الحضرميين وطأةبها ما بنوا من عثرة قد تضعضعا

فأقعوا على الاستاه أقعاء معشريرون اتباع الذل اولى و أنفعا

فجاذبه عقبة بن سالم عامل البحرين بقتل القيسيين تعصّبا للقحطانيين و كيدا لمعن لما عمله فى اليمن و أمثلة ذلك كثيرة.

دخول حسان بن عثمان الحوالى صعدة و قيام الإمام يحيى ابن الناصر و خلاف اخوته و ما كان من الأحداث

لما علم حسان بن عثمان بوفاة الإمام بادر بالنهوض إلى صعدة فخرج

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۶۶

العلويون منها، و استغاثوا بأسعد بن أبى يعفر و كان مالكا لصنعاء و مخاليفها فكتب لهم إلى قبائل همدان و خولان، و بلغ ذلك حسان فخرج منها إلى برط، و دخل العلويون صعدة و بايعوا الحسن بن الناصر، فخرج أخوه القاسم بن الناصر الملقب بالمختار، إلى همدان، و جاذب أخاه أهداب الخلافة، و دعا إلى نفسه، و كان الحسن أيضا ينازع أخاه يحيى زمام الزعامة، و يريد تنفيذ احكام الإمامة، فكانت بينهم حروب و فتن و بلايا و محن ، سنأتى على شرحها و تبيانها، حتى قيل ان خراب صعدة القديمة، كان على يد المختار و أخيه الحسن، لكثرة ما كان بينهما من الفتن، و تتابع المحن، و ما زالت أحوالهم متقلبة، و أمورهم مضطربة إلى سنة ۳۳۰.

خلاصة ما كان من الأحداث بين أولاد الناصر

لما خرج المختار إلى همدان كما قدمنا انضمت إليه جموع كثيرة من همدان فنهض بهم إلى كانط ، و فيها مظفر بن عليان بن الدعام فوقع الحرب بينه و بين جيش المختار، فانهزم مظفر بن عليان، و كان من أصحاب حسان بن عثمان، و خرج من ريدة، إلى غرق مدخل سنة ۳۲۳، و قيل ان مظفر بن عليان كان بريدة، و إنما أرسل جيشا لمحاربة المختار فلما انهزموا رجعوا إليه إلى ريدة ثم انه خرج منها إلى غرق.

و فيها نهض حسان و قصد صعدة فى بنى الحرث و نهد و زبيد و استنفر من حوله من قبائل خولان و غيرهم فحاربه أهل صعدة محاربة شديدة، و هزموه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۶۷

إلى نجران فأقام بالهجر، و الحرب بينه و بين حمدان نجران، ثم عاد إلى برط.

و دخلت سنة ۳۲۴ فيها ظهر بالسرو رجل يدّعى النبوءة، فمال إليه من بقى من أصحاب ابن فضل، فوجّه الأمير أسعد بن أبى يعفر العساكر و القواد إلى رداع، و لم يزل بمدّعى النبوءة حيث أمسكه بلا عهد و لا أمان فحبسه حتى هلك من محبسه بعلّة الجدرى.

و فيها وقع الخلاف بين المختار ، و أحمد بن محمد بن الضحاك فمال ابن الضحاك الى الحسن بن الناصر، و كاتبه و أمده بمال و لما حصلت المواد لديه، سار إلى قرقر و صار ابن الضحاك إلى ريدة، و كاتب مظفر بن عليان و أمده بمال، هو و الحسن بن أحمد على أخيه فنهض مظفر من غرق، و قد عامل من وثق بهم المختار، فمكروا به و لم يعينوه، و صار الضحاك إلى قرقر فى لقاء مظفر، فخرج القاسم بن احمد منها اقبح مخرج، لثلاث باقية من شهر ربيع الآخر من السّنة، فصار إلى بلد بنى ربيعة، و لم يتم ابن الضحاك لمظفر ما شرط له، فكاتب القاسم بن احمد و عامله على أن يجعل له سهما فى بلده، و حلف له و انصرف الى غرق، و صار القاسم بن

احمد إلى ورور، و وقع بين القاسم و بين ابن الضحاك حرب بناحية مشرق هذّان بالقرب من أكانط فى موضع يقال له قطوان و عسكر على القاسم بن أحمد، أهل اكانط، فوقعت الهزيمة على أصحابه، و قتل منهم نفرا كثيرا و عاد إلى ورور فى ربيع الأول سنة ۳۲۶، و جرى بينه و بين مظفر بن عليان مكاتبة، حتى التقيا فأشار عليه مظفّر بن عليان بالرجوع إلى صعدة فصار إليها

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۶۸

حتى وصل بلاد خولان و مكث بها أياما و جرت بينه و بين أخيه الحسن مراسلة و كره الحسن دخوله صعدة، فخرج الحسن إلى الغيل ، و لقى المختار فى جماعة من بنى سعد و يرسم ، و غيرهم، و أظهر الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر فمال اليه كثير من الناس، و اصطلح هو و أخوه و تحالفا و أقاما على ذلك أياما، ثم نهض القاسم إلى صعدة و قد عامل الحسن جماعة من السفهاء، على إثارة الفتنة مع دخول أخيه البلد، ففعلوا ذلك و قتلوا رجلا، من أصحاب المختار، و هاجت الحرب من الصبح إلى المغرب، قتل فيها ثمانية رجال، ثم أمر القاسم المختار أصحابه بالكف عن أموال الناس، و بات على ظهر فرسه تلك الليلة حتى أتاه المخالفون يطلبون الأمان، فأمنهم و سكنت الفتنة، و ظهر للنّاس نكث العهد من الحسن، فمالوا عنه إلى أخيه القاسم المختار، و شكروه على صبره فسار فيهم أحسن سيرة، و شدّد على السفهاء، و لما علم الحسن انه قد ظهر أمره للناس، و تحقق عندهم غدره خاف على نفسه، فخرج إلى بنى سعد ثم سار الى خيوان، و كاتب ابن الضحاك ، فاتّفقا على محاربة المختار، و استعانا بحسان بن عثمان، و اتفقوا على المسير إلى صعدة فى يوم معين فمرض حسان فى ذلك اليوم، فانتقض ما كانوا ابرموه، و بعد أيام عامل الحسن و ابن الضحاك جماعة من بنى كليب و بنى جماعة، على نهب صعدة، فدخلوها و انضم إليهم من أهل صعدة من كان مائلا- إلى الحسن و غيرهم من السفهاء، و وقعت الحرب بينهم، و بين أصحاب المختار، و استمرت ثلاثة أيام، ثم مالوا إلى خديعة المختار، فطلبوا الصّلح على أن يخرج من صعدة حتى تسكن الفتنة، فأجابهم إلى ذلك، فلما افترق أصحابه اعادوا الحرب، فانهزم إلى الغيل، و تمكن القوم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۶۹

من صعدة فنهبوها نهبا شديدا، و قتلوا من أهلها و سبوا و فعلوا بهم أعظم من فعل القرامطة، و خرج أكثر أهل صعدة عنها، ثم ان المختار جمع القبائل من نجران و وائلة و دهمة و بنى سليمان، فاجتمع إليه عسكر عظيم فسار بهم إلى صعدة و حارب المتغلّبين عليها محاربة شديدة، كانت الدائرة على المتغلّبين، و كان الحسن بن الناصر فيهم، كأحدهم ليس له من الأمر شىء إلّا إثارة الفتنة، و صاح صائحهم يطلب الأمان، فلم يجبهم المختار إلى ذلك و أمسى و قد أحاط بهم، و علموا أنه داخل عليهم فكسروا جانبا من القرية، و هربوا منه، و لم يعلم بمخرجهم إلّا آخر الليل، و دخلت القرية، فوجد فيها من أموال النّاس مالا- يوقف عليه ، و خربت منازلهم، و صاروا إلى علاف فخرج الهيصم بن عباد الأكيلى قائد بنى كليب إلى ابن الضحاك، صاحب ريدة يستنجده على المختار فخرج ابن الضحاك معه، و انضم إليهم الحسن ابن الناصر، فكانت بينهم و بين المختار معركة قتل فيها من الفريقين سبعة عشر رجلا، و اختلّ على المختار بعض من كان معه فانهزم الى العشة من صعدة، فدخلها القوم و انتهبوها و أقاموا بها ثلاثة أيام، ثم صاروا إلى علاف و سار الحسن معهم خوفا من أخيه المختار، و رجع ابن الضحاك إلى ريدة، و عاد المختار إلى صعدة فلبث بها أياما، و قد تفرق أهلها، و نالهم الضرّ من أثر ما وقع.

و دخلت سنة ۳۲۷ فيها نهض ابن الضحاك من ريدة و معه عسكر من همدان لحرب القاسم المختار، فوصل علاف و اتفق بالأكيليين، و راسل بنى سعد كلها، و طلب منهم ان يصطلحوا و يولوا الحسن بن احمد فكرهوا ذلك، و جعلوا بينهم هدنة لمدة سنتين على ان يعزلوا الأخوين الحسن و القاسم عن الأمر، و صار ابن الضحاك إلى صعدة، و لم يقع بينهم حرب و مكث. بها مدّة و أمر بهدم الحصن الذى بناه النّاصر عليه السلام، و كانت صعدة يومئذ خالية

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۷۰

من التجار، و أهل اليسار، قد تفرّقوا أيدى سبا و ذهبوا تحت كل كوكب، فجعل ابن الضحاك على من بقى من تجارها ضريبة

المكس فنفروا من البلدة و تركوها (أقفر من جوف حمار فأرسلت بنو سعد إلى ابن الضحاك انك قد أحدثت فى البلد أحداثا و اجتمعوا إلى القاسم المختار، فنهض بهم، و بمن أجابه من شاكر و أهل نجران، و بلغ الأكيليين و ابن الضّحاك حركة القاسم، فخرجوا من البلد و صاروا إلى علاف، و معهم الحسن و صار القاسم المختار إلى «الغيل» فاتفقوا على قصد المختار إلى الغيل، فخرج القاسم، بمن معه، و كانت الحرب بينهم، فقتل جماعة من أصحاب ابن الضحاك، و انهزم الباقون إلى علاف، و أسر منهم جماعة، فمنّ عليهم المختار، و ردّهم إلى ابن الضحاك و لم يزل ابن الضحاك بعلاف ينتظر اجتماع عشائره لاستئناف القتال حتى بلغه وفاة ولده قيس بن احمد، و كان قد استخلفه على ريدة فترك علاف و عاد إلى ريدة.

و اعتل الحسن بن أحمد بعلاف، و مات يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ۳۲۷. و دفن بعلاف، و ثبت القاسم المختار إلى شهر ربيع الآخر فاستنهض الاكيليون إبن الضحاك، فخرج معهم إلى علاف، و كاتب بنى سعد، ثم نهض فحاربه اليرسميون، و قتل منهم و دخل شق يرسم مخربه، و مالت بنو سعد عن القاسم، فخرج عنهم و صار اخوه يحيى بن احمد إلى الغيل، فلزمه، و انصرف ابن الضحاك الى ريدة، و عاد الأكيليون إلى علاف، فأقام يحيى بن احمد فى الغيل، و لم يعد إليه أحد من

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۷۱

التجار، و مضى القاسم إلى غيل جلاجل فاستنصر بابن عمر السنحانى و وادعة، فخرج معه منهم ألف رجل و خمسمائة راكب، و لقيته سعد كلها و دخل البلد و انصرف اخوه يحيى الى علاف:

هذه خلاصة ما عثرنا عليه من أخبار أولاد الإمام النّاصر الثّلاثة منقولة من (انباء الزمن) و (اللآلىء المضيئة) و (ملحق سيرة الإمام الهادى) و قال فى (اللآلىء) بعد أن أورد أبيات البسامة التى أشار فيها إلى يحيى بن الناصر بقوله:

و لابنه الماجد المنصور ما سمحتبقود ذى لجب كالبحر معتكر

ما لفظه: هؤلاء ثلاثة أئمة ذكرهم السيد رحمه الله (اى صاحب البسامة) لم يذكرهم الإمام المهدى عليه السلام فى البحر و لا الحاكم فى شرح العيون الأول المنصور يحيى بن أحمد بن الهادى عليه السلام مات فى شهر محرم سنة ۳۷۶ و قبر فى مشهد الهادى بصعدة، قال السيد: كان من أعلام الأئمة و هداة هذه الأمة، و له مسائل يذكر فيها عن أبيه و جدّه، و يكثر الرّواية عن عمه المرتضى، و عارضه أخوه القاسم، و هو المسمى بالمختار، و أخوه الحسن بن الناصر، و كان خراب صعدة القديمة على يدى الحسن هذا، و أخيه المختار سنة ۳۲۷، ثم توفى الحسن بعد ذلك فى شوال هذه السنة. و أسر أخوه المختار فى سنة ۳۴۵ ذكر ذلك فى تأريخ صنعاء الصغير : انتهى.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۷۲

وفاة الأمير أسعد بن أبى يعفر الحوالى

و دخلت سنة ۳۳۱ فيها مات الأمير اسعد بن أبى يعفر الحوالى الحميرى فى كحلان و حمل فى تابوب إلى شاهرة ضلع التى حبسها على جامع صنعاء الكبير، و دفن بها، و كان رحمه الله عالى النفس، كبير الهمة حسن العقيدة، مقداما، لقيت منه القرامطة مماحكة شديدة، أطاش بها سهامهم، و زلزل أقدامهم فى عدة وقعات، و لم يزل بهم حتى بدّد شملهم، و فرقهم عبا ديد و خرب ديارهم، و أزال خضراءهم و عفراءهم، بوقعة المذيخرة السالفة الذكر، و بها قرضهم آخر الدّهر من المخلاف الأخضر ، و امتد نفوذه و شمل سلطانه بمخلافى صنعاء و الجند و أعمالهما، و بقيت مسور و بلاده بيد منصور بن حسن و صعدة و أعمالها بيد أولاد الإمام الناصر و ابن الضحاك، و حسان بن عثمان كما مرّ.

و قد حفظ لنا التاريخ نتفا ضئيلة جدا من أخبار آل يعفر لكنها تنم عن حصافة و رجاحة، و لا سيما الأمير أسعد فإنه ظهر و سلطة مواليهم عليهم قاهرة، فقضى على المشاغبين و المواثبين لدولتهم من الموالى و القرامطة و استرجع ما اغتصبته الموالى و محقته

القرامطة.

و كان الإمام الهادى قد منّ على أسعد، و أطلقه من سجن شبام، فلم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۷۳

يجحد هذه المنّة للإمام و حسبك ما عمله مع الإمام المرتضى لما خرج من الحبس و أسعد فى سلطان و منعة، و الإمام المرتضى كالأسير بين أولئك، فعامله أسعد معاملة رفق و كرم، و لم يزل حريصا على موالاة الإمام الهادى و أولاده، حتى الممات، و قد وصفه كثير من مؤرخى الآل بكرم الطّباع و سلامة المعتقد.

قال الخزرجى و استولى الأمير اسعد على البلاد فى رجب سنة ۳۰۴ و فى أيامه قدم الوزير على زعيس الجراح من العراق، فأقام بصنعاء على أوفى كرامة، و قدم له مالا جزيلا، فرجع الوزير إلى بغداد، و هو من الشاكرين لأسعد بن أبى يعفر و عمل على رفع الخراج عن اليمن فجزاه الله خيرا و تولى بعده أبو يعفر سبعة أشهر، ثم ولى عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن أبى يعفر، و هو الذى أمّه معاذة بنت على بن فضل، و كانت وفاته فى ربيع الأول سنة ۳۵۲، و كانت له وقعات مشهورة منها أن أبا يعقوب المحابى وازر الحسين بن سلامة على قتال بنى الحوالى فالتقوا للحرب فى اليوم السادس عشر من شوال سنة ۳۴۰، فقتل منهم مقتلة عظيمة نحوا من ألفى رجل و كانت الدائرة على أبى يعقوب المحابى و هو من جهة الحسين بن سلامة و الله أعلم .

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۷۴

هلاک منصور بن حسن و مقام الشاورى و قتله و ما كان من الأحداث

و دخلت سنة ۳۳۲ فيها هلك منصور بن حسن داعية المهدى العبيدى، و يلقب بمنصور اليمن، و قد أشرنا إلى نسبه و كيفيّة خروجه فى السنة التى خرج فيها، و كان على جانب من الدهاء و الفطنة ميّالا إلى الدّعة محبّا للمسالمة، استمر على عهده لمولاه لم يطمح إلى ما طمح إليه رفيقه الطاغية ابن فضل، و فى سبيل المحافظة على العهد و الثبات على المبدأ، اشتبك فى حروب مع ابن فضل فحاصره، و نازله مدة ليست بالقصيرة كما تقدم و استمر على ما بيده من البلاد، إلى أن مات، و عهد إلى ابنه الحسن بن منصور، و إلى رجل من أصحابه يقال له: عبد الله الشاورى كان خصيصا به، و حضّهما على السمع و الطاعة لمولاه المهدى و المحافظة على المذهب، و الدعاية إليه و أمرهما بالكتابة إلى المهدى فيمن يتولى ذلك المنصب فكتب الشاورى و بعث حسن بن منصور بهدية و بالكتاب إلى القيروان و كان المهدى قد عرف الشاورى أيّام منصور، و كان حسن بن منصور يرجو أن توسّد إليه الرياسة، فخاب أمله و رجع بخفىّ حنين فإن المهدى امر الشاورى بالاستقلال و بعث إليه بتسع رايات، فعزم حسن بن منصور على الإنتقام لنفسه، و أخذ الإمارة نهبا و اغتصابا، و كان الشاورى يجلّ أولاد منصور، و لا يحتجب عنهم، فدخل عليه الحسن فى بعض غفلاته فقتله، و قعد على سريره، و تتبع أصحاب الشاورى و كل من يدين بالقرامطة قتلا و تشريدا، و أعلن للناس رجوعه عن معتقد ابيه و انخراطه فى عداد أهل السنة و الجماعة، فدانت له البلاد و مالت إليه القلوب، و أحبّه الناس و بسط نفوذه على مسور ولاعة، و ما صاقبها من البلاد، و كان قتل الشاورى سنة ۳۳۳ كما أشار إليه فى أنباء الزمن .

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۷۵

و استمر حسن بن منصور نافذا الكلمة ضابطا لما تحت يده من البلاد ثلاث [سنوات] الى سنة ۳۳۶ كما فى أنباء الزمن.

فخرج ذات يوم من مسور إلى محل يعرف بعين محرم ، و استخلف على مسور ابراهيم بن عبد الحميد التّباعى جدّ بنى المنتاب سلاطين مسور فلما وصل عين محرم، و ثب عليه عامله المعروف بابن العرجاء، و قتله طمعا فى السيادة و رغبة فى الاستبداد:

استووا بالأذى ضرّا و بالشر و لوعا و بالدماء نهامة

و ما كادت أنباء قتله تتصل بابراهيم بن عبد الحميد حتى أظهر مكنون سرّه و احتجن الأمر لنفسه:

و لربما زلق الحمارفكان من غرض المكارى

و بـادر بـإخراج أولاد منصور بن حسن و حريمه إلى جبل بنى أعشب فتخطّتهم الناس و أبادوهم قتلا و تنكيلا، و سبوا حريمهم، و لم يبقوا على احـد منهم و اتفق ابن العرجاء و إبراهيم بن عبـد الحميـد على قسـمة البلاد بينهما، و انضوى إبراهيم فى أهل السـنة و خطب لخليفـة بغـداد، و راسل ابن زياد و سأله أن يرسل إليه برجل من قبله للإشـراف على الإدارة، فلم يحفل ابن زياد بما أظهر من الانقياد و أسرّ له سوءا فى ارتغا، و أوعز إلى معتمـده الـذى أرسـله من قبله، و يعرف بالسّراج أن يقتل إبراهيم بن عبد الحميد، عند أول فرصـة تلوح له، و كـان ابراهيم قـد اجـلّ ممثـل ابن زياد و أكرمه حتى بلغه ما اعتزم من الغدربـة، فقبض عليه، و حلق رأسه و لحيته و نفاه من بلاده، و قطع مواصلة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۷۶

ابن زياد، فما اخطأ و لا كاد، و لم يزل يتتبع القرامطـة بالقتل و السبى، حتى أفناهم، و لم يبق منهم إلّا طائفـة قليلـة بناحية مسور كاتمين أمرهم لهم رئيس يقـال له: ابن الطفيـل، فقتله ابراهيم عبـد الحميـد، فـانتقلت الـدعوة إلى رجـل يعرف بابن دحيم، فكان لا يسـتقر فى موضع خوفا من ابن عبد الحميد، و كان يستمد سلطته الروحية من إمامه المعز، و كان إذ ذاك بمصر، كما أشار اليه الخزرجى و الذى فى (الخطط للمقريزى) ان دخول المعز لدين الله الفاطمى مصر كان سنة ۳۶۲.

و لما حانت وفاة مقيم الدعوة المذكور استخلف رجلا من شبام يقال له يوسف ابن الأسد فقام بما عهد إليه إلى أن مات، و استخلف سليمـان بن عبـد الله الزواحى، و هو رجـل من حمير ينسب إلى قريـة من أعمـال حراز يقـال لها الزواحى، فقام الزّواحى ببثّ الـدعوة و استمالة الرّعـاع بالمال، و كل ما هم به احـد دافع بالجميل ، و أظهر التبرى من كل نحلـة غير الإسـلام، و كان فيه كرم نفس، و إفضال على النّاس، و لما حضرته الوفاة استخلف على بن محمد الصليحى و سيأتى الكلام عليه فى موضعه إن شاء الله .

و فى (أنباء الزمن) بأن ابراهيم بن عبد الحميد اسـتمر على ولايته إلى أن مات، و قام بعده ولده المنتاب ابن ابراهيم، و هو الذى ينسـب إليه مسور فيقال: (مسور المنتاب) و لما اسـتقل بالأمر بعـد ابيه فى تلك الجهة كتب الى المعز العبيدى إلى مصـر، و لما حضـرته الوفاة استخلف رجلا من شبام يعرف بابن الاسد ، فقام بالدّعوة إلى أن حضرته الوفاة فاستحلف سليمان بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۷۷

عبد الله الزواحى:

و فى (ملحق سيرة) الإمام الهادى ان هلاك منصور بن حسن كان فى شـهر جمادى الآخرة سـنة ۳۰۲ اثنتين و ثلاثمائـة و ثبت إبنه ابو الحسن فى موضـعه هو و اخوته و لما ينازعهم أحـد فيما كان فى ايـديهم، و فى (قرة العيون ايضا ان وفاة منصور بن حسن سـنة ۳۰۲ و ذكر أحـداث الحسن بن منصور، و قتـل الشـاورى، و إعلانـه بـالبراءة من مـذهب القرامطـة، ثم ذكر خبر مقتله، و تغلب ابن العرجـاء و إبراهيم بن عبـد الحميـد، و بقية الأحداث على الأسـلوب المتقدم، و هو يخالف ما سبق من ترجمة الإمام الناصـر عليه السـلام، و وقعة نغاش التى أباد بها القرامطة من ناحية مسور فتأمل.

قال فى أنباء الزّمن و دخلت سنة ۳۳۷، و ذكر عدة سنين بعدها، لم يتفق فيها ما يستحق الذكر الى سنة ۳۴۴، قال : و فيها وصل المختار ابن الناصر إلى ريدة، فخرج إليه ابن الضّحاك من صنعاء و استمدّ منه الولاية على صنعاء فولاه.

و دخلت سنة ۳۴۵ فيها غـدر ابن الضّحاك الهمدانى بالمختار الناصـر و حبسه فى قصـر ريدة، و أقام محبوسا من صـفر إلى شوال من السّنة ثم قتله ابن الضـحاك قـال الزحيف: انه الزم بتأديب أولاد الضّحاك و تعليمهم القرآن، و إنه علّم قيس بن الضـحاك فنشأ على محبته و ولايته، فلما قتل انتصـر له قيس هذا و جمع الجنود من نجد و نجران و السّراة، ثم أقبل بتلك العساكر حتى أوقع بقومه بخيوان فكان ممن قتل أبوه و وطى بلاد همدان، و اسـتولى على الأمر، و يقال ان اكثر الأسباب فى ظهور مذهب الهادى باليمن قيس هذا، لأنه قوّى مذهب شيعة الهادى بتعصّبه لهم. انتهى.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۷۸

و فى اللآلىء المضيئة ان وفاة قيس بن الضحاك سنة ۳۲۷، و كان والده بجلاف كما تقدم.

احداث على بن وردان و الأسمر بن أبى الفتوح و آل الضحاك

فيها تغلب مولى آل يعفر على بن وردان على صنعاء و ثار الأسمر يوسف ابن أبى الفتوح الخولانى، و معه خولان فعارض آل يعفر و آل الضحاك، و كانت صنعاء و جهاتها لابن الضحاك، فقصدوه إلى حراز فهزمهم، و قتل طائفة من عسكرهم، و مات على بن وردان سنة ۳۵۰، و استخلف اخاه سابور، فقام بالأمر و صار ابن الضحاك معه، كما كان مع أخيه فخرجا جميعا لقتال ابن أبى الفتوح، و قد صار فى بلد خولان فلم يظفروا منه بطائل، فعاد الضّحاك إلى صنعاء و سار سابور نحو ذمار فلحقه الأسمر بن أبى الفتوح و قتله فى ثقيل يكلا سنة ۳۵۱.

استنجاد الضحاك بآل زياد و دخول عبد الله بن قحطان صنعاء

و دخلت سنة ۳۵۲ فيها كتب الضحاك الى ابن الجيش بن زياد صاحب زبيد و بذل له الطاعة و خطب له بصنعاء فكتب الأسمر بن ابى الفتوح إلى الأمير عبد الله بن قحطان الحوالى الى شبام يستنهضه فتحرّك الأمير الحوالى إلى كحلان، و أقام به مدة، ثم سار إلى صنعاء سنة ۳۵۳، فخرج منها الضحاك منهزما، و لكن الحوالى فارق صنعاء و شيكا، فعاد إليها الضحاك و أعاد خطبة آل زياد قال الخزرجى ، فلم يستقر له أمر، و عاد أمر البلاد إلى عبد الله بن قحطان، و امتدت أيامه قال فى أنباء الزمن : و لم يزل يتتبع القرامطة حتى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۷۹

ظفر بولدين لعلى بن الفضل و جماعة من رؤساء القرامطة فأمر بقتلهم، و بعث برؤوسهم إلى مكة أيّام الموسم.

و دخلت سنة ۳۵۴ لم يتّفق فيها و لا فى السّنين التى بعدها ما ينبغى ذكره.

قيام الإمام المنتصر لدين الله محمد بن المختار

لمّا قتل القاسم المختار على الصّفة المتقدّمة، قام بعده ولده الإمام المنتصر لدين الله محمد، فأخذ بثأر والده و قصد آل الضّحاك إلى عقر ديارهم، فأمكنه الله منهم، و كان معه قيس بن الضحاك، و كان قيس بن الضّحاك المذكور قد جمع الجنود من نجد و نجران و السراة، و أوقع بقومه بخيوان فكان ممن قتل والده و وطى بلاد همدان و استولى على الأمر، و للمنتصر لدين الله قصيدة طويلة ضمنها معنى اخذه بثأر والده و أولها:

علام ألام يا سلمى علاماعدانى اللّوم فاطّرحى الملاما

و منها:

جلونا حينما صلنا عليهم‌بأجمعنا عن أوجهنا القتاما

و اقطر سيف ثار بنى علىّ‌و منهم طال ما قد كان صاما

و حكمنا البواتر فى طلاهم‌فخرّت هامهم فلقا تراما

رأينا قتلهم اذ ذاك أحرى‌بنا من أن نذل و أن نضاما

و إلى هذا الإمام أشار صاحب البسامة بقوله:

و استعبرت من بنى الضحاك اذ فتكواظلما بأفضل مختار من الخير

فعاجلتهم رزياها بمنتصرلغدرهم ثابت الأقدام فى الغدر

و لم يذكر الزحيف و لا غيره تأريخ وفاة المنتصر و لا تاريخ قيامه و لا مدة خلافته و عن الزحيف نقلنا خبر هذا الإمام.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۸۰

قيام الداعى الإمام يوسف بن يحيى بن الناصر

و دخلت سنة ۳۵۸ فيها قام الامام الداعى يوسف بن يحيى، و فى الزّحيف ان قيام الداعى سنة ۳۶۸ قال: قال الامير شرف الدين الحسين بن محمد مصنف الشفاء و التقرير، فيما نقله عن خط يده المباركة ما لفظه: ان يوسف هذا قام فى سنة ۳۶۸، و أقام بريدة أياما ثم صار إلى صنعاء فى هذه السنة، و خطب لنفسه، ثم خرج فى اليوم الثانى فهدم ما كان قد بنى فى درب صنعاء و هى أول هديمة هدمها فى درب صنعاء و اقام بصنعاء اياما و عاد إلى ريدة، و كان معه عسكر عظيم زهاء ألف فارس من حمير و همدان و غيرهم، و وقع بينه و بين قيس الهمدانى وقعة، و كان قيس قد بنى الدرب فلما دخل الإمام صنعاء المرة الثانية، أمر بهدمه أيضا و ذلك سنة ۳۶۹ و خرب ما كان حول صنعاء و قطع فى ضهر: انتهى.

و لما ظهر الإمام الداعى، نهض إلى نجران و جهاته، ثم عاد إلى ريدة فاستخرج منها جسد عمّه المختار بن الناصر رحمه اللّه فوجده على حالته التى كان عليها فى حياته لم يتغير، فحمله إلى صعدة و دفنه فيها .

و سار إلى صنعاء فدخلها و خرج منها ابن الضحاك الى بيت بوس، و خرج الإمام إلى الرّحبة و فيها جنود إبن الضحاك و أسعد بن ابى الفتوح الخولانى فى جند عظيم من مارب و غيره، و جند الامام يومئذ زهاء ألف فارس من همدان و حمير و غيرهم، فحمل جند ابن الضحاك على اول عسكر الامام فقتلوا منهم جماعة و كان الإمام فى آخر العسكر، فلما وصله أوّل عسكره منهزمين، خرج فى الخيل فحمل على بنى الحارث و ابن الرويّة، فانهزموا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۸۱

و لم يزل القتل فيهم الى ان دخل الليل و صاروا الى جبل الصّمع فقتل من بنى الحارث ستين رجلا، و من مراد و غيره، أربعين رجلا، و رجع الإمام من ساعته، و أمسى فى شعوب، و دخل بكرة اليوم الثانى صنعاء و أقام بها أياما .

ثم انه خرج الى الأبناء و عاملهم على أسعد بن أبى الفتوح، و عاد إلى صنعاء و خشى ان يهاجمه قيس و أسعد بمن معهما فى بيت بوس، فغادرها إلى البون، و بقى يتردّد فى البون و همدان، و بنى صريم و دخل قيس صنعاء فى الليلة التى خرج فيها الإمام منها، و لما استقر قيس بها لم يطمئن، و خاف أن يهاجمه الإمام الداعى فاستنجد بإبن زياد فأمدّه بالشريف يحيى بن الحسين بن الهادى فى عسكر عظيم، فدخل الشريف الهدوى صنعاء، و مكث بها مدة، ثم أراد العود إلى زبيد و استخلف على صنعاء ولده الحسين بن يحيى، و سار إلى زبيد، ثم إن الإمام نهض بمن معه و قصد صنعاء، فوصل إلى باب السّبحة، فكانت معركة قتل فيها من عسكره و من أهل صنعاء جماعة، و لم يتمكن من دخولها، فعاد إلى ريدة، دخل أسعد بن أبى الفتوح، و أقام بصنعاء مع الشريف الحسن بن يحيى أيّاما ثم فسد ما بينهما، و خرج الحسن بن يحيى مغاضبا و لحق بالإمام الداعى و قصدا صنعاء، فقابلهما ابن أبى الفتوح، على أبواب صنعاء أربعة أيام، و لم يظفرا بشىء، و لم يزل أسعد ابن أبى الفتوح بصنعاء حتى فسد ما بينه و بين سلمة بن محمد الشهابى، و كان أهل صنعاء مع سلمة، فاخرجوا إبن ابى الفتوح و صار الى بيت بوس، و لما خرج من صنعاء أرسل قاضيه محسن بن جريش إلى الإمام يوسف و حلف له على السمع و الطاعة، و طلب منه النّهوض إلى حرب صنعاء و هدم السور فلبّاه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۸۲

الدّاعى، و بادر مسرعا، و سار إلى ضلع فتلقّاه إبن أبى الفتوح فى ميدان عباد آخر شعبان من السنة و دخلا صنعاء عشية ذلك اليوم و كان أسعد قد استغوى بالمال قوما من بنى يعمر كانوا فى عداد الجند المحافظ على صنعاء ففتحوا موضعهم لأسعد و الإمام، و لم يشعر أهل صنعاء إلّا و سيوف المغيرين تحصدهم، و لما دخل الإمام، و فتح باب الدرب، دخلت همدان من طريق الجبانة، و انهزم سلمة و

بنو شهاب إلى دار أبى جعفر بن خلف فى السّرار ، و كان مع الدّاعى و ابن أبى الفتوح عسكر عظيم من همدان و خولان كلها، و نهبت صنعاء يوم الثلاثاء فلما كان بكرة الأربعاء خرج الدّاعى، و قصد دار ابن خلف، و أخرج سلمة الشهابى، و قتله و معه زهاء أربعين رجلا، و نهبت دار ابن خلف، و غنموا ما فيها.

قال الأمام المنصور باللّه عليه السلام: (و سبى من دار ابن خلف و دار ابى جعفر نساء كثيرة) ثم إن الامام أمر بالأمان، و رفع أيدى النّاس عن النّهب آخر نهار الأربعاء، و مركب يوم الخميس، و معه أهل صنعاء لهدم السور، و كان يضرب من لم يجتهد فى الهدم .

و كان قد بلغ أسعد بن ابى الفتوح أن الدّاعى يتوعّده فخاف و خرج من صنعاء و معه خولان فلم يتأخّر الإمام عن محاربته، و سار إليه فى همدان، و الأبناء، و أهل صنعاء، و نهب طرفا من بلاد خولان، و هدم السّرين و هو بيت الحسن بن أبى الفتوح، والد أسعد، ثم رجع إلى صنعاء، و أقام فيها اياما، و صار أسعد بن أبى الفتوح إلى بيت بوس، فسار إليه الامام فى همدان

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۸۳

و غيرهم، فاقتتلوا، و دارت الدائرة على أسعد، فانهزم الى حدين ، و عاد الإمام و قد ربح المعركة و رجع أسعد إلى بلده مدحورا.

و دخلت سنة ۳۷۱ فيها خالفت همدان على الإمام الدّاعى، و كسروا باب السجن و اخرجوا من فيه، فسار الإمام آخر النهار إلى بلد الأبناء بالمشرق، و أقام به أياما، ثم وصل إليه قوم من همدان، كانوا له أصحابا فكاتبوه بالرجوع إلى صنعاء فرجع لأربع عشرة بقين من شعبان من السّنة، و لم تطل إقامته بها، و كره المقام معهم، فرجع فى حاضرته إلى بلد الأبناء و أقام فيهم قليلا، ثم مضى إلى بلد عنس لأنّه خاف من أسعد بن ابى الفتوح، و لما علم أسعد بمسيره أعدّ له رصدا فى الطريق، و مرّ الإمام من النّقيل ليلا، فشعر به الرّصد فأخذوا عليه خيلا و بغلة، وفاتهم إلى ذمار، و أقام فى عنس مدّة، ثم فارقهم، و صار إلى مارب عن طريق الغائط ، ثم انتقل الى الجوف، ثم إلى ورور و ريدة، و ذلك بعد أن تغيّر عليه أمر عنس بمعاملة الأمير عبد اللّه بن قحطان الحوالى .

و فى الخزرجى انه لما فسد ما بين الإمام، و ابن أبى الفتوح، و خرج الى خولان و أخرب دورا منها دار إبن ابى الفتوح و عاد إلى صنعاء و اتفق هو و ابن الضّحاك و جعل له الإمام جباية صنعاء ثم اختلفت عليه همدان، فسار إلى بلد عنس، و أقام فيه زمنا و هدأت الفتنة هذه المدة، و كل من هؤلاء،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۸۴

ثبت على ما تحت يده و قنع به، و فى انبأ الزمن و غيره انه لما عاد الإمام الدّاعى من مارب إلى ريدة جمع همدان و سار بهم الى صنعاء، فخالفت عليه همدان فرجع إلى مكاتبة إبن ابى الفتوح، و بذل له نصف جباية صنعاء، فسار إليها، و طرد عمّال ابن الضّحاك، و خطب للإمام و لعبد اللّه بن قحطان، و لمّا ليم على ذلك قطع ذكر الجميع، فسار الإمام الى حوث، و عمر بها دارا نقل إليها أولاده، هكذا أورد الخزرجى و صاحب أنباء الزمن و صاحب قرة العيون ، سلسلة الحوادث المذكورة من سنة ۳۵۸ إلى سنة ۳۷۴.

و فى اللآلىء المضيئة زيادة أشرنا إليها، ثم قال فى أنباء الزمن و دخلت سنة ۳۷۵ لم يتفق فى هذه السنة و لا فيما بعدها ما يستحق الذكر إلى سنة ۳۷۹، و ذكر خبر عبد اللّه بن قحطان الآتى، و فى اللآلىء المضيئة: انه لما وصل الى ريدة، جمع همدان و أغار بهم على صنعاء، فخرج عنها ابو العشيرة، عم أسعد و كان واليا عليها من قبل أسعد، و ذلك يوم الجمعة سلخ ذى القعدة من سنة ۳۸۱، و لم يزل يتنقّل من صنعاء إلى ريدة إلى ناعط إلى مدر ، و كان قد عمر حصن ناعط، و أقام فيه، ثم هدمه، و تحول إلى مدر، و جعل يدور فى مخاليف همدان، ثم أن همدان خالفوا عليه، و رفعوا أيدى عماله فانتقل إلى توابة، ثم صار إلى بلد بنى ربيعة إلى حوث، فبنى بها منزلا، و نقل اليها خدمته، ثم إن قوما من همدان كاتبوه، فسار بمن معه إلى الحصبة قريبا من صنعاء، و كان بها جماعة من أصحاب أبى حاشد،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۸۵

فخرجوا و قاتلوا الإمام و أصحابه، و هزموهم، و ذلك فى رجب سنة ۳۸۲ فرجع الإمام الى ريدة، و أقام بها أقل من شهر، و عاد إلى

صنعاء فدخلها سلما و أقام بها أيّاما، ثم رجع إلى ريدة، و فسدت عليه همدان، فانصرف الى حوث لعشر بقين من شعبان من العام المذكور، و لم يلبث أن رجع الى ريدة، و حلفت له همدان على الطاعة، فأرسل و اليه على صنعاء، و خطب له بها، و ذلك فى صفر سنة ۳۸۷ ، و ولّى القضاء البوسى، و عزل القاضى سليمان بن يحيى بن محمد النقوى و صادره، ثم سار إلى صنعاء فوصلها آخر جمعة من رجب، ثم رجع إلى حوث فى شعبان من السنة.

هذه حوادث سنىّ الإمام يوسف الداعى قبل ظهور معارضة الإمام القاسم بن على العيانى، و قد ذكرنا ما كان منه أيّام الإمام القاسم فى موضعه و سنشير إلى بقيّة حوادثه بعد وفاة القاسم بن على العيانى إن شاء اللّه.

نزول عبد اللّه بن قحطان لمحاربة ابن زياد

و دخلت سنة ۳۷۹ فيها نهض الأمير عبد اللّه بن قحطان الحوالى إلى زبيد، فتلقاه صاحبها ابن زياد إلى حجرة حران، فاقتتلوا هنالك، و كانت الهزيمة على ابن زياد، و قتل من عسكره خلق كثير، فصار منهزما نحو زبيد، و تبعه الأمير الحوالى، و دخل زبيد و نهبها اقبح نهب، و أقام بها ستة أيّام، و رجع إلى كحلان و أقام فيه الى سنة ۳۸۰، و فيها نهض الى مخلاف جعفر فاستولى عليه، و أقام بإبّ، ثم أنه أضطرب عليه أمر ذلك المخلاف، فأمر بعمارة المنظر، و تحوّل من إب إليها، و جعل أمر الهان إلى أسعد ابن أبى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۸۶

الفتوح، و أعانه على من ناواه من أمر العرب، و قطع خطبة بنى العباس، و خطب للعزيز العبيدى، و مات الأمير عبد اللّه بن قحطان سنة ۳۸۷، و قام بالأمر بعده ولده أسعد بن عبد اللّه بن قحطان، و كان أمر صنعاء مضطربا تارة يتغلّب عليها الامام الدّاعى و ابن أبى الفتوح، و تارة آل الضّحاك، و كانت همدان و حمير و خولان و بنى شهاب، متفرقة معهم فمن كثر جمعه غلب على صنعاء و قيل ان وفاة الأمير عبد اللّه بن قحطان سنة ۳۸۹

الامام المنصوب باللّه القاسم بن على العيانى

و دخلت سنة ۳۸۸: فيها ظهر الإمام المنصور القاسم بن على بن عبد اللّه بن محمد بن القاسم الرسّى عليهم السلام، و تجاذب هو و الإمام الدّاعى يوسف بردة الخلافة، و تنازعا ثوب الزعامة، و كان كل واحد يثنى على الآخر، و ربما لامه، و كل ما كان بينهما من وفاق و شقاق يقول صاحب البسامة:

و يوسف العترة الداعى الذى شرفتمنه المناصب زاكى الأصل و الثمر

و القاسم القائم المنصور من شرفتبه عيان على ما شيد من مدر

جرت بأعجب أمر كان بينهماكأمر يوسف و الأسباط فاعتبر

و نازلا كل طاغ فى زمانهماو حاولا كل جبّار و كل جرى

و سائل السور من صنعاء ما فعلتبه الجنود و قاضى الجبر و القدر

قال فى سيرة الامام المنصور : لما بلغ الإمام إلتياث الأحوال على ولاته باليمن و هو مقيم بترج بعث عمار بن أحمد الجعدى و أحمد بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۸۷

خالد بن صبيح فى شوال سنة ۳۸۸ لجمع الأعشار ، و استنهاض النّاس و زودهما بكتب، فلما وصلا همدان تحشّد لذلك رجال من المسلمين من البونيين و الخشب و المشرق و الصّيد، و لم يخالطهم من بكيل و لا من الظواهر الا الشيخ أحمد هندى من خولان، فجمعوا نحوا من عشرة آلاف درهم، و لما وصلوا صعدة نهض معهم إثنا عشرة رجلا منهم أبو العشيرة ابن أيوب اليرسمى، و ساروا، و

قد اجتمع زهاء مائة و ثلاثين، و خيلهم ثلاثة عشر فوصلوا إلى القاسم بن على عليه السلام، و هو بحص عمره بهرجاب أسفل وادى بيشه، فلقيهم بنوه جعفر و على و سليمان و عربها و كان الإمام ثقيلا من شكوى أشتكاها، و لما سلموا عليه إستأذنه الحسين بن أحمد بن يعقوب من انشاد قصيدة، فقال عليه السلام: إذا كان محروسا من ذمّ العرب فأنشد:

دعانا القائم المنصور يبغىعنايتنا و يمنعنا الأثاما

فلبّينا لدعوته و قمناعجالا فى إجابته كراما

نبادر نفعه نبغى رضاهنجيب السيد العلم الإماما

القصيدة إلى آخرها

و فى أنباء الزمن و الخزرجى : ما خلاصته كان الإمام المنصور باللّه ببلاد خثعم فسار عنها إلى صعدة فملكها، و خرج إلى نجران، ثم عاد إلى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۸۸

تباله فخالف عليه اهل صعدة فجمع همدان و سار إليها فدخلها و أخرب دروبها، و أخرج منها الداعى يوسف بن يحيى فاستعمل الإمام عليها ولده جعفر، و جعل له نصف خراجها، و النصف الآخر لبنى الهادى للضرورة، و ضيق الوقت و مهما حصل ما يكفيهم انتزع منهم و وضع فى موضعه الشّرعى و أصطلح هو و الإمام الدّاعى فناصره الدّاعى و انضم إليه:

و لم نقف على تفاصيل ما كان من الأحداث فى خروجه المرة الأولى و لا فى أى تاريخ كان خروجه.

نهوض الامام القاسم الى صعدة و انتقاله إلى عيان

و دخلت سنة ۳۸۹ فى المحرم منها تحرك الإمام بمن معه من الجنود إلى صعدة و لما قرب منها خرج لملاقاته الأمير عبد اللّه بن محمد بن المختار فى عسكر من بنى سعد فسلموا عليه و انضموا إلى عسكره، فنزل بالمحرقة حذا صعدة، و لقيه الدّاعى يوسف بن يحيى فى عسكر عظيم، و كان الامام القاسم قد ركب للقائه، و تبعه عسكره، فخاف ان يحدث بين العسكرين شرّ، لما بينهما من ذحول الفتن و احقادها، فكبح جماح فرسه، و عاد إلى معسكره، و قال: إن كان ابن عمّى يريد السّلام علىّ بغير هذا الجمع فليأت ، فلقيه الداعى فى عشرة رجال، فلقيه الامام و سلم كل منهما على صاحبه، و أمره بالإنصراف الى منزله، و رجع الإمام الى مضربه، و أمر ولده جعفر بدخول صعدة، فى طرف من عسكره، و أن يخطب على منبرها لأبيه و جدّه، و يقطع ذكر يوسف الدّاعى و الأمير عبد اللّه بن محمد، و كانا من قبل يذكران معه، فأراد إختبارهما بذلك فسلّما و لم يعارضا، ثم ألحق ذكرهما

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۸۹

بعد ذكره، فيما بقى بعد ذلك، و طلب منهما و من الحسن بن يحيى، و سائر أولاد المختار البيعة، فبايعوه، و دخل صعدة، فمكث بها أيّاما، ثم أنتقل الى عيان و استخلف على صعدة ولده جعفرا، و جعل خراجها و خراج ما حولها رسما مجرى على الشرفاء من ولد الهادى عليه السلام، نصف الأعشار بعد إخراج المؤن يقبضه يوسف الدّاعى، و النّصف الثانى إلى أولاد المختار، و سائر الخراج يقبضه خزّان الأمير جعفر، و ذكر فى كتاب لهم نصف هذا الخراج يجرى عليهم حتى يفتح اللّه عليه من أرض الخراج و الأفيا و الأخماس ، ما يغنيهم عن ذلك، ثم ينتزعه و يضعه فى مواضعه المشروعة و انما رسمه لهم لضيق الوقت و الضّرورة.

الامام القاسم بعيان و انتقاض بعض قبائل خولان

ما كاد الإمام يستقر بعيان حتى وافته الأنباء بإنتقاض آل الربيعة من خولان، و قتلهم رجلا من اصحابه بقرب صعدة، و ميل بعض أهل صعدة إليهم، و فيهم الدّاعى يوسف، فثار ثائر الإمام و فرق الصربخ فى البلاد، فاجتمع عليه من الاجناد الجم الغفير، و بادر إليه الدّاعى

يوسف فى أشياخ من وادعة متوسّلا بهم إليه فى العفو عنه و الأمان له و لقرابته، فأسعفه الإمام بذلك، و نهض بجيوشه حتّى نزل منزلا يقال له الحبط من بلاد سفيان فبات فيه، و أمر مناديه ان يؤذّن العسكر بالرّحيل على ثلاث كتائب: الأولى بكيل، و الثانية وادعة و من أنضم إليها، و عليها الشّريف الحسين بن المختار، و الثالثة أهل البونين و الأخشاب و حمير، و عقد لكل كتيبة لواء و كان هو و خاصته فى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۹۰

مؤخر الجيش، و له لواء أبيض، و كذلك ألوية الكتائب، و لما قرب من صعدة بلغه أن أوّل العسكر دخل البلد، فأسرع بإرسال من صرفهم عن البلد، و أرجعهم إلى المعسكر العام، و لقيه إبنه جعفر بمن انضم إليه من مخلاف صعده فأمر بعض العسكر بهدم سور صعدة فظلوا يومهم يعملون فى الهدم، ثم نهض و نزل وسط بلد الرّبيعة فحضرت الصّلاة، فصلّى بأصحابه، و ما كاد يفرغ منها حتى رآى قبائل الربيعة قد أصطفت للقتال، و تأهّبت للنّزال، فأمر بقتالهم، و حرّض عسكره عليهم، فهزم الثّوار و قتل منهم نيّفا و سبعين رجلا، و حجز اللّيل بينهم و كان إبتداء القتال، و قد مالت الشّمس للغروب، و غنم جند الإمام ما وجدوه من متاع و نحوه، ثم إن الإمام أمر بهدم حصون الثّوار و نسف زروعهم، و طم آبارهم، و تحول إلى الجبجب و له فى ذلك قصيدة طويلة أولها:

أقول لأصحابى و نحن بجانب‌من «الحبط» تزهانا خيول العساكر

هل الجمع جمع المشعرين كجمعناو لا يزهدن فينا إمرؤ غير خابر

و منها فى ذكر مآل أولئك القوم:

فصبّحت خيلى حرثهم و وكانياو غنمت جيشى ما خبوا فى المحافر

و أشعلت نارى فى الحصون و نلتهابهدم فعادت كالتلول الكنادر

كأن لم يحلّ الهالكون بسوحهاو لم يهتنوا منها بطيب المعامر

إلى آخرها.

رجوع الإمام الى عيان و مسيره الى الجوف

لما رجع الامام الى عيان، تواردت عليه كتب أهل اليمن بالسمع

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۹۱

و الطّاعة، و طلب ولاته و عمّاله، و من جملة من راسله أبو جعفر احمد بن قيس بن الضحاك، و كان رأس همدان و زعيمها، فأسعد الجميع إلى ما طلبوه، و وصل إليه أشياخ من بنى الدّعام أهل الجوف يسألونه: ان يطأ بلادهم، فنهض و معهم فى جمادى الأولى من السّنة فأمسى بالمراشى، و نهض من الغد، فتلقاه بنو الدعام فى جمع كبير، فأقام ببلدهم ثمانية أيام، و ولى عليهم رجلا حسينيا يقال له: سلمان بن صالح، و عاد إلى عيان، و عند نهوضه، و فد عليه الشريف القاسم بن الحسين الزّيدى الحسنى، و كان محله بالطّائف من بلاد الحجاز، و فد على الإمام فى خيل و ركائب من أصحابه و غيرهم من بلد خثعم، فسار معه فأمسى بخيوان، ثم سار إلى بلد الربيعة، فبات فى سوق لهم يسمّى الحضن فأصلح بينهم فى دماء و نحوها، ثم سار إلى أثافت و حد بنى صريم، ثم تقدم إلى أعلا غولة عجيب ، فأقبلت إليه القبائل من كل صوب و هم على اتم اهبة و أكمل إستعداد، فغصّ عجيب بالناس، و صارت الجبال حول عجيب كقرون عرفة من كثرة من عليها، و بعد أن حيّاهم الإمام، سار بين تلك الجموع، و راياته البيضاء ترفرف عليها كأنها قطع السّحاب، و كان بين بكيل و وادعه و أهل البون من الأحقاد و الثارات ما يتعذر معه الوفاق، فكان فى إجتماعهم بذلك المعسكر الوئام و الحب و الإخاء:

سحبت على الأحقاد أذيال الهوىو مشى على الضّغن الواد الماحى

و جاءته و فود همدان فأخذ عليهم البيعة و بث ولاته فى بلدانها، و سألته النظر فى صنعاء إذا كانت من أجل بلدانهم، و مدينة اليمن، و

كانت الفوضى قد أضرت بسكانها، و افترق أهلها إلى فريقين أهل القطيع و أهل السرار ، و كل فريق يغير و يقتل فى الآخر، فأمر الإمام عليها الشريف

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۹۲

القاسم بن الحسين الزيدى، فصلحت بولايته و أمّن الناس، و جاءته أيضا حمير من نواحى شبام و سألوه أن يطأ بلادهم، فأجابهم و سار إلى حلملم، و ولّى الشريف أبا البركات إسماعيل بن أحمد بن محمد بن القاسم بن ابراهيم عليه السلام.

كما أنها وصلته قبائل المغرب كبنى شاور و بنى أعشب و غيرهم، و سلاطين مسور، فبايعوه، و أعانوه بمال فقبله منهم، و جاءه و فد من الحجاز أيضا، فأكرمهم و عرض عليهم جنوده و أهل طاعته لأنهم كانوا يزعمون ان السلطان فى اليمن لصاحب مصر فرجع الوفد، و قد شهد له بالفضل و الإمامة، و أوجب على شرفاء الحجاز طاعته و موالاته، و كان ذلك فى رجب من السنة المذكورة، و أقام الإمام بريدة إلى مستهل رمضان ثم رجع الى صعدة.

و فى هذه السنة خرج الإمام الدّاعى يوسف إلى وادعة مغاضبا للإمام القاسم لقطعه المكوس فى صعدة، و ما كان يؤخذ من التجار مقابل الزكاة و الأعشار، و كان التّجار قد شكوا إلى الإمام جور العّمال، و أنهم يسلمون المعين بصنعاء، و كان للدّاعى يوسف و أهل بيته قسط من ذلك فاستاء للقطع، و خرج مغاضبا، ثم أنه سعى بالصّلح بين الامامين الحسن بن محمد بن يحيى.

و فيها بلغ الإمام القاسم أن رجلا من بنى خيثمة من نجران، و جماعة من أصحابه نكثوا و وثبوا على عاملين من عماله فقتلوهما.

مسير الامام القاسم بن على الى نجران و خبر صلح الإمام الهادى الى الحق و احتجاج نصارى نجران به

و دخلت سنة ۳۹۰ فيها جمع الإمام جموعه و استنهض أهل طاعته

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۹۳

فاجتمع منهم خلق كثير، و كانت أوفر الكتائب خيلا، و أكملها عددا أصحاب القاسم الزيدى عامل صنعاء و مخاليفها، ثم كتيبة يحيى بن المختار، و كان عامل الإمام على همدان فتحرك بهذه الجموع لثلاث خلون من المحرم و قصد نجران، و لما وصل أعلا نجران و فيه حصون همدان و وادعة و يام و شاكر، و كلهم من أهل طاعته رحل عنهم إلى الدحامس فهرب الدحامس من حصنه و دخلته الجنود فهدموه و قطعوا نخله، و نخل من كان معه من أهل بيته، و قبض الإمام ممن جنح إلى حكمه، و رجع إليه ستّين رجلا- و حبسهم، فيما يجب من الحقوق، و سار بهم إلى صعدة و فى هذه الوقعة يقول ابو الفلاح احمد بن عبد اللّه مرتجزا

قد عملت ذات الهجار الحابس كالشّمس فوق الشمخ الأوانس

انا نوطىّ عزمة الدحامس بألف خطى و ألف فارس

ثم ان الإمام أمر عماله ان يفرضوا على التّجار و النّصارى و المزارعين.

ضريبة على كل بقدر ما يملك، ليستعين بها على مؤنة عسكره، فوصل إليه مشيخة النصارى ، و فى مقدمتهم إبن أبى الجهم، فقالوا: يا مولانا نحن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۹۴

رعيتك فى ذمّة جدك، و قد أخرجنا الجزية إلى سعاتك، فلم تكلفنا غيرها، فقال لهم الامام: ليس الجزية شرطكم، و لكنّا أجريناكم مجرى اليهود نضرائكم، حتى ننظر فى الأمر بعد ذلك، ثم أنا أعلمكم بما يجب فإن اقمتم بما شرط على أسلافكم تممت لكم، فقال النصرانى: و ما ذاك أيّها الامام، فقال له الإمام: النّبى صلى الله عليه و آله و سلم صالح سلفكم بأن يدعهم على دينهم و مؤمنهم فى بلدهم، على تسليم اربعمائة أوقية تبرا و أربعمائة حلة من وشى اليمن، فأختاروا الآن اما تسليم ذلك وادعكم على الحال التى وادعكم عليها النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو تسلمون فلا أسألكم إلّا ما أسأل المسلمين، فقالوا يا مولانا: ذلك حين كان سلفنا يملكون

الوادى أو أكثره، و نحن اليوم جيران مستضعفون، و قد صالح ابن عمك الهادى بصلح فاقبله منا، فقال لهم: الامام ان الهادى لم يدع معكم الامارونى أعوانه دونه، و اليوم قد أيّد الله دينه باعوان أولى قوة و عزّ فانظروا لأنفسكم، فتقدم أشياخ من بنى الحارث و سألوا الامام أن يجريهم على قبض الجزية و المعونة إذا سئل المسلمون معونة غير زكواتهم فأوجب لهم، قال مؤلّف سيرته: فسألنا الإمام عليه السلام لم ترك النّصارى من شرط رسول الله صلى الله و سلم عليه، فقال: لسبب أنا أبصر به منكم و أعرف بالسيرة فى ذلك

رجوع الإمام إلى صعده

لما أكمل الامام أمر نجران عاد إلى صعدة، و عزم على ان لا يرد المليح بن ابراهيم بن محمد بن المختار على عماله نجران، و خشى أن يكون من تفريط فيجرى مثل الذى جرى، و كذلك عزم على عزل أخيه يحيى بن محمد من ولاية البون و ريدة، فلما علموا بذلك سألوه أن يثبتهم على

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۹۵

ولايتهم، فقال لهم: يا أهل بيتى أنا أعوّضكم عما كنتم تنالون منها من وجوه غير الولاية فإنّى رأيت ولايتكم لم تجر علىّ و عليكم خيرا، و علىّ لكم أن أواسيكم بنفسى فى كل الحالات من المعائش و الملابس، فلم يرضهم ذلك و قاموا من مجلسه غاضبين نافرين، و كاتبوا أنصارهم من القبائل، و ابن عمهم يوسف الداعى إذ كانوا يعلمون منه الكراهية للإمام، فلم يساعدهم أحد فعادوا الى الإمام و سألوه العطف، فعطف عليهم و أحسن اليهم و سيأتى خبر أحداثهم و ما كان منهم قريبا.

كتاب الامام القاسم بولاية الزيدى على صنعاء و مخاليفها

و لما رجع الإمام إلى عيان سألته القبائل: أن ينهض معهم إلى بلدانهم فاعتذر بكثرة أشغاله و ارجع النّظر فى ذلك إلى القاسم الزّيدى، و كتب له عهد جاء فيه: و اعلم ان النّاس سبع طبقات منهم القضاة و هم المقدّمون، إلى ان قال: و أما السّلاطين سلاطين البلد فهم رجلان، رجل دخل معنا ليعلم فعلنا فى أنفسنا، و فيمن اتّصل بنا، و الآخر قد استوقفنا و تربّص بنا، و ليس من السّلاطين من قد دخل معنا بما ذكرت إلا الأمير ابو جعفر احمد بن قيس، فراعه منك بعين الصّيانه و اعرفه بالنقاء و الأمانة و كريم افعاله فإنّ لم يوسّطنا أحد من الملوك ما وسطنا من داره و عشائره إلى أن قال: و اعلم أن الملوك نشأوا فى النّعمة، و ألفوا من الخاصة و العامة الكرامة، و متى ورد على أمر غير ما يعرف، كرهه، و أما سائر من قبلك من السلاطين، فهم أربعة، أحدهم المنتاب بن ابراهيم، و سبأ عبد الحميد، و أسعد بن أبى الفتوح، و ابراهيم ابن نزيل، فأما سبأ و المنتاب و ابراهيم بن نزيل، فقد دخل كل هؤلاء على ما تحت أيديهم و الكل دخل معنا مدخلا لم يريبنا به، و لا بد أن نختبر كل أولئك و نذكره بما قد أوجب لنا على نفسه (وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۹۶

الآية .

. و أما ابن أبى الفتوح فبينى و بينه مكافة فكفّ عنه ما أنكف عنك، و أما ابن قحطان فبينه و بين صاحبى مكافة فارع منه ما رعى، فقد وعدته بذلك من نفسى و الذى بيدك يا سيدى من المخلاف ما حاز عجيب الى حدود إبن أبى الفتوح فى ناحية صنعاء و مشرق بلاد همدان جملة و بلاد حمير و مغارب مخلافك كالصيد و شاحذ و الناقر و نضار و الاحبوب و شمر و الطرف ،؛ و ما اتصل بذلك، و حراز فهذه البلدان فيها مبدأ مؤنتك و مؤنة أعوانك و أخدامك و تبرّ من رأيت من أهلها و توفر خراجات هذه البلدان حق التوفير، و تطلق واجباتها لمن ثبت إسمه فى ديوان النجدة.

و الذى فى صفقة الحسين بن المختار

الظاهر [هكذا فى الأصل و لعلها الظواهر] ظاهر الصّيد، و ظاهر بيت زود، ثم الظاهر معرضا حدة حلملم، و حلملم معك، و قارن و الأشمور، و ما حاز هذه البلدان إلى الظاهر، فهو بموصول بمخلاف الحسين بن المختار،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۹۷

و مغارب هذه البلاد و معه بنو أعشب و بنو شاور، و قدم، و ميتك، و دروان و حجة، و ما بيد المنتاب فهو بيده إلى عيان، و ما بيد بن عبد الحميد فهو بيده حتى تنظر طاعته، و أعلا وادى لاعه، بيد ابن ابى جعفر [كذلك بالأصل و لعله ابن أبى يعفر] و عليه فيها رسم و بيد العرجيين منها طرف و عليهم تسليم [كذا بالأصل] بلا شرط فتعاملهما بحسب ما ترى إلى آخر الكتاب .

وصول الأشراف و وفد عنس إلى الامام القاسم

و فى هذه السنة وفد الى الامام بنو ابى الطيب الحسنيون من أمراء الحجاز و أهل الثّروة فيهم و الجاه، و غرضهم من هذه الوفادة تحفيز الامام على فتح تهامة الشام، و توليتهم عليها، و كان وصولهم فى شهر صفر.

و فيه وصل متقدّم عنس و عميدها الحسن بن أحمد العنسى و معه كتب من رؤساء عنس، يطلبون من الإمام أن يولّى عليهم من قبله و يخبرونه بطاعتهم، و انضوائهم تحت رايته، و كانوا من أعز أهل اليمن و أكثرهم خيلا، و لما رأى الامام إقبال أهل اليمن عليه، و مبادرتهم إلى طاعته أراد إغتنام الفرصة و الوثوب على تهامة الشام، طلبة الأشراف فكتب إلى عموم اليمنيين يستنهضهم و يستثير همهم بقصيدة أولها:

طال الثوأ بصعدة و عيانو مذاب و الأحراج من سنحان

حولا تحرم لأنهم بتيّةتدعو لمبتعد من البلدان

فهل الزمان ساعف لموائكيقصر و يقرب مرة و يدانى

ناطته همته لأعلى مطلبلا يستفاد من الحلى بتوانى

فنأى و أخلى من ونى فى رائهو اضاف ظن الخير فى قحطان

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۹۸

و منها:

اما اجبتم دعوتى فتأهبوالهبوط بيش منزل العبدان

فيه مغانم لا تجلّ لجمعنالو كان كالحسين من قحطان

إختلال صعدة، و أحداث المليح بن إبراهيم و إخوته، و أخبار الزيدى و ما كان منه

قبل ان يستكمل الإمام القاسم أهبته للوثوب إلى غايته التى ندب إليها و وعد الاشراف بإنجازها، فوجىء باختلال صعدة و وثب المليح و اخوته عليها، فخفّ الإمام إليهم فى جماعة قليلة، و لم يتمهل إلى وصول النّجدات من أنصاره، و عاجل البلدة مسرعا بمن خف من عسكره، و لما وصل صعدة تحقق إنحلال امره بها، فقد أمتنع أهلها عن الوصول إليه و تعصّبوا على بعض خدمه، و أعلن المليح فى أسواقها بالخلاف، فاشتبك الإمام معهم فى معركة حامية دامت سحابة يومه، و كاد أن يحاط به و بمن معه، لو لا مبادرته بالانسحاب من القرية، و مبارحتها إلى حصن الناصر، و هناك وافته القبائل المغيرة، فأمرهم باعادة الكرّة، و مهاجمة تلك المدرة فانهزم المليح و غادرها فى خفارة خولان إلى نجران، و انتشر الجند المغير فى النّهب و السلب، و أراد الإمام كف عاويتهم و منعهم، فلم يتمكن إلّا آخر النهار، بعد أن ركب إلى صعدة فى جماعة من الأشراف و غيرهم، و نادى بالأمان و إخراج أهل الاطماع، و أرسل لخولان، و أخذ عليهم الذمة فى حفظ البلد، و صيانته و رجع فى خافرته عن طريق غرق، و كان قد استقدم القاسم الزّيدى، فوافاه إلى ورور ، و

بينما هم هنالك إذ وصلت كتب سلاطين المخلاف إلى الإمام

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۱۹۹

يرجونه عزل الزّيدى، و توليهٔ غيره عليهم، فمال الإمام إلى مقترحهم و عرض الأمر على الزيدى فكره ذلك، و تعصّب له الحند. و نصح آخرون بضرورهٔ بقاء الزيدى لحزمه و كياسته، فرجح الإمام عن فكرهٔ عزله و أكّد ولايته، فغضبت القبائل و عاتبوه على ذلك حتى أضطروه إلى معاودهٔ الفكرهٔ الأولى و مواذنهٔ الزّيدى ثانيهٔ، و لما عرف الزيدى ميل الإمام و انصياعه الى تلبيهٔ إقتراح القبائل، فارق صنعاء مغاضبا، و سار إلى عنس، و لم يخبر الإمام بحركته إلّا من مهران، و لما وصل بلد عنس، أجتمعت إليه القبائل، و سألوه ان يطلعهم على ما كتب إليهم الإمام فى شأنه، فاحتار و ارتبك، و قال لهم أن الإمام اكتفى بإرسالى إليكم لثقته بى، فلم يقبلوا منه و اضطروه إلى مراجعهٔ الامام و عرض الحقيقهٔ عليه، فكتب لهم الإمام منشورا بخطّه أمرهم فيه بالسمع و الطاعهٔ للزيدى، و اشترط عليه مشاورته فى كل أمر، و مؤاذنته قبل إحداث أى شىء، و على ذلك أقام الزيدى ببلد عنس، و اتّسعت ولايته و عظم شأنه، و سنأتى على تفاصيل اخباره قريبا

عزم الإمام لحرب نجران

و فى هذا العام حشد الإمام الجنود لمحاربهٔ نجران، و كتب إلى أهل طاعته بالحجاز ، أن ينهضوا فى لقائه إلى نجران، و كان له عليهم وال يقال له: رزين بن احمد بن يعقوب الهمدانى، فنهض رزين المذكور فى وادعهٔ و سنحان و جنب و غيرهم، إلى نجران، و سار الإمام بمن معه من قبائل اليمن، و ارسل كل واحد من سلاطين اليمن، كإبن ابى الفتوح، و عبد الحميد صاحب جبل تيس ، و المنتاب صاحب مسور، و أسعد بن عبد اللّه بن قحطان بالجنود و المدد، فتكاثف الجند و عظم الحشد، و لكنه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۰۰

رغما على كثرته تخاذل و فشل، و لم يأت بالثمرهٔ المطلوبهٔ، من تأديب العصاه و اخضاعهم و توطيد رايهٔ الامام بإرغام قبيلهٔ نجران العاتيهٔ على سلوك السنن الأقوم و الطريقهٔ المثلى، بل أصبح بالحال كما قيل:

جيوش ما لها فى الملك نفع حكمت صورا تصوّر فى الكتاب

مما اتت قتالهم من غير نيل كمثل الضّرب فى صور الحساب

و رجع الامام الى صعدهٔ و قد أيس من نيل و طر، أو ادراك غايهٔ بتلك الجموع المغلولهٔ، و عزم على ترك نجران و من بها يعمهون فى باطلهم إلّا من أراد الإنضمام طواعيهٔ، ريثما تسعفه الأيام بما يريد من وجود أنصار تقوم بهم الحجهٔ، و لما رأى الأشراف كثرهٔ إختلاف النّاس على الإمام عادوا أدراجهم قانعين من الغنيمهٔ بالإياب:

الوحشهٔ بين الامام و القاسم الزيدى

و كان الزيدى قد تخلف عن غزو نجران بعد الذى سبق منه، فاحفظ تخلّفه قلب الإمام عليه، و عاتبه على ما صدر فأكثر، و كان أبو جعفر احمد بن قيس بن الضحاك، يكره ولايهٔ الزّيدى، و كذلك قبائل مخاليف صنعاء فانتهزوا فرصهٔ إنحراف الإمام عنه و طلبوا منه ان يولّى عليهم إبنه جعفرا، و نشط كثير من الناس لتوسيع دائرهٔ الخلاف، و بذر بذور الشقاق بالسّعايهٔ بين الإمام و عامله الزيدى، فكانت دعوتهم أسرع إلى القلوب من النّار فى يابس الهشيم، فلم يتلعثم الزيدى عن إظهار الخلاف جراهيهٔ ، و لبس جلد النمر، و أغار على مخاليف إبن أبى الفتوح و عاث فيها فسادا و جرت بينه و بين ابن أبى الفتوح مصاولهٔ و منازلهٔ، غلب فيها ابن ابى الفتوح و لم يطق المقاومهٔ، و استغاث بالإمام، و كان من أنصاره، فكتب الإمام إلى الزّيدى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۰۱

يأمره بالكف عن ابن ابى الفتوح، و يعاتبه، فلم ينزجر الزّيدى، و جعل يواصل خطواته، و يجدّ فى تخريب الحصول و تدمير الزروع، و بسط يده على مخلاف الهان، و مخلاف ذى جرّة ، و هدم حصن نعظ ، و هو لإبن ابى الفتوح، و عظمت ولايته عند أهل اليمن، و انكمش الإمام بمخلاف همدان، و أمسك عن أمره و نهيه مظهرا العتب على الزيدى، غير راض عن أعماله، ثم ان الزيدى رجع إلى طاعة الإمام و التمس منه العفو، و اعتذر عما كان، و طلب من الإمام الدّخول معه صنعاء فقبل الإمام عذره، و رافقه إلى صنعاء، و دخلها فى المحرم سنة ۳۹۱، و أمر الزيدى بإرجاع مخاليف أسعد بن ابى الفتوح، و قرّر الأمور بين أسعد و بين الزيدى، و رجع إلى صعدة من طريق الجوف، و فى الخزرجى و أنباء الزمن : ان همدان قصدت الامام فى هذا العام إلى وروور، و سألوه النفقة، فكتب لهم الى عامله بصنعاء فلم يجدوا عنده ما يقوم بكفايتهم، فساروا إلى ابن أبى الفتوح و ابن أبى حاشد، فحلفوا لهما و ادخلوهما صنعاء، و خرج ولاة الإمام منها، و لما علم الزيدى بذلك، أقبل من ذمار بجموعه، حتى وصل بير الخولانى فقطع ما كان بها من أعناب إبن أبى الفتوح، و سار إلى نفط فأخربها، و خرج ابن ابى حاشد من صنعاء و عاد ابن أبى الصّباح نائب الإمام، و كانت الأنباء قد أسلمت إبن أبى الفتوح و تأخّرت عن نصرته، فلما رأى ذلك طرح نفسه على رؤوس القبائل، و على الشريف الزّيدى، فقبله على ان يكون مخلاف خولان من تحت يد الزّيدى، و حمل ابن ابى الفتوح إلى الزيدى خمسة و سبعين ألف درهم، و دخل الزّيدى صنعاء و وقعت منه مخالفة لأوامر الإمام، ثم طلب من الإمام

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۰۲

الاتفاق فالتقيا بمدر، و اعتذر الزيدى عما كان، و دخل الإمام صنعاء، و أقام بها أياما، ثم رجع إلى وروور، و الزّيدى إلى ذمار، و استعمل على صنعاء هلال بن جعفر العلوى.

و فيها ارتفع سعر الطّعام بصنعاء إرتفاعا عظيما، و مات الأمير إسحاق بن إبراهيم بن زياد صاحب زبيد، و قد تقدّم الكلام عليه و على الأحداث التى كانت بعد وفاته، عند الكلام على الحكومة الزّيادية

ولاية جعفر بن الإمام على صنعاء و وثوب الزّيدى عليها

و فيها وصل جعفر بن الإمام القاسم عاملا لابيه على صنعاء، و تلقّاه إبن أبى الفتوح فردّ عليه جميع مخلافه، و لحق الناس من الأمير جعفر بن الإمام شدة عظيمة لجوره، ثم تقدم الإمام إلى صنعاء و وصله ابن أبى الفتوح و تغيّر الإمام على الشريف الزيدى، فخالف عليه، و ثبت بذمار إلى أن خرج الإمام من صنعاء فقصدها، و أسر جعفر بن الامام و إخوته و سار بهم معه و حارب ابن ابى الفتوح، و أخرب قرية نعظ، ثم ان الامام راسل الزيدى و استعطفه، فأطلق أولاده، و أحسن إليهم ثم قصد الإمام إلى ريدة فصلح شأنهما، و أقام الزّيدى عند الامام مدّة، و تعاملا على احوال لم تظهر لأحد و ولّاه الإمام ولاية عامّة من عجيب الى عدن، و اشهد له بذلك، و ذلك فى المحرم سنة ۳۹۲

و عاد الزّيدى إلى صنعاء و ولّى عليها الشريف هلال بن جعفر العلوى و سار نحو الهان فبلغه موت الأمير سعد بن عبد الله بن قحطان صاحب كحلان، و ان قومه من الهان أقاموا بعده أحمد بن ابى يعفر، و فى خلال ذلك وصل الإمام القاسم إلى صنعاء فمال عنه الشّريف هلال نائب الزيدى و كتب

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۰۳

إلى الإمام يوسف الدّاعى يستدعيه اليه فتلقاه إلى مشرق همدان، و تحالفا و رجع الداعى إلى ريدة، و فى اثناء ذلك ورد إلى الإمام كتاب من ولده سليمان يذكر فيه خلاف بنى المليح و بنى المختار فى صعدة، فأمر الامام بالرّحيل من صنعاء و استخلف عليها ولده جعفرا، و لما وصل إلى ريدة بلغه ان الزّبيرى خلفه بالدّخول إلى صنعاء، و قبض على ولده، و بعث به إلى قلعة بنى شهاب، و خطب للدّاعى يوسف فاشتد ذلك على الامام، و سار الى مدر فأطلق الزيدى ولد الإمام، و كتب إليه يسأله الصّلح فاسعده، و التقيا الى

الصيد، و لما اقبل الزّيدى بالجنود الكثيرة، أرسل إليه الامام ألّا يلقاه إلا فى نفر قليل فلقاه، و تم الصلح بينهما و سارا جميعا إلى ريدة، ثم افترقا، فرجع الزّيدى إلى اليمن ، و توجه الإمام إلى وادعة و عمر فيها دارا، و أسكنها إبن عمّه القاسم بن عبد الله، ثم سار إلى عيان فاستقر فيها و ترك الأمر و النهى لعدم وجود الأنصار الأخيار، و لم يزل كذلك إلى ان مات فى التاريخ الآتى. انتهى ما اورده الخزرجى و صاحب انباء الزمن بلفظه تقريبا و فيها من الإضطراب ما لا يخفى و سيمرّ بك التفصيل لبقية الحوادث و منها تعلم انهما أرادا أن يختصرا فخلط عليهما.

و فى سيرة الإمام القاسم ما خلاصته

و فى سنة ۳۹۱ وصلت كتب من عائلة الامام بترج من بلد خثعم يشكون إليه اختلال الأحوال بهم، و شدّة الزّمان عليهم و معصية اهل الطاعة لديهم، فعزم الإمام على النهوض إليهم، و كتب لأهل مخاليفه يستنهضهم، لمرافقته، فاجتمع إليه منهم قليل، و كان يؤمّل أن يجتمع أكثر، و صادف ذلك الوقت و النّاس فى شدّة و قحط، فاحتار فيما يصنع، و بينما هو كذلك،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۰۴

إذ ورد عليه رسول ولده على بن القاسم من ترج، و أخبره بتفاقم الحالة و خطورتها، و انتقاض القبائل عليهم، فبادر بالعزم لنقل اولاده، و رجع بهم إلى عيان و قطع صلته بتلك القبائل.

أحداث الزيدى و اضطراب الأحوال

قبل عزم الإمام الى بلد خثعم، وافته الأنباء باختلال أحوال الزيدى و مخالفته لما قرّره الإمام و جوره على الرعية و نحو ذلك، فجمع الامام مشيخة همدان و فيهم أميرهم ابو جعفر احمد بن قيس بن الضحاك، و ولى عليهم ابنه جعفرا و ذلك فى جمادى الآخرة من السنة و ولى على صعدة ابنه سليمان، و سار لطيته و لما رجع من بلد خثعم، و استقر بعيان وصلته كتب الأمير أسعد عبد الله بن قحطان، يذكر فيها: ما أجحف بأهل اليمن و جميع من أتّصل به من مخاليفه من الفتن بينه و بينهم، فكتب الإمام لقبيلة حمير المنتقضة على أميرها يأمرهم بالسمع و الطاعة و الإخلاد إلى السكون.

و وصل إليه أهل وادعة يشكون ضلع الولاة عليهم، و كان عمال وادعة من بنى المختار، و سألوا الإمام أن يولّى عليهم ابنه عليّا فولاه عليهم، و رفع إليه ابن أبى الفتوح أيضا شكواه من الزّيدى فأمر الإمام الحسن بن طاهر الحسنى ان يعزم للصّلح بينهما، فسار الحسنى الى الزيدى و عرض عليه أمر الإمام، فلم يمتثل الزّيدى و لا بالى بالإمام، و كان قد ارتفع شأنه، و غلظ أمره، و اتّسعت رقعة نفوذه، فعادت حالة الخلاف سيرتها الأولى، و هبّ روّاد الفتن لبذر بذورهم، و طال الترويد و الترجيع، ممن يحب توسيع الخرق بان الإمام يريد الإنتقام من الزيدى بتقوية السلاطين الذين قضى على نفوذهم، فخاف الزّيدى مغبّة هذه الفكرة، و أظهر للناس ان الإمام مال إلى سلاطين

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۰۵

الجور و ولّاهم، و انه يريد الانتقام منه لقيامه على الظلمة، و كثر الأخذ و الرد بهذا، و اضطرب حبل الأمن فخاف الإمام على ولده جعفر عامله على صنعاء و مخلافها، و سارع إلى صنعاء لتهدية الحال و تسكين الأمور، فأقام بها قراب شهر، و كتبه إلى الزيدى غير منقطعة، و لكنها لم تزد الطين إلّا بلة، و الزّيدى جفاء و غلظة، و جاء الى الإمام أسعد بن ابى الفتوح مسلما و شاكيا من الزّيدى؛ فقابله الإمام بالاكرام، و وعده مخاطبة الزيدى فيما شكاه، و أراد الصلح بينهما، و كتب بذلك الى الزيدى، فكان حظّ الوساطة و الكتاب من الزيدى الإهمال و عدم الإحتفال.

الدسائس و المؤامرات

فى أثناء إقامة الإمام بصنعاء جاء اليه محمد بن سلمة الشهابى صاحب قلعة بيت بوس مبايعا، و طلب منه أن يرسل إبنه الأمير جعفر لإحتلال القلعة خوفا من الزيدى، فسار إليها جعفر بن الإمام و اسعد بن أبى الفتوح، و مكث بها أيّاما، ثم صح لهما ميل الشهابى إلى الغدر بهما، فسارعا بمبارحة القلعة ليلا- إلى صنعاء لإطلاع الامام على ما لاح لهما من غدر الشهابى و موالاته للزّيدى، و تركا عسكرهما و خدمهما فى القلعة، و لما أحس الشّهابى بخروجهما أرسل جماعة من أصحابه و أمرهم أن يكمنوا فى الطريق للفتك بهما فافتضح أمر الكمين و بلغ الإمام الواقع فأمر بهدم القلعة و رجوع من بها إلى صنعاء.

انتقاض الاشراف و بقية أخبار الإمام

بينما الإمام القاسم يفكر فى مسألة الزيدى، و يعانى من جفوته و تعاليه ما يعانى إذ بأنباء صعدة توافيه بما هو أدهى و أمر، و ذلك أنه كتب إليه ابنه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۰۶

سليمان ، و كان إليه امر تلك الجهة بأن الأشراف بنى المختار و آل يحيى و بعض أهل صعدة تأمّروا على طلب المليح من نجران و ادخلوه صعدة، و كان الإمام قد توثّق من الأشراف بالعهود المغلظة و المواثيق المؤكدة، و على الخصوص الداعى يوسف، و جعل له ربع خراج صعدة كما جعل لغيره من الاشراف، و لم يبق منابذا له سوى المليح الفار من صعدة، كما تقدّم، و لذلك اشتد قلق الإمام، و آلمه نكث الأشراف و تناسيهم العهود و ميلهم إلى الشرور و تربصهم به و بدولته، رغما على ما يسديه إليهم من البر و الإحسان، و يعاملهم به من اللطف و الحنان:

و من البليّة ان تدان بما كرهت و لن تدينا

قال كاتب سيرته : اشتد إهتمام الإمام بذلك و قال ما يعذرنى الله و كافة أمّة جدّى هؤلاء القرابة الذين قطعوا رحمى، و كفروا إحسانى و كافؤونى السّيء بالإحسان، اتيت من الحجاز و أهل بيتى مطرّد أكثرهم، فرددتهم و ملّكتهم، و أمّنتهم، و وجدتهم متفرقين متباغضين، فجمعتهم و لففت شملهم، و أصلحت ذات بينهم، و وجدتهم مسفوهين، و مطرّحين عند أهل اليمن، فرفعتهم و اكرمتهم، و جبرت فقيرهم، و مكّنت غنيهم، و قويت ضعيفهم، و لا أمن ذلك عليهم لواجبة علىّ، لكن ليعلم من بلغه ذلك، انه لا حجّة لهم علىّ، و أكثر عجبى من شيخهم الشريف يوسف بن يحيى بعد أن عاهدنى و خلف، و كذلك عاهدته و أبلغته مراده الخ و كتب بهذا إلى جميع العشائر ليطلعهم على أعمال الأشراف.

ثم أنه كتب إلى اهل طاعته من اليمنيّين كتابا ذمّ فيه سلوكهم، و تخاذلهم عنه، و ميلهم الى عدائه و تساهلهم فيما عاهدوه عليه إلى آخر ما فيه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۰۷

من التقريع و التنديد، و طلب من همدان الجوار و الحمايد من غوائل الأعداء، و الحفظ و المتعة إلى أن يتسنّى له الخروج من بينهم، و التحول عن أرضهم، و لم يهمل الدّاعى يوسف بل كتب اليه و عاتبه و لاطفه و لقبه بالإمام، و ذكره بسالف العهد، فأجاب عليه الدّاعى يوسف بكتاب جارح اطال فيه العتب و الملام

(و رب ملوم لا ذنب له: و مظلوم خيّب الدهر أمله)

خروج الامام القاسم من صنعاء و انتشار دعاية الزيدى

لما تحقق الإمام اضطراب أمر الجهة الشّمالية بادر بالخروج من صنعاء، و أقام بريدة، لتدبير أمر بقيّة البلاد، فوصل اليه رجل من بكيل بكتاب من الزّيدى أرسله إلى البكيلى، و إلى أصحابه و فيه شكوى حارّة من الإمام، و انه غدر به، و رجع عن امر الله و والى أعداء الله، و اختار ابن أبى الفتوح عليه و ركن إلى الظلمة و سألهم النصرة على الإمام و المعذرة له فى المخالفة عليه، و وعدهم و منّاهم، و لم يقتصر على بكيل وحدها، بل أذاع هذه الرسائل بين كافة القبائل و نشر دعايته فى عرض البلاد و طولها، فاضطر الامام الى الرد على دعاية الزيدى، و الإشتغال بالمعارك القلمية، و سرد الأدلّة و البراهين على خطأ الزيدى و غيره من المشاغبين، و لكن الزّيدى لم يقف عند تلك الغاية، و انما جنح إليها لتخدير العقول شأن الصائد الماهر (لا يحكم اشباكه الا اذا عكّر صفو الغدير).

و ذلك لئلّا تثور عليه رجالات اليمن لمجاذبته الإمام، فقد هجم على صنعاء، و أسر الأمير جعفر بن الامام و حبسه فى قلعة بنى شهاب و حبس معه عامل القلعة من قبل الإمام.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۰۸

و لما علم الإمام بما فعله الزّيدى استصرخ القبائل و استثار همهم و الهب حماستهم، فلم يجبه إلّا القليل الشاذ الذى لا غنى فيه و لا منعة، فمال إلى السّكون و انتظار العواقب، و كتب إلى وادعة و بكيل يسألهم الإستقامة و كرم الجوار له و لذويه، حتى يحكم الله بينه و بين خصومه و هو خير الحاكمين.

من كان ذا عضد يدرك ظلامتهان الذليل الذى ليست له عضد

تنبو يداه إذا ما قلّ ناصرهو تأنف الضيم ان اثرى له عضد

فأسعفته بكيل و وادعة بما رام، و كان قد اقترح عليهم عدة منازل فى بطون متفرقة، منها منزل فى آل الدّعام، و منزل فى بنى سلمان و منزل فى بلاد سفيان، و منزل فى بنى معمر، و منزل فى بنى عبد بن الهرا ثم من بلاد وادعة، و آخر فى بلد بنى ربيعة و بنى حريم، فبادروا بالتّلبية و اوسعوا له فى بلدانهم ما أراد.

اطلاق الزيدى جعفر بن الإمام و طلبه الصلح

و دخلت سنة ۳۹۲ فيها نهض الإمام من ريدة، فسلك طريق المشرق و نزل بمدر، ثم سار إلى ورور و اطلق الزيدى ولده و ابن عمه، و كتب إليه يسأله الصلح و تسكين الفتنة فقال الامام اما انا فقدومى انصارى و نكث أهل بيعتى، و هو يعلم ذلك منهم فليس بمحتاج إلى صلحى إلّا ليستقيم له أمر الرّعايا فى اليمن بإسمى، و لو لا الضّرورة إلى صلحه لما رأيت ذلك و لا استحللته فالله المستعان على ما تدعو إليه الضرورة و الإمتحان، ورد الجواب بالإيجاب.

من تضجر البلوى فغاية جهدهرجعى إلى الأقدار و استسلام

فطلب الزيدى لقياه و الإتّفاق به فى ريدة فكره الإمام الإتّفاق بها و رسم له موضع اللقاء بأعلا الصّيد، فكان اتفاقهما هنالك، و ذلك فى صفر من العام المذكور، و قد وصل الزّيدى فى جند عظيم، و أبهة كبيرة و على رأسه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۰۹

ظلل سود من الخزّ، و أمامه الجباجب و الصنوج و الطبول تقدمه الرايات الصفر، و كان الإمام فى قلة من الجنود فخاف الغدر، و أرسل إليه أن يقف مكانه و يلقاه منفردا إن أراد الصّلاح و السّلامة فامتثل الزّيدى إشارته و جاءه على فرس ليس معه إلا خادم و رجل من همدان، و اعتذر للإمام و أظهر النّدم على ما فرط منه، و عرض على الإمام الدخول معه فاحترز منه و قال له لا أفعل معك فى هذه اللقيا غير الصّلح حتى ننظر فى الأمور بعد، و تمّ الإتفاق على عدم الشقاق و سارا معا إلى ريدة و افترقا منها، فسار الزيدى إلى اليمن و رجع الإمام إلى ورور، ثم سار منها الى وادعة فأقام فى بلد بنى ربيعة، و عمر بها دارا لبعض أهله و ترك الزّعامة، و تخلّى عن متاعبها و تربّص بالظالمين، و جعل الخيار فى الطّاعة إلى الرعايا، فمن أراد منهم برضا و طواعية والاه و دفع إليه زكاته و سلم ذلك لسعاته، و

من كره ذلك لم يسأله شيئا، و ما برح يرجو و يأمل مواتات الأيام و مساعدة الأقدار و إبتسام الحظّ بالإنتصار على الشرفاء بنى المختار، لبغيهم عليه، و إقدامهم على نهب حصنه و هدمه، و كفراتهم إحسانه:

و ظلم ذوى القربا أشد مضاضةعلى المرء من وقع الحسام المهنّد

و كانت بعض قبائل خولان تعده المأزرة فتحرّك من همدان و نزل على بطون بكيل و وادعة فالتف حوله منهم عسكر لا يصل بهم وحدهم شيئا من بنى المختار، و اعوانهم أهل صعدة، فجعل طريقه ناحية بنى شاكر شرقى صعدة، حتى وصل بمن اجتمع معه بلد بنى مالك بالحقل و نزل على المدلهم بن الفحيش رئيس بنى سعد، و كان قد خالف عليه و انضم إلى بنى المختار، فلم يحصل له ما أمّل لا من المدلّهم و لا من خولان:

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۱۰ من خانه الدّهر خانته صنائعهو عاوذ نباله ما كان إحسانا

رجوع الإمام القاسم إلى عيان و وفاته عليه السلام

و لما أيس من القبائل و وعودها الخلّابة، رجع الى عيان و قد تفهت نفسه من ممارسة الخطوب و ملابسة الحروب، و لسان حاله تنشد:

فررت من العداة الى العداةو كنت عددتهم رمز الثقات

لقد خابت ظنونى عند قومير وى محاسنى من سيآتى

يهيجون الغواة علىّ هيجاو هم شرّ لدىّ من الغواة

و عكف على تأليف الردّ على روافضته الذين طعنوا فى سيرته من الشيعة و أسماء مؤلفه هذا (كتاب الرد على الرافضة) و هو آخر كتاب وضعه من كتب العلوم.

و بعد ان اصطدم بمصائب جسيمة محطّمة، و امور نكراء جبارة و ساءه الدّهر بصنيعه، و تنكرت له الأيّام، و خذله الأقارب، و خانته الأنصار، و أحاطت المشكلات و حوالك الخطوب بسماواته و جهاته، بحيث يحار القدمة الشجاع فى الخروج منها، نزل على حكم القضاء و انكمش فى دار عزلته يتردّد ما بين مذاب و عيان، إلى ان وافته المنية بعيان لتسع خلون من رمضان سنة ۳۹۳، و لم يخلف درهما، و لا دينارا سوى سلاحه و دوابه و ثيابه:

فعفت منابره و حط سروجهعن كل طامحة و طرف طامح

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۱۱

قال الزحيف: مات الإمام القاسم و خطب له فى نواحى مخلاف جعفر و كحلان و ما يليه، و لم يزل دأبه إقامة قناة الدين، و إخماد نار الملحدين، و كان إذا حضر معركة نازل الأقران، و كان راعيا لأرباب العلم، وازعا لأرباب الظلم كثير اللطف و اللين، دمث الشمائل جزل النائل، و من رسائله عليه السلام قوله: الامر بالمعروف و النهى عن المنكر، لا يرتبطان بغير زمام، و لا يؤدى فرضهما بغير امام، الاقرار بالنبوءة لا يصح إلّا مع الاقرار بالذريّة، و الإقرار بالكتاب، لا يصح بغير نصاب، طالب العلم من غير أهله كمشترى الدرّ بغير خبره، و المؤتم بغير العترة كأعمى يتبع الأعمى:

و مشهده بعيان مشهور مزور و أولاده عليه السلام ستة و هم: يحيى و جعفر، و على و سليمان، و عبد الله و الحسين، و سيأتى طرف من تفصيل اخبارهم ان شاء الله

بقية أخبار الداعى يوسف

بعد موت الإمام القاسم بن على العيانى انتعش أمر الإمام الداعى، و بادر إلى صنعاء خامس شوال من السنة، و أمر البوسى فخطب له، و أقام بصنعاء خمسة عشر يوما.

ثم تنكرت له همدان فخرج من صنعاء إلى حاز ، ثم صار إلى مدر من شرق همدان و أمر عمّاله ان يرفعوا أيديهم و صار إلى ريدة و منها إلى صعدة و استقر أمره فيها حتى توفى فى التاريخ الآتى .

و دخلت سنة ۳۹۴ فيها مات القاسم الزيدى فى مدينة ذمار، و دفن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۱۲

عدنى الجامع، و قام بالأمر بعده ولده محمد بن القاسم و سيأتى ذكر أخباره فى موضعها، و من آثار الشريف القاسم الزيدى غيل آلاف جنوبى صنعاء.

تهافت المتغلّبين على صنعاء و اضطراب أحوالها

فيها وصل ابن أبى حاشد إلى صنعاء و خطب للشريف الزيدى، ثم تغيّرت عليه الأحوال، فخرج منها و تركها بغير سلطان، و لم تزل كذلك حتى اصطلح ابن ابى حاشد و ابن عمه أبو جعفر، فسارت إليه همدان و دخل صنعاء سنة ۳۹۵ و صالح ابن أبى الفتوح.

و دخلت سنة ۳۹۷ فيها تجهز ابن ابى الفتوح فى جيش عظيم يريد الهان، و لما صار فى بعض الطريق، و ثب عليه غلمانه فقتلوه، فأعيد إلى نعظ، و دفن بها، و تولّى بعده، ابنه منصور بن أبى الفتوح، و حلفت له خولان و استقامت أموره، و خلت صنعاء من السلطان إلى سنة ۳۹۷ فدخلها احمد بن سعيد بن الضّحاك واليا عليها من قبل ابن عمه أبى جعفر، ثم غلبه عليها ابن أبى حاشد، ثم دخلها محمد الزيدى، و معه الإمام يوسف الداعى فأقاما بها نصف شهر، و لم يتم لهما أمر، فخرج الإمام نحو مدر، و رجع الزّيدى إلى ذمار، و أقامت الفتنة على صنعاء من همدان و خولان و حمير و الأنباء و بنى شهاب، فى كل شهر لها أمير و عليهم رئيس و فى اكثر أوقاتها تخلو من الأمراء و الغالب عليها آل الضّحاك إلى سنة اربعمائة، ثم سار جماعة من همدان و بنى شهاب إلى الشريف الزّيدى الى ذمار يستدعونه فسار معهم إليها و دخلها فى ذى القعدة من السنة المذكورة.

دعوة الإمام المهدى الحسن بن العلم العيانى

و دخلت سنة ۴۰۱ فيها وصل الإمام المهدى الحسين بن القاسم بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۱۳

على العيانى إلى جهة البون فأجابته حمير و همدان و المغارب، و مالوا عن الزيدى، و كان الزّيدى قد دعا إلى نفسه، و أرسل بكتاب دعوته إلى الحسين بن القاسم فى رجب سنة ۴۰۰، فأمر الحسين أهل بلاده بالوصول إلى الزيدى و مبايعته، بعد اختياره و مساءلته، و كتب مع الوافدين عدّة مسائل فى التوحيد لامتحانه بها و قبل مسير الوفد المزوّد بمسائل الامتحان المحرّرة من الحسين، وافته الأنباء الصحيحة بأن كتاب الدّعوة الذى انفذه الزيدى إليه مصنوع على لسانه صنعة ابراهيم الطبرى و كوبل بن أبى بحر، و انهما عملا باسم محمد بن القاسم الزيدى و هما اذ ذاك بحضرة والده و ان الغلام ليس منه وضع كتاب، و لا خطاب، و كان ابوه هو الذى أمره بالدعوة

فخرج الحسين بن القاسم لمحاربته، و خرج الزّيدى من صنعاء و أقام ببيت بوس، و أقام ابنه زيد بن محمد بصنعاء فحصن دربها، ثم بدا للزّيدى فأخرج المسجونين من سجن صنعاء و أنهب أهراء الطعام، و عاد إلى ذمار فتعطّلت صنعاء من السّلطنة إلى سنة ۴۰۲ و وصل الضّحاك بن جعفر فأقام بها مدّة، و وصل رجل يقال له ابن أبى النجم من طرف الإمام المهدى فى جماعة يطالب الناس بزكاة أموالهم فلم ينكر عليه الضّحاك.

و فيها مات الحسين بن سلامة صاحب زبيد و قد تقدم.

دخول الإمام المهدى صنعاء و قتل الشريف الزيدى

فى آخر سنة ۴۰۲ دخل الإمام صنعاء و طلب من أهلها خمس العبيد و الخيل و جعل أخاه جعفرا على صنعاء فضرب السّكة باسمه، فثار عليه أهل صنعاء و حاربوه وسط المدينة، فتحرك الإمام لنصرة أخيه، و دخل صنعاء

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۱۴

فهدم دورا لبعض أهلها، و أخذ أموالهم فاستجدوا بالزيدى بعد أن غادرها الامام و ترك أخاه، فاغار الزّيدى على صنعاء سنة ۳۰۳ و فر منها جعفر بن الإمام.

و لما دخلها الزّيدى أمر بهدم دور جماعة من شيعة الإمام الحسين، و اجتمع معه بها عسكر عظيم و لما علم الإمام بما كان جمع جنوده، و قصد صنعاء فالتقوا عند الجبوب و اقتتلوا قتالا شديدا ساعة من النهار، ثم انهزم الزيدى، طريق الفج و دخل الإمام بعسكره صنعاء و خرج فى أفراس يتطلب الزّيدى، فأدركه بحقل صنعاء فقتله هنالك، و إلى ذلك أشار صاحب البسامة بقوله:

و كان منها على الزيدى ملحمةبحقل صنعاء تجرى مدمع النظر

و كان مقتله يوم الخميس لسبع بقين من صفر سنة ۴۰۳ و دفن بنجد عصر، و فى صفر هذا العام مات الإمام الدّاعى يوسف بن يحيى و دفن بصعدة.

احداث زيد بن محمد الزيدى

فيها نهض الشّريف الزيدى بجمع عظيم من مذحج للأخذ بثأر والده، فوصل الهان و به ابن أبى الفتوح، فكانت بينهما حرب انهزم فيها ابن الزّيدى، و قتل جماعة من أصحابه، و نهب منصور بن أبى الفتوح أعلامه و ارسلها إلى الإمام المهدى، فاستنجد الزّيدى بصاحب زبيد، و كان الذى عزم إلى زبيد لطلب النجدة رجل من أصحابه يقال له ابن مروان، فلما وصل إلى زبيد أنجده صاحبها بمال عظيم، فعاد ابن مروان و اتفق بالشّريف الزيدى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۱۵

ببلد عنس، ثم سارا لحرب منصور بن أبى الفتوح، و كادا يقضيان عليه، فاستنجد بالإمام، فبادر إليه فى جيوش عظيمة، و لما قرب من الهان انفضّ عن الزيدى انصاره من عنس و غيرهم، و لم يبق معه غير رفيقه ابن مروان، ففرّا معا و تركا خيلهما و أثقالهما فاستولى عليها الإمام و على مائتى فرس لعنس، و رجع الإمام إلى ريدة، و أدّب أهل البون بسبب انتقاضهم عليه عند مسيرة لانجاد منصور بن أبى الفتوح.

إعتزام الإمام الرجوع إلى صنعاء و قتله

لما أكمل الإمام مهمّة فى تأديب الثائرين نهض يريد صنعاء، و قد خالف عليه منصور بن أبى الفتوح، و تابعته بنو شهاب، و بنو حريم، و وادعة، و نزل بنو حريم حمدة فنهبوا دار الإمارة، و أخرجوا المحبوسين أهل من البون، فجمع الإمام عسكره لحربهم فقاتلوه عند ريدة و هزموه إلى حمدة و قتلوا جماعة من عسكره و حطوا عليه بحمده . خرج نحو بلد الصّيد فنهبوا حمدة و أعاد الناس أبا جعفر أحمد بن قيس بن الضّحاك على إمارة صنعاء فأقام بها إلى سنة ۴۰۴.

ثم ان الإمام جمع جمعا عظيما، و جمع ابن الضّحاك سائر القبائل المخالفة على الإمام، و سار بهم إلى ذيبين فانهزم الإمام إلى الجوف، ثم عاد إلى بلد الصّيد فى مائة فارس، فعلمت به همدان و لقوه إلى قرب ريدة و أحاطوا به، فدافع عن نفسه دفاع الأبطال، و غشيهم بنفسه مرارا، و خرق

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۱۶

صفوفهم فتظافروا عليه و قتلوه فى صفر من السنة المذكورة بذى عرار بين ريدة و البون و عمره نيف و عشرون سنة.

و كان من عيون الأئمة الكبار المبرزين فى كل فنّ له المصنّفات المفيدة فى علم الكلام و غيره، قيل ان مصنفاته بلغت ثلاثة و سبعين مصنّفا منها كتاب المعجز فى علم الكلام ، و تفسير القرآن كاملا و غير ذلك من المصنفات العالية، الدالة على ملكته فى العلوم، و رسوخ قدمه فى سائر الفنون و ملك من الهان إلى صعدة، و لم يزل داعيا إلى الحق إلى أن قتلته بنو حماد، قال فى الحدائق الوردية : و بقى جماعة من شيعته يعتقدون أنه حى و انه المنتظر الذى بشّر به النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال و قد كتبنا رسالة فى هذا المعنى سميناها بالرسالة الزّاجرة لذوى النهى عن الغلو فى أئمة الهدى انتهى.

و الى معتقد شيعته اشار صاحب البسامة بقوله:

و انزلت ساحة المهدى قارعةبذى عرار و نقع الخيل لم يثر

و قال قوم هو المهدى منتظرقلنا كذبتم حسين غير منتظر

كيف انتظاركم نفسا مطهرةسالت على البيض و الصمصامة الذكر

و للخيالات أوهام مسلّطةعلى العقول التى ظلت عن الفكر

و لم تزل فكرة الاعتقاد فى المهدى الحسين بن القاسم سائدة عند جماعة من الشرفاء إلى القاسم العيانى و شيعتهم برهة غير قصيرة كما نراه فى سيرة ذى الشرفين ان شاء الله (قال الخزرجى) . و فى جهلة الشيعة، من

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۱۷

يزعم أنه حىّ لم يقتل، و أنه المهدى الذى بشّر به النّبى صلى الله عليه و آله و سلم، و كان على هذا الإعتقاد كثيرا من الأشراف، ثم انقرض أهل هذا الاعتقاد، و كانوا خلقا كثيرا فى مغارب صنعاء قال و كان الحسين بن القاسم من أعلم خلق الله و أفصحهم، و لم يبلغ عمره ثلاثين سنة، و قال (الزحيف) ان اناسا من شيعته ضلّوا فيه و ذهبوا إلى أن كلامه أفصح من القرآن بل قد رأيت من المصنفات ما نسب إليه و فيه ما يقتضى هذا المعنى و تأوّله بعضهم بأنّه قاله و هو ذاهب العقل، و قال أصحابه فيه أقاويل هائلة، و لما ظهرت منهم هذه المقالات و نحوها، قال الفقيه جيعد بن الحجّاج الوادعى صهر نشوان بن سعيد الحميرى :

أما الحسين فقد حواه الملحدو اغتاله الزّمن الخؤون الأنكد

فتصبّروا يا غافلين فإنّهفى ذى عرار و يحكم مستشهد

فغضب الشرفاء القاسميون و أحنقهم هذا المقال و توهّموا أن القائل نشوان بن سعيد فقال فيه عبد الله بن القاسم بن جعفر:

أما الصحيح فإن اصلك فاسدو جزاك منّا ذابل و مهنّد

فأجاب نشوان مدافعا عن نفسه بقصيدة طويلة منها :

من اين يأتينى الفساد و ليس لىنسب خبيث فى الأعاجم يوجد

لا فى علوج الرّوم جد أرزقأبدا و لا فى السود خال أسود

إنى من العرب الصّميم إذا امرءغلبت عليه العجم فهو مولد

فدع السفاهة انها مذمومةو الكف عنها فى الواقب احمد

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۱۸ و اللّه ما منى نظام جاءكمفيه أقول حوى الحسين الملحد

و لقد أتيت به فقمت مبادراعجلا امزق طرسه و اقدد

فأشاعه من ظنّ ان ظهورهفى النّاس مكرمة عليها يحسد

اغضبتم إن قيل مات إمامكملىس الإمام و لا سواه يخلد

لا عار فى قتل الإمام عليكم‌القتل للكرماء حوض يورد

ان النبوة بالنّبى محمدختمت و قد مات النّبى محمد

و منها:

فدع التهدّد و بالحسام جهالةفحسامك القطاع ليس له يد

من قد تركت به قتيلا إننى‌ممن توعده و من تتهدد

ان لم أمت إلّا بسيفك اننى‌لقرير عين بالبقاء مخلد

بقية أخبار المتغلبين على صنعاء

لما قتل الإمام الحسين بن القاسم سار ابن أبى حاشد إلى صنعاء و أقام بها إلى ذى الحجة من السّنة و لم يتم له أمر مع همدان فخرج من صنعاء و تعطّلت من السّلطة إلى نصف شوال سنة ۴۰۵، و دخلها أبو جعفر احمد بن قيس بن الضّحاك إلى شهر ربيع من سنة ۴۰۶، ثم خرج منها و ارتفعت أيدى عمّاله، و خلت من الإمارة إلى سنة ۴۰۸، لكثرة الإختلاف، و اضطراب الأمور، و تعدّد الطامعين و الثائرين، و لقد أثرّت هذه الحالة السّيئة فى عمران البلاد أثرا عظيما حتى قيل انه لم يبق من دور صنعاء سوى ألف و أربعين دارا، و من مساجدها مائة و ستة، و من الحمّامات إثنا عشر حماما، بعد أن كانت عدد الدّور بها أيام الرّشيد مائة ألف دار و أربعين الف دار، و مساجدها ثلاثة عشر الف مسجد و حماماتها كذلك، ثم ان همدان راجعت أبا جعفر احمد بن قيس فى الرّجوع إلى الإمارة فأجابهم.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۱۹

نفوذ الأحباش أمراء زبيد فى بلاد الجبال

و دخلت سنة ۴۱۰ فيها ثار الشّريف زيد بن محمد الزّيدى بقوم من بنى شهاب فسجنوه بأشيح فسار إليهم ابن ابى الفتوح و أمدّه القائد مرجان صاحب الكدرا، و عاضدهم ابن أبى حاشد ثم ان ابن ابى الفتوح نزل إلى تهامة فتلقّاه القائد بالكدرا و احسن تلقيه ثم عاد إلى الهان حتى أخرج الشّريف زيد بن القاسم الزيدى من أشيح و سلمه إلى مولاه القائد، و تحالفت همدان و الأبناء على بنى شهاب أمرهم بذلك القائد فحاربوهم مرارا فى بيت بوس ثم اصطلحوا، و فيها نزل باليمن ثلج عظيم و كان ذلك فى شهر شباط بعد أن اصاب الناس فى الشتاء برد عظيم جمد فيه الماء.

قال فى انباء الزمن و دخلت سنة ۴۱۱ و سنة ۴۱۲ و فيها كانت اليمن موزعة بين أمراء و متغلبين كثيرين فزبيد و التهائم إلى بنى زياد، و لحج و أبين و حضرموت و الشوالى إلى بنى معن، و السمدان و ذخر و التّعكر إلى بنى الكرندى، و حبّ و عزّان و خدد و بيت عز و الشعر و النّقيل و الشوافى و السحول، بيد حسين التبعى، و اليمن الأعلى أوزاعا بين آل يعفر، و آل الضحاك، و آل ابى الفتوح، و أولاد الإمام الداعى يوسف بن يحيى، و أولاد الإمام القاسم العيانى.

و دخلت سنة ۴۱۴ فيها نهض الأمير جعفر بن الإمام القاسم العيانى من صعدة فاستدعته حمير و همدان إلى صنعاء فسار إليها و أقام بها شهرا، ثم طلب من الناس النّهوض معه إلى صعدة فسارت معه، فلما وصل صعدة نهبها

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۲۰

و احرق بعض دورها و قتل جماعة من أهلها و رجع الى عيان .

و كان قد وثب على صنعاء ذعفان و ابن أبى حاشد، ثم وقع خلاف بين همدان و ذعفان و ابن أبى حاشد فاستدعوا جعفر بن الإمام، و أدخلوه صنعاء و ذلك سنة ۴۱۵، فطالب النّاس مطالبة شديدة و أقام بها مدة يحارب ذعفان و ابن أبى حاشد، ثم اصطلحوا لمدة شهرين، و نزل ذعفان إلى القائد بالكدرا يستمده فأمده بأموال جليلة، و كتب معه إلى المنتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد صاحب

مسور، و أمرهم بحرب جعفر بن الإمام، فاجتمعت عليه همدان و حمير و صاحب مسور فخرج إلى بيت شعب فحصرته همدان و حمير، و أعادوا ابن أبى حاشد على إمارة صنعاء فهجم أهل بيت خولان على محطة حمير و قتلوا منهم مائة رجل و انهزم عسكر المنتاب و ذلك فى المحرم سنة ۴۱۶ ثم تهادنوا إلى آخر السنة.

ظهور المعيد الناعطى

و دخلت سنة ۴۱۸ فيها ظهر شخص مجهول الاسم بناعط و تلقب بالإمام المعيد لدين الله و سار إلى مأرب و بها عبد المؤمن بن أسعد بن ابى الفتوح الخولانى فأكرم الخولانى نزله و أقام النّاعطى عنده و كتب إلى النواحى بدعوته، و كان يسطّر كتبه من عبد الله الإمام المعيد لدين الله الداعى إلى طاعة الله الدّامغ لأعداء الله: بهذه الفخفخة تسلّط على عقول السذج البسطاء و تابعه منصور ابن أبى الفتوح، و لما وصل كتابه إلى صاحب الكدرا أعاده مختوما فغضب منصور بن أبى الفتوح و كتب إلى سبأ بن عبد الحميد و أخيه عبد المؤمن يحثهما على النهوض مع الإمام، و ساروا إلى مسور، فلقيهم منصور فى جيوش عظيمة ثم قصد الإمام صنعاء و معه منصور فدخلها فى جند كبير، و خطب له قاضى صنعاء ابن النقوى بالإمامة فعظم شأن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۲۱

المعيد، و غلظ أمره و ارتفع دخانه، و انفذ ولاته إلى جميع المخاليف، و يرحم الله القائل:

و كل قرن ناجم فى زمنفهو شبيه زمن فيه بدا

و أقام بصنعاء أياما ثم سار إلى حراز، فلقيته عنس و بكيل على بركة ضاف ، فسار الى الهان و أقام بها سبعة أيام ثم انتقل الى ذمار، و أمر بعمارة حصن هران .

و دخلت سنة ۴۱۹ فيها هرع المعيد إلى مخلاف جعفر، و معه صاحب حصن كحلان و المنصور بن ابى الفتوح، فأقام بإب و انقاد له أهل المخلاف إلّا ابن مكرمان فإنه استدعى عسكر القائد مرجان الحبشى فأقاموا إلى سنة ۴۲، و فسد ما بين النّاعطى و منصور و ابن أبى حاشد، فتفرقوا و رجع ابن أبى حاشد، و ابن أبى الفتوح الى طاعة القائد مرجان، و كان سلطان الحبشة أمير زبيد قد امتد إلى بلاد الزيدية فى ذلك التاريخ، كما سبقت الإشارة إليه، و لم تبق غير الجهة الشّمالية فإنها كانت بيد الأشراف، و أما المعيد فإنه رجع إلى هران بمراسلة من عنس، و ما عتمت ان تآمرت عليه بعض قبائل عنس و قتلته فى ذى الحجة سنة ۴۲۱.

و فى تاريخ مسلم اللحجى ان المعيد دخل صنعاء فى عشرة آلاف من همدان، و أهل اليمن فيهم السلطان يحيى بن أبى حاشد بن الضّحاك

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۲۲

الهمدانى، و هو يومئذ زعيم همدان قال: و لما أقبل المعيد يريد صنعاء تلقّته همدان إلى بعض الطّريق، ثم أتوا القاضى تبع بن المسّلم القاضى بجوب ، قال: و هو علّامة همدان و أحد شيوخ الزّيديّة، فقالوا له: اخرج معنا إلى هذا الرّجل فانظر لنا ما عنده، فإن كان إماما طاعنّا بين يديه بالرماح، فقال: لست آتيه و لكنى أكتب لكم مسائل فإن أجاب عنها فهو عالم، و ان عجز عن جوابها فليس كذلك، ففعل و دفع إليهم دواة و اوراقا، فلما أتوا إلى المعيد و وقف على المسائل اعتذر بعدم وجود الورق، فقالوا:

معنا الورق، قال لا بد من دواة، فقالوا: و هذه الدّواة، و دفعوها إليه، فقال: هذه سمّاقيات تبع ، و الله لئن ظفرت به لأخرجن لسانه من قفاه، قال فكان تبّع منه خائفا

و فى هذه السّنة اشتد القحط باليمن و مات كثير من النّاس و خلت بلاد كثيرة من أهلها و استمر القحط الى سنة ۴۲۲.

و فيها كانت الفتنة بين الشيعة و السنّية، و صنعاء خالية عن السلطان إلا لبنى مروان بعض الأمر، و ولاية الهان و مقرا إليهم من تحت يد القائد (مرجان) و لصاحب مسور حسين بن المنتاب بعض منازعة و دام الحال كذلك إلى سنة ۴۲۶، و فيها ظهر الإمام ابو هاشم

النفس الزكية.

الإمام ابو هاشم النفس الزكية

الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۲۳

ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام، قدم من الشّام و معه حمزة و محمد فقصد صنعاء و وصله المنصور ابن أبى الفتوح فبايعه، و رجع إلى بلدته قال الخزرجى و استقوت الشيعة على السنية و عزل القاضى النقوى و كان ستيّا و أقام الإمام الى سنة ۴۲۹، ثم خالفت عليه حمدان و دخل ابن أبى حاشد صنعاء ثم خرج و تعطلت عن الإمارة الى سنة ۴۳۱، و قال فى انباء الزمن : و لبث الإمام مدة يسيرة ثم عارضه حسين بن مروان و ما برح الاختلاف إلى سنة ۴۲۹، و دخلت سنة ۴۳۰ فيها تعطلت صنعاء من الإمارة الى سنة ۴۳۱ و استدعت همدان جعفر بن الإمام فدخل صنعاء فى شهر ربيع من السنة فافترقت عليه همدان و على ابن أبى حاشد، و كان الاكثر مع ابن أبى حاشد فخرج جعفر من صنعاء منهزما و سار ابن أبى الفتوح إلى مخلاف جعفر للقاء ابن الكرندى، و عبد الله بن يعفر فأقام معهما إلى شهر ربيع الآخر، ثم عاد فقوى به أمر ابن أبى حاشد ثم فسد الحال بينهما ، و هرب ابن أبى حاشد من صنعاء و جمع جموعا و جاءه ابن سلمة الشّهابى، فقصد ابن أبى الفتوح الى السر (فتراكزوا) فيها و قتل ابن عم لابن أبى الفتوح، و استدعت همدان جعفر بن الإمام إلى صنعاء بأمر ابن أبى حاشد، و كان ابن أبى الفتوح بعلب و ابن أبى حاشد ببيت بوس فأقاموا كذلك مدة و جعفر ابن الإمام بصنعاء تارة يجبى الأموال، و تارة يضعف عن ذلك ثم ان ابن أبى حاشد كره مقام جعفر بصنعاء فعامل عليه من أخرجه منها، فسار الى ابن ابى الفتوح، و استدعى ابن أبى حاشد الإمام أبا هاشم النفس الزكية، فدخل صنعاء ثانى خروج جعفر عنها، فأقام الإمام بها ثمانية أيام، و ولّى على البلاد واليا،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۲۴

و خرج إلى ريدة و سار منها إلى ناعط، و مات فيه، و قبره هنالك مشهور مزور، و كانت وفاته سنة ۴۳۳.

و ذكر صاحب الحدائق الوردية أنه أقام بصنعاء من ثالث شعبان إلى نصف شهر رمضان ثم خرج لفساد من عارضه و هو الحسين بن مروان، و أقام عنها مدة، ثم حلفت له همدان سوى بنى حماد فى المحرم سنة ۴۳۳، فدخل صنعاء يوم الأربعاء لثمان عشرة من الشّهر المذكور، فأقام بها ثمانية ايام، و ولّى فيها واليا، و خرج إلى ريدة و أقام أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حتى توفاه الله حميدا و قبضه إليه سعيدا.

و قد أورد (صاحب الحدائق) كتابا للإمام ابى هاشم أرسله من ناعط الى صعده سنة ۴۱۸، و هو كتاب دعوته ضمنه كثيرا من المسائل الدينية و السياسية و الادارية، تناول فيه واجبات الخليفة، ثم القضاة، و كيف يجب ان يكون سلوكهم، و على أى اسلوب يقضون فيما اشتبه عليهم من الحوادث الاجتماعية التى لا دليل عليها، ثم بين واجبات القوّاد و أمراء الجيوش، و آدابهم الدينية و السياسية، و كيف يلزم ان يعوّد الأمراء و القائد نفسه و جيشه فى الحرب و السلم، و غير ذلك و الكتاب طويل جدا ذكر فيه جميع طبقات الأمّة، و أشار إلى سياسة كل طبقة و إداراتها، أورده بكماله الفقيه حميد الشهيد فى حدائقه الوردية فليرجع إليه من شاء.

و لم تزل الحروب و الفتن بين ابن أبى حاشد و ابن ابى الفتوح مستمرة و صنعاء خالية عن السلطة إلى سنة ۴۳۶.

الإمام أبو الفتح الديلمى

فيها وصل الإمام النّاصر لدين الله ابو الفتح الحسن بن ناصر بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۲۵

محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن على بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن ابى طالب عليه السلام، من بلاد الدّيلم إلى اليمن، فجمع العساكر، و دخل صعدة، فنهبها و أخرب دورا بها، و قتل من خولان بمجز مقتلة عظيمة و رجع فى ذى القعدة فدخل صنعاء و استعمل عليها رجل من ولد الزّيدى و كان قد دخلها قبله ابن أبى الفتوح و ابن أبى حاشد فنصرته الشيعة على السنّيّة، و انتقل الإمام إلى ذيبين فأقام فيه بقيّة هذه السنة، و هو أول من اختط ظفار.

و دخلت سنة ۴۳۸ فيها خرج الإمام من ذيبين إلى حذّان أسفل وادى السّر، ثم سار إلى علب، و استقام له الأمر، و وصل ابن أبى الفتوح، و عمر له فى علب قصرا بالجصّ و الآجر و استقر فيه، و كتب له ابن أبى الفتوح إلى عنس فأقبل من رؤوسائهم مائة فارس فدخلوا فى طاعة الإمام و بايعوه و استدعى له جعفر ابن الامام القاسم، و جعله أمير الأمراء، و صرف له ربع ما حصل للإمام، ثم فسد الأمر بينهما و لم يتم، و تمالا جعفر بن الإمام و ابن أبى حاشد على حرب الإمام أبى الفتح، و خرج من صنعاء فأمر الإمام بخراب دور بنى الحارث، و دور بنى مروان فغضب ابن أبى الفتوح و ابن أبى حاشد لذلك، و دخلا صنعاء فرفعا أيدى ولاة الإمام، و طردا الشّيعة من الجامع و مكّنا منه أهل السنة و قطعا إسم الإمام من الخطبة فخرج الإمام من علب إلى الجوف، ثم رجع إلى بلاد عنس، و وصل الأمير جعفر صنعاء، فأقاموا فيها مدة، و توفى السلطان يحيى بن أبى حاشد أول سنة ۴۴۰، و وصل المنصور بن أبى الفتوح فى مائة فارس معزّيا فيه إلى همدان، فأقام النّاس ابنه أبا حاشد، و حلفت له همدان، هكذا رواية الخزرجى و صاحب أنباء الزمن و الديبع فى قرة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۲۶

العيون و الشرقى فى لآلية لهذه سلسلة الحوادث و الله أعلم.

قيام على بن محمد الصليحى و أخباره

قال الخزرجى: أجمع علماء التاريخ و رواة الأخبار من أهل اليمن أن القاضى محمد الصليحى، والد الأمير على بن محمد الصليحى كان فقيها عالما سنى المذهب و كان قاضيا فى بلده حسن السيرة مرضى الطريقة، و كان أهله و جماعته يطيعونه و لا يخرجون عن أمره، و كان الدّاعى عامر بن عبد الله الزواحى يلوذ به، و يركن إليه كثيرا لرياسته و سؤدده، و صلاحه و علمه فرأى يوما ولده عليا فلاحت له فيه فحائل النجابة و كان يومئذ دون البلوغ، فكان الداعى عامر بن عبد الله الزّواحى كل ما وصل الى القاضى يتحدث مع ولده على المذكور، و يخلو به و يطلعه على ما عنده حتى استماله و غرس فى قلبه ما غرس من علومه و أدبه و محبّة مذهبه، و قيل بل رأى حلية الصّليحى فى كتاب الصّور و هو من الكتب القديمة فأوقفه على ما فيه سرّا، فلما حضرت الدّاعى الوفاة أوصى بجميع كتبه، و ما جمعه من أموال الدّعاية لعلى بن محمد الصليحى فعكف على دراسة تلك الكتب، و كان ذكيّا فلم يبلغ الحلم حتى تضلّع فى معارفه التى بلغ فيها، و كان فقيها فى مذهب الإمامية، ثم صار يحجّ بالناس دليلا على طريق السّراة، و لم يزل كذلك نحوا من خمس عشرة سنة، و كان النّاس يقولون له: بلغنا إنك ستملك اليمن بأسره، فينكر ذلك على من يقوله مع كونه قد اشتهر على السنة الخاصة و العامة، فلما كان فى سنة ۴۲۹ ثار الصّليحى فى رأس جبل مسار و معه ستون رجلا قد حالفهم على الموت أو الظّفر، و أخذ فى البناء فى قلته من بعد طلوع الشمس ذلك اليوم، فاجتمعت قبائل حراز و استنكروا فعله، و حاولوا منعه و الضرب على يده، فقدر بكمال دربته و حنكته على استمالتهم و صرفهم عما كانوا متجهين

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۲۷

إليه، و انصرفت تلك القبائل، و لم يمض عليه شهرا إلّا و قد بناه و حصّنه، و جعل امره يظهر شيئا فشيئا حتى استفحل امره و وصلته الشّيعة من أنحاء اليمن و جمعوا له أموالا جليلة، و أظهر الدعوة للمنتصر بالله معد بن الظاهر العبيدى، فلما ظهر بمسار، و كان معه فيه من سنحان و يام و جشم و غيرهم، نهض لحربه أحد رؤساء حراز جعفر بن العباس شافعى المذهب، و كان مجابا فى مغارب اليمن، و

جعفر بن الإمام القاسم جمعوا القبائل و قصدوه، فلم يجد الصّليحى بدّا من المقاومة و الدّفاع و أوقع جعفر بن العباس فى محطته فقتله فى شعبان من السنة، و قتل من أصحابه جمعا كثيرا، فتفرّق الناس عنه، ثم طلع جبل حضور فاستفتحه، و أخذ حصن يناع فجمع له ابن أبى حاشد جمعا فالتقوا بصوف و هى قرية من حضور بنى شهاب، فقتل ابن أبى حاشد، و قتل معه ألف رجل من أصحابه، و بهذه الوقعة يضرب المثل فى اليمن، ثم سار الصّليحى إلى صنعاء فملكها و طوى اليمن طيّا، سهله و وعره و بره و بحره، و هذا شىء لم يعهد مثله فى جاهلية و لا اسلام هذه رواية الخزرجى بالفظه تقريبا ، و قد اعتبر قيام الصّليحى سنة ۴۲۹ و هو يخالف ما فى كتابه فى غير هذا الموضع فراجع ما نقلناه عنه فى حوادث سنة ۴۲۹ و ما بعدها إلى سنة ۴۴۰ تجد صنعاء و ما جاورها تختلف عليها الولاة و المتغلّبين و قد تخلوا عن السلطة البتة، و نقل الديبع فى قرة العيون ، خبر ظهور الصّليحى على الأسلوب المتقدّم نقلا عن الخزرجى إلّا أنه قال فلما كانت سنة ۴۳۹ ثار فى رأس جبل مسار و معه ستون رجلا الخ و لا ندرى هل اختلاف التاريخ بين ما فى تأريخ الخزرجى و بين ما فى قرة العيون من تصحيف الكاتب فى الأم التى نقلنا عنها أم هو الأصل، و ما أكثر التّصحيف

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۲۸

و التحريف بل المسخ فى المصادر التى استقينا منها أخبار هذا القسم و لعمرى ان تفهم القلم المسمارى و حل رموز المسند أقرب إلى الفهم من تحريف النّاسخ و سوء فهم الماسخ لتلك الأسفار و فى انباء الزمن ما لفظه: و دخلت سنة ۴۳۹ فيها ثار على بن محمد الصليحى فى مسار من أعمال حراز، فملك اليمن جميعة من مكة إلى عدن فى أقرب زمن و سيرته مشهورة و أخباره مذكورة انتهى.

و فى اللآلىء المضيئة نقلا عن مسلم اللحجى قال: و لما حضرت الوفاة سليمان بن عبد الله الزواحى، سلم أمر الدعوة (العبيدية) الى على بن محمد الصّليحى فوثب، على قلعة مسار فأخذها، ثم فتح حصون اليمن و قلاعها و مدنها و مخاليفها، و قتل رجالها، و اسر ملوكها و لما انتهى هو و من سبق إلى نصرته من همدان الحجاز و جنب و سنحان و نهد ، الى أعلى جبل حضور ، و كان ملك صنعاء و أعمالها إلى همدان البون و رئيسهم ابو حاشد بن يحيى بن أبى حاشد بن الضحاك، و أنهم حشدوا فى لقائه حتى اجتمعوا بسهمان فهموا بالتقدم إليه الى الجبل، أو بعض المواضع منه نحو قاع بيت حدد فقال لهم رجل من الحمادّيين يقال له حتروش، و كان من أشراق همدان لا أراكم أن تفارقوا مواضعكم، و ان هبط اليكم القوم اخذتهم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۲۹

الخيل فى هذا القاع، و ان وقفوا كنتم اصبر فأبوا إلّا التقدم، فلما صاروا بوادى صوف، اغتنم الصليحى و أصحابه الفرصة فى ذلك فقتلهم هنالك، و ذكروا ان عدة من قتل منهم ألف قتيل منهم سلطانهم ابو حاشد بن يحيى، و كان حتروش حين تقدموا تأخر هو إلى صنعاء فأمّنه الصليحى و أكرمه و اتخذه جليسا، و كانت قبائل اليمن ذلك الزمان كثيرة العدّ و العدد و الخيل و السلاح.

قال مسلّم اللحجى: أخبرنى مسعود قال أدركت همدان قبل خروج على بن محمد الصليحى و دعوته و هم ألف فارس فى صنعاء و البون و أعمالهما غير وادعة و بكيل و يام و حجور، و أدركت عنسا و هم ألف فارس أيضا و بنى الحارث بالرحبة و هم خمسمائة فارس، و الأبناء و فيهم ثلاثمائة فارس أو قال خمسمائة أو نحو ذلك، و قال: و كان ابن الأشجب، أو قال: الأشجب ملك مسور ولاعة، و هو من آل المنتاب يأخذ الأتاوة من ملك تهامة كل عام، فاذا حال الحول بعث لرؤساء همدان من يأتيه بهم، الى بيت الحرانى بناحية مسور، ثم كتب إلى ملك زبيد ان همدان و حمير قد أتوار لجوائزهم، فإن اتتهم و إلّا اتوك فيبعث إليهم الأموال، فيعطيهم منها و يكسوهم فينصرفون، فلما ملكهم الصليحى، أذل عزّهم و قتل سراتهم، و أشرافهم، و أوطا نخوتهم، و أخذ الأنفس و الأموال و استعبد الذرية و الأطفال انتهى .

و فى سيرة الامير ذى الشرفين لكاتبها مفرج بن أحمد قال: لما كان فى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۳۰

غيبة إمام العصر، و صاحب الدّهر المهدى لدين الله الحسين بن القاسم بقى النّاس فى فتن و زلازل و ظلمة و محن فى سنة ۴۰۴ إلى

سنة ۴۳۷، و فيها خرج عدوّ الله على بن محمد الصليحى متوجّها إلى الحرم و دعا إلى مذهب الإسماعيلية بالحجاز و سلك نجدا فى مبتداه و تهامة فى منتهاه، و أجابه إلى ذلك طوائف من حراز و غيره، و طلع فى رأس الحول من قابل إلى جبل مسار، و ذكر خبر اجتماع قبائل حراز و استنكارهم، ثم إقناعهم و قيام قبائل المغرب تحت رياسة جعفر بن العباس لحرب الصليحى و انهزامهم، ثم أورد ما خلاصته: ان الرّؤساء من همدان و حمير و الاحبوب و المغرب اجتمعوا فى بيت معدى كرب، و حضر معهم الأمير جعفر بن الإمام القاسم و ولده عبد الله جعفر و انتدبوا الثانى لقتال الصليحى و اختاروا ان تكون الحيمة ميدان حربهم و كفاحهم، و كان فى المحارم من عزلة الحدب، و لما ألتقى الجمعان، و تنازل الفريقان كتب النصر للصليحى و خذلت القبائل، و سقط الأمير عبد الله بن جعفر أسيرا فى أيدى القوم. و حمل إلى مسار ثم منّ عليه الصّليحى بعد أن استحلفه و أكّد عليه المواثيق ألّا يعود إلى الخروج عليه، ثم اجتمعت القبائل و الرؤساء مرة ثانية و قرّ رأيهم على إرسال حملة أخرى تحت رياسة الأمير جعفر بن القاسم، فنهض الأمير إلى صيد البراد، و هنالك التقى الجمعان فانهزم أصحاب الأمير جعفر بعد قتل مستمر و وقع الامير أسيرا فى أيدى القوم فنقلوه إلى مسار، ثم أن الصليحى أطلعه و خلّى شأنه بعد أن واثقه على ان لا ينصب له حربا، و لا يقاتل له حزبا

و دخلت سنة ۴۴۱ فيها هاجت ريح شديدة فى شبام حمير فاقتلعت شجر البرقوق و احتملت الكلاب حتى سمع نباحها فى الجو، و هدمت دورا و مساجد فسبحان القادر.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۳۱

و دخلت سنة ۴۴۴ فيها سار الإمام أبو الفتح الى عنس فقصده الصّليحى، فقتله فى نيّف و سبعين نفرا من أصحابه فى نجد الحاج و دفنوا جميعا فى محل واحد برومان فى بلد عنس و قبورهم هنالك مشهورة رحمهم الله قال فى أنباء الزمن بعد هذه الحادثة:

و دخلت سنة ۴۴۵ الى سنة ۴۴۸ لم يتفق فيهن ما ينبغى ذكره.

فلنرجع الى سيرة ذى الشرفين، و دخلت سنة ۴۴۴ فيها طلع الصليحى إلى يناع، و أوقع بالأحبوب و أهل الجبل فى يناعة و ظافره أبو الحسين بن مهلهل بن جناح و صعد إلى بيت خولان و طارت الأنباء بهذه الحوادث، فارتاع لها النّاس، و فزعت حمير و همدان و خولان، و بنى الحارث إلى الرئيس حاشد بن يحيى، و أجمع رأيهم على الصّمود إلى البقاع التى احتلّها الصليحى لإنقاذها و الضرب على يده فهرعت جموع كثيرة تحت قيادة أبى حاشد بن يحيى و فى قرية يازل التقى الفريقان، و دارت بينهما معركة من أحمى المعارك و طيسا، سقط فيها أبو حاشد بن يحيى قتيلا و قتل غيره من رؤساء القبائل و سلاطينها و باء العسكر الصليحى بالغنائم الوفيرة، من خيل و سلاح و عدد و رماح، و بهذه الحادثة التى قضى فيها على كثير من رؤساء القبائل و العشائر التى لا يستهان بها و بشجاعتها، طار ذكر الصّليحى و استفحل أمره، و وجفت فرقا منه القلوب و استكانت له كثير من الرؤوس، و وافته الأمور، و انقاد له الحرون، و تعبّدت أمامه طرق القلب و الإستيلاء، و نهض إلى تهامة ليفتحها، لما كان يخافه من آل نجاح و اهتبالهم الغرّة فى اثناء حروبه مع قبائل المشرق فينقضوا على حراز مبعث دعوته، و منبع قوته، فتم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۳۲

له فتح تهامة و بعد تلك الحادثة التى أمضّت قلوب كثير من القبائل دبّر الناس الحيلة، و تشاوروا، و أجمعوا على مناجزة الصليحى و مقاومته، و فى مقدمتهم الشريف الفاضل القاسم بن جعفر و الإمام حمزة بن أبى هاشم، و تحمّس النّاس و استعدوا، و اتصلت الأنباء بالصليحى فكتب إلى الشريف القاسم كتابا يقول فيه: أما بعد فان الله لو أراد للنّملة صلاحا لما جعل لها جناحا، و أفاض فى الوعيد و التهديد، و ذيّله بأبيات منها:

هذا اليقين و خيل الحق مقبلةتحثّ فى نقعها جرى السراحين

هناك لا تنفع الرسّى ندامتهو عض إبهامه فى الوقت و الحين

فيال همدان لا يغرركم طمعالى الغرور حبالات الشياطين

الخ ..

فأجاب عليه الشريف الفاضل بكلام طويل منه: وقفنا على كتاب رجل قد طما فى بحر الغرور و علا فى أسفل الأمور، يخبط العشوى فى تجبره، و يمشى الخيلا بتكبره، إلى أن قال: فلا يغره يازل و ما قتل فيه من فارس و راجل، فأنها امنيّة خدعتهم، و عددهم فاجأهم، فلو تأهبوا لقتاله، و أخذه و نزاله، لضاق به الفجاج، و كثر منه الإرتجاج، و هم الآن قد أصلحوا السلاح، و ثقفوا الرماح واثقين بإزالة الدولة عنه للبراهين التى قد لاحت، و للأمور التى قد أتى وقتها و فاحت، لما أتى فى محكم التنزيل، و فسره أمير المؤمنين، فالأمر صائر إلى أربابه حقّا، و الفرع عائد الى نصابه صدقا، و كتب أبياتا يقول فيها:

هذى اليقين و اللاى عز الدينىليس الوعيد و لا الارجاف يثنينى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۳۳ عزمى و ثيق و قلبى مرتعبإذا ألمّ نواميس الدهاقين

لا بد من وقعة منى تظل بهااشلاؤكم فرقا بين السراحين

و منها:

و ان همدان لا تغضى على قذأو لا تلاقيه إلّا فى الميادين

بكل أجر و سبّاح و سابحةعلى مناكبها شم العرانين تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع ؛ ص۲۳۳

عزم الشريف الفاضل الى صعدة و طلوع الصليحى من تهامة

لم يهمل الشريف الفاضل فرصة غياب الصليحى عن البلاد و اشتغاله بتهامة فأخذ يهدم الحصون التى بناها على بن محمد فى بنى الحذيفى فى الحيمة و فى البون و غيرها، و أصبح يولّى الولاة و يطوف فى النّواحى التى هى فارغة، ثم انه قصد صعدة، و طلع الصليحى من زبيد إلى صنعاء و لما شاعت الأخبار بطلوع الصليحى صنعاء رجع الشريف الفاضل من صعدة إلى البون و لقيه هزيم أهل صنعاء فى البون، و عرف ان اكثر الناس الذين كانوا يحضّونه منضمين إلى حزبه قد تخلوا عنه و استمالهم الصّليحى بالمال ثم انه حض الناس على الخروج لحرب الصّليحى، فخرج معه خمسمائة نفر أمرّ عليهم أخاه الحسين بن جعفر و ابن عمه عيسى، و ساروا إلى صنعاء، و لما قرب تفرق أصحاب الحسن و بقى فى نفر قليل و تقدّم الصليحى الى بيت خولان ثم تقدم إلى صنعاء فدخلها ليومين خاليين من ذى القعدة سنة ۴۴۷ و كان الشريف، قد خرج عنها فى نفر قليل، و فيها سار الشريف الفاضل الى بلد بنى صريم و وصلت خيل الصليحى الى عجيب.

و دخلت سنة ۴۴۸ فى المحرم منها تفرقت رؤساء همدان منهم سلامة بن الضحاك و على بن ذعقان و غيرهما من الرؤساء فى بنى صريم و بنى الدعام و جمعوا العساكر من حاشد و بكيل، و استنهضوا الشريف الفاضل،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۳۴

فلم يجد بدّا من النهوض معهم، و هو كاره لذلك، و تحكموا عليه فى الحركة و السكون و أصبح معهم لا يبدى و لا يعيد، و لقد سأله سائل فى تلك المدّة أتقصر الصلاة أم تتم، فقال: سل على ذعفان دلاله على أنه لا يملك راية فى الحلّ و الترحال و أنه طوع رأى غيره من الرّؤساء، و تقدمت رؤساء همدان بمن معها إلى حاز من همدان و زحفت جيوش الصليحى إلى قراتل بجوار حاز، و لما ألتقى الجمعان، ولّت همدان و من معها من القبائل مدبرة و تفرقوا أيدى سبأ، و كان الشريف الفاضل قال لهم: اغزوا بنا القوم إلى موضعهم فلم يسعدوه، ثم قال لهم: أتبعونى الخيل إلى صنعاء فلم يتبعوه، فلما حقّت عليهم الهزيمة، و طاروا شعاعا، ثبت الشريف الفاضل فى خمسة نفر من أصحابه، فأبلوا بلاء حسنا، و فى هذه الوقعة قتل على بن ذعفان، و قيس بن و هيب و جماعة من وجوه الناس.

الهرابة و ما كان بها من الأحداث

بعد الفشل الذى منيت به القبائل، و الهزيمة التى فرقتهم أيدى سبأ فى الوقعة المتقدمة انتقل الشّريف الفاضل و من رافقه من آله و شيعته، مثل جشم بن عبد الأعلى بن الدعام، و الرّبيع بن الرويعة، و ذعفان بن ذعفان، و عباد بن شهاب صاحب الهجر بالأحبوب و غيرهم ممن يؤثرون هجران أوطانهم و منازلهم على الرضوخ و الاستسلام للصليحى، و اتفق رأيهم على اتخاذ الهرابة معقلا لهم، فاجتمع بهذا الموضع نحو ألفى مقاتل، و معهم نساءهم و أولادهم، و لما اتصل بالصّليحى ما فعله الشريف الفاضل و شيعته، أخذ يرسل الكتائب و السلاهب و يرمى الهرابة بالقبائل و القنابل و أحاط بها

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۳۵

من كل جوانبها، و ضيّق الحصار عليها سبعين يوما جمادى الأول و الآخرة و عشرا من رجب سنة ۴۴۸، و نصب المجانيق و العرادات و عظم الحشد إلى تلك البقعة، حتى كان يخيل للسّامع أن الأرض ترتج و تضطرب، عند ضرب الجباجب و الطّبول، و نفخ النفاطات و الأبواق، فثبت أصحاب الفاضل ثباتا يدهش اللّب، و برهنوا على بسالة و صبر قل أن يتحمّلها إنسان مهما بلغت حماسته، و عاهدوا الشريف الفاضل على الموت، و واثقوه على ان لا يخرج من الباب احد أو يهلك دون ذلك، كلا هذا و مورد ألما بعيد عنهم، و ليس معهم منه إلّا ما كانوا قد احتجنوه و احرزوه، و لطول المدة نفذ ما معهم من الماء و بلغ الحال إلى أن تقاسموا الماء بالعطبة ، و طلب رجل شربة ماء على ان يبذل فيها ما يملك، و كان ما له لا يقل عن ألف دينار، فلم يجد، و بذلت إمرأة مائة و عشرين دينارا عوض شربة ماء فلم تجد ذلك، و كانوا يضعون الدروع الحديدية على صدورهم يتلذّذون ببرد الحديد، و ماتت البهائم و الخيل من العطش، حتى امتلأت حيطان الهرابة بجثثها المنتنة، و قد كانت السماء تمطر فى آنات متباعدة فيتهافتون على الماء يغترفونه، من بين جثث الموتى، و جيف الحيوانات، و ربما عثروا على الماء بعد يومين أو ثلاثة فى الحفر التى قد أمتلأت بالأشلاء المنتنة و نحوها، فيأخذون ما يظفرون، و قد امتزج بالصديد، و أصبح أسود كأنه القطران، فيعمدون إلى طبخه بالنّار ثم إلقاء التراب الأبيض عليه ليغير من لونه، ثم يسدّون أنوفهم و يشربون فلا يكاد يمرّ من الحلق حتى يتقاياه الشارب و يكاد يهلك و ربما هلك.

هذا كله و الماء غير ممنوع عنهم، و لا يصدّهم صاد عن وروده و الأمان سائد لمن يريد الورود، و لكن العهد و الميثاق الغليظ حال بينهم و بين الخروج من الأبواب و تعديها، و قد هلكت النساء و الصبيان و البهائم فى سبيل المحافظة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۳۶

على العهد و الوفاء به، و فى هذه المدة و على هذا الحال و الجيش الصليحى محيط بهم يرجمونهم بالحجارة، و يرشونهم بالنّبل، و يضايقون عليهم أماكنهم و مواضع مرورهم، لأن الهرابة موضع مطمئن من الأرض، تحيط به آكام و جبال شاهقة، فهدمت أكثر حصون الهرابة، و تعب أكثر الناس من هذه الشدّة و المغامرة، فخرجوا و خلفوا الشّريف، و نحو مائة فمن لم تطب نفوسهم بخسران الأجر و الثواب، فآثروا ما هنالك و صبروا حتى داهمتهم الجنود الصليحى و حملت عليهم حملة واحدة و تبادلوا مع من بقى القتال ساعة من النّهار، و خرج الشّريف عيسى بن عياش إلى الصليحى، فأكرمه و كساه، و أعطاه الأمان له و لأهل الحصن، و عاد إلى الشريف الفاضل، و عرض عليه ما وصل به من الصّليحى، فلم يقبل الفاضل، ثم أنه عرض الأمر على أهله و خواص شيعته، و بعد أخذ ورد أجمع رأيهم على خروج الشريف الفاضل بنفسه الى الصليحى، فخرج الفاضل، و لما قرب من مضرب الصليحى نهض لا ستقباله ماشيا و أكرمه و عظّمه، و كان الشريف الفاضل، قد أرسل الشريف عيسى بن عياش إلى مكة للاستنجاد بالشريف شكر ابن أبى الفتوح الحسنى، و بنى حسن فلم ينجده، فعنّفه الصّليحى على ذلك، و أمر يقبض ما فى دار الشّريف الفاضل من سلاح، و أطلق له منها عشرة أدراع و عشرة أسياف، و أطلق بجميع أصحابه سلاحهم، و ما يقدر الواحد أن يحمل هو و حريمه، و كانت الجنود قد تهافتت على الحصن، فهرع الصّليحى بنفسه لصونهم، و أخذ يذود كل من يحاول الفساد، و أرسل البغال فأخرجت النساء و الأطفال على اجمل هيئة و إلى هذه الحادثة أشار صاحب البسامة بقوله:

و فى الهرابة ايام لفاضلناو صنوه ذى المعالى خير منتصر

حطّ الصليحى حوليها بعسكره‌سبعين يوما و ما فيها سوى قطر

ثم ان الفاضل سيّر بالحرم و الذريـة صـنوه ذا الشـرفين الى الحضن، و أمر الصـليحى بهـدم الهرابة، و لما راعه من صبر أولئك الرجال حكى عنه أنه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۳۷

قال: (لو كان لى مثل رجال الهرابـة لـدخلت بهم العراق) و قـد تسامـح مع رجال الهرابة، فلم يجر على أحد منهم سوء ما عدا الشـريف الفاضل فإنه حمله معه إلى صـنعاء و جعله فى دار خاصة فضـيّق عليه الموكّل بحفظه فى كل شـىء حتى فى القوت، فلما بلغ الصّليحى ذلك نقله دارا أخرى، و أمر بالترفيه عليه و عدم مضايقته و خصّص له بغلة لركوبه فى المراسم الحافلة و الأعياد.

عزم الصليحى الى جنوب اليمن و محاربة آل الكرندى

و دخلت سنة ۴۵۰ فى المحرم منها عزم الصّليحى لحرب يعفر بن احمد الكرندى و منازلته بحصن السوأ و كان لبنى الكرندى مخلاف المعافر و مخلاف التعكر و نواحيها، و آل الكرنـدى يرجع نسـبهم إلى ابيض بن جمال الـذى أقطعه النّبى صـلى الله و سـلم عليه و على آله، جبل الملح، و قد تقدم ذكر الأبيض بن جمال فى الكوائن أيام البعثة.

و قبل مغادرة الصّـليحى صـنعاء جعل الخيرة للشريف الفاضل بين أن يقيم بدار تعدّله بصنعاء على الرّحب و السعة و الإعزاز و الإكرام، و بين ان يلحق بأهله، و بين ان يرافقه فأختار الثالث و سار معه فى هذه السـفرة و العناية و اللطف يحفّان به فأقام الصـليحى تسـعة أشهر فى منازلة الكرندى حتى تمكن من القضاء عليه، و رجع فى حافرته إلى صـنعاء عاصـمة ملكه، و اتفق ان جاء والد الشريف الفاضل، و هو الشّـريف جعفر بن القاسم ساعيا فى صـرف ولده، و تخليصه من اليد الصـليحية، فعرض له الـمّ أودى بحياته، و فارق الحياة بصنعاء، فى شهر ذى الحجة من السنة، و كان رحمه اللّه يقول: أنا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۳۸

أكثر من أعطى عمرا من أهل بيتى أنا ابن خمس و ثمانين سنة ۴۸۵ ثم تمثل بقول النّابغة الذبيانى (و انى لأرجو فوق ذلك مظهرا)

فـأمر له الصـليحى بأكفـان رفيعـة، و قطع من الكـافون و خرج و أعيـان دولته لتشـييع جنـازته، و أمر بـدفنه فى مقابرهم بصـنعاء، ثم ان الصـليحى حضّ الشـريف الفاضل على زيارة اهله و قرابته، و حثه على ذلك ليؤنسـهم بعـد ما لحقهم من وفاة والدهم و معيلهم الأكبر فلحق به بعـد أن أجزل له الصّـلاة، و أمر لجميع من تحت يـده بالملابس الفـاخرة و الصّـلاة، و عرض على الشّـريف قضاء حوائجه، و أجرى له نفقـة شـهرية تجرى على الـدّوام، فأقام الشـريف بأهله مـدّة مشـتغلا بالعبادة، ثم أنه كتب للصّـليحى: نريد المدينة و زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و عزم نحو الحجاز، و عاد إلى اليمن بعد قتل الصليحى، كما سيأتى بيانه أن شاء.

و فى انباء الزمن ما لفظه: و دخلت سـنة ۴۴۹ فيها سار الصّـليحى لقتال آل الكرندى، و سار الفاضل صـحبته حتى وصل زبيد ، ثم عزم على التوجّه للحج فأذن له الصّـليحى، و سار مع أخوه ذو الشـرفين محمد بن جعفر فى نفر قليل حتى أنتهيا إلى بلاد خثعم بعد مشـقات شديدة، و أهوال عديدة، و لما اسـتقرّا فى بلاد خثعم تزوّجا فيها، و أقاما مدة، ثم طلّق الفاضل زوجته، و سار إلى مكة فمكث فيها سبع سنين، ثم همّ بالمسـير إلى الكوفـة فبلغه قتـل على بن محمـد الصـليحى فى المهجم، كمـا سـيأتى ذكره، و وردت عليه كتب من اليمن مخبرة بقيام حمزة بن أبى هاشم و ان الوصول متحتّم عليه لمناصرته فرجع إلى اليمن .

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۳۹

و دخلت سنة ۴۵۰ لم يتفق فيها و لا فى التى تليها ما يوجب الذّكر.

و دخلت سـنة ۴۵۲ فيهـا مات الأمير الحبشـى نجاح مولى مرجان بمدينـة الكـدرا، من الأعمال التهاميـة، مسـموما سـمّه على بن محمد

الصليحى على يد جارية أهداها الصليحى إلى الحبشى، و كان الصّليحى بعد أن استولى على صنعاء، و أخرج منها همدان و شرع نفوذه يمتد خاف من نجاح لعلمه بعجزه عن مقاومته، و جعل يفكر فى ذلك، فدله تفكيره إلى الغدر و ذبح الوجدان فى سبيل المجد المزيف، و جعل سبيل التنفيذ الجارية المهداة فانه زوّدها السّم، و أمرها بقتل مولاها الجديد. و لما بلغ الصليحى موت نجاح انقض على فريسته، و بادر إلى زبيد فأزال بنى نجاح عنها، و هم سعيد و جياش و معارك و الذخيرة و منصور، و كان معارك أكبرهم فقتل فنسه و هرب سائر إخوته إلى جزيرة دهلك، و كان منهم ما ستراه قريبا.

و دخلت سنة ۴۵۳ فيها كسفت الشمس كسوفا عظيما حتى ذهب جميع جرمها و أظلم النهار، حتى ظهرت الكواكب و سقطت الطيور.

و فيها كتب الصليحى الى المستنصر العبيدى يستأذنه فى إظهار الدّعوة و وجّه إليه بهديّة جليلة منها سبعون سيفا قوائمها من عقيق فقبل المستنصر هديّته و جاد عليه بهذه الألقاب الفخمة الملك السلطان الأجل الأوحد، سيف الإمام المظفر، نظام المؤمنين على بن محمد الصليحى، و ولّى أخا زوجته أسعد بن شهاب مدينة زبيد، و امتد نفوذه إلى جزائر البحر الأحمر و أمر أخاه محمد بن على بأختطاط مدينة النهر ذى جبلة قال الخزرجى: و لما

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۴۰

وصل له الأذى (من إمامه المستنصر بنشر الدعوة) و قد توفى نجاح فى التاريخ المذكور آنفا سار الصليحى إلى التهائم فأفتتحها و لم تخرج سنة ۴۵۵، إلّا و قد استولى على كافة قطر اليمن من مكة إلى حضر موت سهله و جبله، و تمنّعت عليه صعدة بعض التمّنع بأولاد الناصر، ثم قتل القائم فيهم و ملكها، و استقر ملكه فى صنعاء و أخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم و أسكنهم معه و اختط فى صنعاء عدة قصور، و حلف ان لا يولّى تهامة إلّا من حمل له مائة الف دينار، ثم ندم على يمنة و أراد أن يوليها صهره، سعد بن شهاب صنو أسماء بنت شهاب والدة المكرم فحملت اسماء عن اخيها المبلغ المذكور، فقال لها الصليحى: يا مولاتنا أنّا لك هذا، قالت: هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب، فتبسم الصليحى، و عرف انه من ماله و خزانته، فقبضه و قال: هذه بضاعتنا ردّت إلينا، فقالت اسماء: و غير اهلنا و نحفظ أخانا فولّاه التّهائم، و دخل أسعد بن شهاب زبيد فى سنة ۴۵۶ و أحسن السّيرة فى كافة الرّعية، و أذن لأهل السّنة فى إظهار مذهبهم، فكان يحمل الى الصليحى بعد اخراج أرزاق الجند فى كل سنة ألف ألف دينار، و عامل الحبشة، و من يتهم بالدّولة النجاحية بالإحسان و الصّفح، حتى زرع محبّته فى قلوب الناس و فى أنباء الزّمن. و دخلت سنة ۴۵۵: فيها سار الصليحى مكة فانفق فيها نفقة عظيمة و حمل إليها الأقوات و الأطعمة العظيمة و رفع منها رسوم الجور، و ظهر منه فعال جميلة، ثم عاد إلى تهامة، و فيها أولاد نجاح المقدم ذكرهم فتوارى عنه سعيد الأحول فى زبيد، و خرج جياش ببقيتهم إلى جزرة و هلك، و جرت له هنالك أمور يطول شرحها، و لم تخرج هذه السنة، حتى استولى الصليحى على اليمن سهله و وعره و بره و بحره إلّا صعدة فإنّها أمتنعت عليه بعض الإمتناع بأولاد الناصر، حتى قتل القائم منهم فاستقر ملكه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۴۱

لليمن جميعه، و اتخذ صنعاء دار ملكه، و عمر فيها عدّة قصور، و جمع ملوك اليمن الذين أزال ملكهم على يديه و أسكنهم صنعاء، و اشتد ملكه و بلغت سراريه أربعمائة سرّية، و كانت سيرته فيما رجع لأمر الدين غير مرضية حكى مسلم اللحجى فى تاريخه ما معناه: ان الصليحى لما استقر ملكه فى صنعاء بلغه ان أهلها يجتمعون فى المساجد، و يتذكرون قبح سيرته، و ربما خاضوا فى شىء من قبح عقيدته، و أنه قد يعيد مذهب على بن الفضل بصفته، فشقّ عليه ذلك، و تألّم منه كثيرا، و أمسك أياما، ثم أمر بتسمير أبواب المساجد و منع من دخولها، قال مسلم: أخبرنى القاضى ابن عبد السلام بن أبى يحيى ، أن الصليحى لما أراد النّهوض إلى مصر لزيارة العبيدى، جعل أمواله و ذخائره المعدّة لسفره فى المسجد الجامع و اتخذه خزانة لذلك و ملأه بالصناديق و سائر الأحمال فعاجله اللّه بالنقمة و قتل فى سفره ذلك كما سيأتى.

و دخلت سنة ۴۵۸ فيها قام الحمزة بن ابى هاشم لمحاربة الصليحى فى ثمانية آلاف راجل، و خرج لقتاله عامر بن سليمان الزّواحى فى

ألف و خمسمائة فارس و خمسة عشر ألف مقاتل، فوقعت بينهم عدّة حروب قتل فيها خلق كثير، و فى اخرها قتل الحمزة عليه السلام فى موضع يعرف بالمنوى من بلاد الخشب و هو واد ضيق التجأ إليه الحمزة و أصحابه، فأخذ عليهم الصليحى أعلا الوادى و أسفله و رموهم بالنبل و الحجارة حتى أثخنوهم، و وقف بين يدى الحمزة سبعون شيخا من همدان يجالدون دونه حتى قتلوا عن آخرهم، رحمه الله، و لم تطل مدة الصليحى بعد قتل الحمزة عليه السلام، ثم قتل فى أواخر هذه السنة، و قام بثأر الحمزة ولده على و المحسن بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۴۲

الحسن بن أولاد الهادى عليه السلام، فقتل عام الزواحى و ولده يحيى فى نواحى ثلا

مسير الصليحى للحج و مقتله

بعد أن تم الأمر للصّليحى كما تقدم استقر بصنعاء إلى سنة ۴۵۹ كما أفاده الخزرجى و قيل إلى سنة ۵۳ ذكره الجندى، و قال فى انباء الزمن:

الى سنة ۵۸ و قال الديبع فى كتابه بغية المستفيد انه أقام بصنعاء إلى سنة ۴۷۳، و ازمع على الحج فاستخلف على ملكه ابنه المكرم و سار فى الفى فارس منهم من آل الصليحى مائة و ستون رجلا و استصحب معه من ملوك اليمن الذين أزال ملكهم، و خاف من انتقاضهم على ولده خمسون ملكا، و استحصب معه ايضا زوجته اسماء بنت شهاب، و كان الصليحى قد استمد الأذن من إمامه بالزيارة له، فحمل من الهدايا و التحف و آلات ما لا يحصر و ساق بين يديه خمسمائة فرس عليها سرج الفضة و خمسمائة هجين عليها ركب الفضة أيضا، و معه خمسون دواة من ذهب و فضة، و غير ذلك من النفائس، و لما وصل ظاهر المهجم من تهامة فى ضيعة تعرف بأم معبد هاجمه الأمير الحبشى سعيد بن نجاح الأحول، فى سبعين من أصحابه ليس لهم سلاح غير جرد النخل على أطرافها المسامير فلم يشعر النّاس ضحوة النّهار إلّا و قد قتل الصليحى، و كان الذى باشر قتله سعيد بن نجاح الأحول بنفسه،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۴۳

و قتل أيضا أخو الصليحى الأمير عبد الله بن محمد و بعد قتل الصليحى تفرّق جيشه و استولى الحبشى على خزائنه، و اسر عائلته و خشن فى معاملة الصليحيين فقتل من وجد منهم رميا بالحراب و جعل رأس على بن محمد على عود مظلّته أمام هودج زوجته أسماء بنت شهاب و فى ذلك يقول شاعرهم العثمانى :

بكرت مظلّته عليه فلم ترجإلّا على الملك الأجل سعيدها

ما كان أقبح رأسه فى ظلهاما كان أجمل رأسه فى عودها

سود الأراقم قابلت اسد الثرىو ارحمتا لأسودها من سودها

و لما دخل زبيد جعل أسماء فى دار خاصة بها، و أمر بنصب الرأسين قبالة طاق الدار التى هى فيه، و أقامت تحت الأسر سنة كاملة و فى رواية أخرى: ان الصليحى لما تأهّب للحج وافته الأخبار بأن الأحول سعيد بن نجاح أصبح يترقّب الفرص للانتقاض و الانتقام، و انه قد أخذ فى اطراف البلاد بالإفساد فأمر بإلقاء القبض عليه فاستتر و استخفى، و كان قد دخل زبيد مستخفيا و خرج منها و سلك طريق الساحل، فكتب أسعد بن شهاب عامل الصليحى على زبيد إلى الصليحى، يعلمه بذلك فسيّر الصليحى من ركابه خمسة آلاف حربة فى طلب الأحول و قتله، قال الأحول نفسه: و أكثرهم من مماليكنا و أبناء مماليكنا، فخالفناهم، و لم نزل نجد فى السّير ليلا و نهارا، إلى أن دخلن طرف المخيّم، و النّاس يظنون انا من جملة العسكر و حواشيه، و لم يشعر بنا إلّا عبد الله بن محمد الصليحى، فإنّه ركب فرسه، و قال

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۴۴

لأخيه: يا مولانا اركب هذا و الله الأحول بن نجاح، و العدد الذى جاءنا به كتاب أسعد بن شهاب البارحة من زبيد، فركب عبد الله بن محمد و كان على بن محمد، قد دخل موضع الخلا، قال جياش: فكنت أول من طعنه، و شركنى فيه عبدّ للملك نجاح بطعنة أخرى، و حززت رأسه بيدى، و كانت جنوده قد سبقته، و لم يبق معه إلّا طائفة من أغلمته، و فى أنباء الزمن: أن عبد الله بن محمد الصليحى قال لأخيه: يا مولانا هذا و الله الأحول سعيد بن نجاح فقال لهم إنّى لا أموت إلّا أمرت إلا بأمّ الدهيم بير أمّ معيد معتقدا أنّها أم معبد الخزاعية التى نزل عنها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لمّا هاجر إلى المدينة المشرفة، فقال له رجل من أصحابه: قاتل عن نفسك هذه و الله بير أم معبد فلحقه زمع اليأس من الحياة، و بال فى أثوابه، و لم يبرح من مكانه، حتى قطع رأسه بسيفه إلى أن قال: و استولى ابن نجاح على خزائن الصّليحى و ذخائره و خيله و رجله، بعد أن ذهب فى أيدى النّاس منها ما ذهب، و استغنى الفقير، حتى لقد حكى ان رجلا مرّ بصندوق مملوءا من الدّنانير أسعد يد، فرغب عنها، و قال: اريدها حاشدية، ثم التفت ليأخذها فلم يجدها، و الاسعدية ضربت اسعد ابن أبى يعفر انتهى.

و فى الخزرجى ما خلاصته أنه لما ظفر سعيد بآل الصليحى أشار عليه أخوه جيّاش أن يعفو عمّن قدر عليه من آل الصليحى و غيرهم من أبناء الملوك، و أن يكتب إلى المكرم انا اخذنا بثأرنا، و استرجعنا ملكنا، و قد احسنّا و تجملنا إليك بصيانة والدتك، و العفو عن بنى عمك، و قال له و الله يا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۴۵

مولانا لئن فعلت ذلك، لا نازعتك قحطان فى ملك تهامة أبدا، و لئن كرهت ذلك لتهيّجنّ حفائظها، و لتطلبنّ بثأرها، فإنّهم أهل نفوس أبيّة، و همم عربية قال فأجابنى بقول الشاعر:

لا تقطعن ذنب الأفعى و تتركهاان كنت شهما فاتبع رأسها الذنبا

و لم يبق ممن ظفر به من ملوك اليمن الذين كانوا مع الصليحى سوى ثلاثة رجال، و هم وائل بن عيسى صاحب أحاظة ، و على بن معن صاحب عدن، و ابن الكرندى صاحب المعافر .

أحوال صنعاء بعد قتل الصليحى

ذكرنا ان الصّليحى استخلف لما عزم للحّج ولده المكرم على صنعاء، فلما قتل و طارت الأنباء بالحادثة لم يجد المكرّم بدّا من إدّراع الصّبر و التشمير للمحافظة على الملك، و قد كانت أنباء هذه الحادثة مجريّة لكثير من القبائل على الانتقاض، كما أنها كانت من البواعث لظهور دعوة الإمام حمزة بن أبى هاشم.

ظهور الإمام حمزة بن أبى هاشم عليه السلام

تقدّم رفع نسبه عند الكلام على الإمام أبى هاشم الحسن بن عبد الرحمن، و إلى الإمام حمزة بن أبى هاشم، ينتهى نسب الأشراف الحمزات باليمن.

قال فى سيرة الأمير ذى الشرفين ما خلاصته انه لما قتل الصليحى فى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۴۶

التاريخ المذكور، اجتمعت القبائل من بكيل و وادعة و تهم و غيرهم، و بايعوا الإمام حمزة بن أبى هاشم، فأراد الإمام فتح صنعاء و قصدها فى جيش عظيم فاستعد المكرم لمدافعته، و التقى الفريقان بالمنوى من بلاد الحشب، و دارت بينهما معركة شديدة، ثبت فيها أصحاب الصّليحى، و انهزم جند الإمام، و تفرقوا عنه، و ثبت فى سبعين من شيوخ همدان فقاتلوا حتى قتلوا جميعا آخر سنة ۴۵۹.

و فى اللآلىء المضيئة: و كانت لحمزة مع بنى الصليحى، وقعات مشهورة، و لم يزل مجاهدا فى سبيل الله فقصد صنعاء فى جيش

عرمرم، فوصل إلى موضع فى الخشب يقال له المنوى، و كان المكرم احمد بن على بن محمد الصليحى غائبا عنها، فبلغ ذلك عامر بن سليمان الزّواحى، و هو أمير جيوشه، و كان عامر بيريم، فسار حتى دخل صنعاء، و خرج قاصدا للمنوى، فكانت بينهم معركة عظيمة فانهزم عن حمزة جنده و ثبت عنده تسعون من شيوخ همدان، فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله آخر سنة ۴۵۹ تسع و خمسين و اربعمائة، و فى انباء الزمن: ان قتل الإمام حمزة و وقعة المنوى كانت سنة ۴۵۸، قيل عزم على بن محمد الصليحى للحج، و انه هو الذى خرج لمحاربته كما تقدم، و قد أشار الى هذه الوقعة صاحب البسامة بقوله:

و حمزة روت المنوى له بدمو فرّقت منه بين الرأس و القصر

سر الزواحى و الأصارح مصرعهو قد ثأرنا به منهم على الأثر

بعامر و بمنصور و أسرتهفما التقى رايح منهم بمبتكر

و الذى أخذ بثأر الإمام حمزة هو الأمير المحسّن الآتى ذكره قريبا قتل الزّواحى و ولده منصورا، و روى صاحب اللآلىء المضيئة من كرامات الإمام حمزة بن أبى هاشم عليه السلام، انه لما دفن واراد أولاده نقله، حين

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۴۷

أمكنتهم الفرصة حملوه و له نور ساطع، و قبروه فى بيت الجالد ، و هو مشهور مزور و روى له كرامات كثيرة.

رجوع الشريف الفاضل إلى اليمن

ذكرنا موت الأمير جعفر بن القاسم والد الفاضل، و عزم الفاضل إلى أهله بعد موت والده و بعد أن أقام فيهم مدة رحل إلى الحجاز، فأقام، و أقام فى بلاد خثعم مدة فلم تطب له الاقامة، و سار إلى الحجاز فمكث به نحو سبع سنين، قتل فى نهايتها الصّليحى، و اتصلت به أنباء قتله و كان قد ضاقت به الحال فى الحجاز، و لحقته حاجة حتى اضطر الى والى المدينة، و كان غائبا عنها فانتظر أوبته فلم ينل منه، ما يؤمل بعد أن أكثر ترداده إلى بابه، و لما آيس منه كتب إليه:

إلى الله أشكو ما تردد قاسمإلى مخيط صبراتها فا غلائله

أقمنا زمانا نرتجى فضل مخيطو هو غائب حتى اتتنا حمائله

فيا ليتنا بنّا و لم نلق مخيطاو غالته منّا دون مصر غوائله

فصمم على العودة إلى اليمن، و لما وصل وادعة الفرعين فرح به الشيعة، و قصّوا عليه ما كان من أخيه محمد بن جعفر أثناء غيبته، و انه ما زال يبثّ الدعاية سرّا بنشاط، و رغوب إلى أن هلك الصّليحى فأعلن السّر المكتوم و نهض الإمام حمزة بن أبى هاشم، لمناداة المكرّم، و معه الأمير محمد بن جعفر، و كتب إلى أخيه إلى الحجاز يستحثّه الأوبة، فلقيه الكتاب فى أطراف اليمن، و قد كان مآل الإمام حمزة بن ابى هاشم ثانيا له عن عزمه، مطغيا لجذوة حماسته، و قد جاء من الحجاز بحماسة تلتهب، و لكنه أعاد الى ذاكرته الأيّام التى لقيها من القبائل، و تخاذل النّاس عنه فى كثير من المواطن،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۴۸

فأصبح يقدّم رجلا و يؤخر أخرى، و واصل سيره إلى عيان فى شهر ذو الحجة سنة ۴۶۰، و فيها ألقى عصا التّسيار.

استنجاد الحرّة أسماء ولدها المكرم، و ظهور الشّريف الفاضل

و دخلت سنة ۴۶۱ فيها احتالت الحرة أسماء بنت شهاب بإرسال كتاب لولدها، ذكرت فيه أنّها قد حملت من العبد الأسود، و ليس لذلك صحّة فلم يكن الأحول قد رآها قط، و إنما أرادت استثارة حماسته و حماسة القبائل اليمنية بذلك، هكذا نصّ عليه المؤرخون و جعلت الكتاب فى رغيف، رمت به إلى رجل من أهل الشرق فسار بالكتاب حتى أوصله إلى المكرم، فلما قرأه جمع قبائل العرب، و

قرأ عليهم الكتاب جهرا، فدبّت الحميّة فى رؤوسهم، و أجمعوا على المسير إلى زبيد، و كان الشريف الفاضل بعيان، و عنده آل الدّعّام، و طائفة من بينهم، و من وادعة و الجميع يحضّونه على الخروج على بنى الصّليحى، فشرح لهم ما يخافه من انتقاضهم، و ما يعانيه من ضيق ذات اليد، و ما عليه حالة أعدائهم من المنعة و القوة، و كثرة المعاقل و البلاد، فلما أنس منهم إخلاصا، انصاع إلى رأيهم، و أخذ يستعد للنزّول على مقترحهم و انتقل إلى الجوف الاسفل و صار فى جماعة و فيرة، و كان أخوه ذو الشرفين محمد بن جعفر و صنوه الحسن بن جعفر، قد اتّجها إلى بيت شعيب و عرّجا على صنعاء، و نزلا على أميرها من قبل الصّليحى اسماعيل بن أبى جعفر الصليحى، و تبادل الحديث فى هدنة يضربان مدّتها، و صلح يعتمد النّاس عليه، و حملهما على التريث إلى أن يقدم المكرم، فلما قدم المكرم، قابل الشريفين بكل حفاوة و إكرام، و حسن عند الفريقين السّعى فى الصّلح و الهدنة، و جنح الصليحى إلى كل ما يرضى الأشراف، مما هو فيه من مهمّة تخليص والدته من أسر الأمير الحبشى أو الموت دونها، فتساهل للأشراف،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۴۹

و رضى بأن يقترن بعامله بصنعاء أحد الأشراف لحفظ البلاد، فوصلها محمد بن القاسم، ولد الشريف الفاضل، و تم الشأن، على أن يكون للأشراف وادعة و بكيل، و ان يكون الحد الفاصل نقيل عجيب، و ضم إلى الأشراف حمدة، و حاز، و بيت شعيب، و بيت سور، و رجع الشريفان إلى أخيهما الشّريف الفاضل، و رضى بما فعلا و عرض على النّاس ذلك و ارتضوه، و انحدر المكرم إلى زبيد لمناجزة العبيد.

اندحار الأحباش و دخول المكرّم زبيد

هرع المكرم فى ثلاثة آلاف فارس غير الرّجل، و لما همّ بالحركة حرّض أصحابه و أخبرهم انهم سيقدمون على الموت، فمن كانت له رغبة فى الحياة فليرجع، فرجع بعضهم، و تقدم فى عصابة من الشجعان الذين هم على شرطة، و بالقرب من زبيد عبّى أصحابه و قصد بهم باب الشبارق، و هو الباب الشرقى لمدينة زبيد، فخرج إليهم سعيد الأحول فى عشرين ألف حربة، وصفّ أصحابه على باب المجرى، فى جهة الشّمال، فتزاحف الجيشان، و اصطدم الفريقان، و دارت بالحتوف الكؤوس، و تسابقت الشوس إلى منهل المنيّة، و قطعت الرؤوس و اصدقت العرب الاحباش الطعن و الضرب، فانهزمت الأحباش هزيمة منكرة، و قتل منهم ما لا يحصى، و كان الأحول قد أعدّ خيلا مضمرة على باب النخل، فلمّا تحقق هزيمة أصحابه ركب الخيل فى خواصه، و أهل بيته إلى الساحل، و قد أعدت له فى البحر السفن فركبها إلى دهلك، و دخلت العرب زبيد قهرا، و كان أول فارس، وقف تحت طاقة أسماء ولدها المكرّم، فقال لها: أدام الله عزّك يا مولاتنا، فلم تعرفه، و سألته عن اسمه فقال انا أحمد بن على فقالت احمد بن على فى العرب كثير، فرفع المغفر عن وجهه، فعرفته و قال مرحبا بالولد المكرّم، من جاء كمجيئك فما أبطأ و لا أخطأ، و ضربت المكرّم الريح

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۵۰

عند ما رفع المغفر، و هو يتصّبب عرقا، فارتعش منها و اختلجت بشرة وجهه، و عاش بقيّة عمره كذلك، و دخل رؤساء العرب مسلّمين على الحرّة أسماء فقابلتهم سافرة كعادتها أيّام زوجها على بن محمد، ثم أمر المكرم بإنزال الرأسين و عمر عليهما مشهدا ، و رجع بأمّه إلى صنعاء و عمّل على زبيد خاله أسعد بن شهاب.

ما كان بين الأشراف و المكرم بعد عوده من زبيد

أشرنا إلى الصلح الذى كان الاتفاق عليه قبل نزول المكرّم لمناجزة العبيد فبينما كان المكرّم يستعد لقتال سعيد الأحول، إذ فرغ الأحول إلى التّفكير فيما يدفع عنه عادية المكرم، و يصد عنه غاشية أبناء قحطان، فلم ير وسيلة أفضل من أن يرسل وفدا إلى الشّريف الفاضل يحرك من نشاطه، و يحثه على مناجزة المكرّم، و الزّحف على صنعاء و أنبأه أنه على استعداد لمعاونته و الطلوع إلى صنعاء

لمضايقتها، و طلب من الشّريف الفاضل أن يعيّن موعدا يهرع الفريقان فيه إلى عضد شوكة المكرّم، و إحتلال صنعاء، فغنم الفاضل هذه الفرصة فأكرم وفادة الوفد، و أسرع إلى تحرير الجواب و فيه الموعد المعين لمهاجمة صنعاء، و أرسل وفدا يحمل المخابرة، و يوثّق الصّلات الوديـة، و بينما هو يلقى دروسه على الوفد، إذ بالأنباء تطير بأن الأحول ارغمت انفه و ترك البلاد و لاذ بالفرار، و أن المكرّم ربح المعركة، و قضى على الطّائفة الحبشيّة المتغلّبة فى أطراف البلاد، و حينئذ عرف الشّريف الفاضل خطورة الموقف، و شرع يفكر فى عمارة شهارة، و اتخاذها معقلا، و لما عاد المكرم إلى صنعاء اتّجه إلى نجران، و فى أثناء سفره و افته الأنباء بقدوم (الإمام ابو الفتح الديلمى) من العراق و قصده لأول أمره بلد ضاعن ، ثم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۵۱

صعد إلى جبل البر من جبال ، و انهالت عليه طوائف من قبائل الجبال فاستعد المكرّم لمقاومته، و لما علم من معه من القبائل بزحف الصّليحى تفرّقوا عنه، و تخلفوا و تركوه وحيدا فهرع الى الشريف الفاضل الى الجوف، و كان من أخباره ما سيأتى، و قد اعتمدنا هنا على ما فى سيرة ذى الشرفين، و ذكرنا فيما تقدم انه ظهر الإمام ابو الفتح الديلمى سنة ۴۳۷ كما فى أنباء الزّمن و الخزرجى و قرة العيون

اتخاذ الأشراف لشهارة معقلا، و أول اختطاطها

شهارة من أمنع الحصون اليمنية، و أشهرها قال فى سيرة ذى الشرفين:

و كان جبل شهارة يسمّى معتقا و فيه يقول

و إذا إمرء أمّ النجاة فانماسبب النجاة لمعتق فى معتق

ثبتت قواعد أسّه بمحمدلصلاح دين محمد المستعرق

و إنما سمى معتقا، لأنه كان يلتوى به الطّريد و يأوى البعيد ، فإذا لحقهم مواليهم قال الأهنوم، شاوروهم و شاروا معتقا.

عهد الشريف الفاضل إلى أخيه ذى الشرفين بالوثوب على شهارة و تدبير الحيلة لطلوع الجبل فلم يتمكن من ذلك، ثم ان الفاضل، أرسل الفقيه على بن محمد بن أبى الخيش فى جماعة من الأهتوميين و الظليميين و معه صنوه احمد بن جعفر، و أمرهم أن تكون إشارة تمكّنهم من قنّة الجبل إيقاد النّار فى قمته، فتيسّر لهم الصعود، و عملوا بما أشار الشريف الفاضل و غرضه معرفة استيلائهم عليه.

فلما تيقّن ذلك عاد إلى الجوف و بقى يحثّ أنصاره و شيعته على الالتجاء بشهارة، و اتخاذها معقلا و مقاما، فتقاطرت الشّيعة إلى الجبل، و بنو

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۵۲

فيه الدّور، و عملوا على تحصينه بما يحتاج إليه علاوة على حصانته الطبيعية فأفلق بنى الصليحى ما دبّره الأشراف، و صنعوه من اختطاط شهارة و اعتصامهم بها، و أخذ المكرّم يفكر فيما يقضى به على هذه التدابير و الحركات المتواصلة، فحشد عساكره، و جمع قرابته، و خرج على رأسهم إلى وادعة ليضايق الأشراف، و يشدد الوطأة على اتباعهم، و لما أناخ بجنوده فى موضع من وادعة يقال له المدحك، تحرك الشّريف الفاضل، و حاول أن يباغت المكرّم إلى وادعة فأبى بعض رؤساء أصحابه ذلك و علّل بأن قوتهم ليست بالمعتمد عليها، إلى مثل هذه الآراء، فجنح الفاضل، إلى قوله:

و تقهقر من شؤابه الى ورور، و تحرّك المكرم إلى أثافت، و جرّد عصابة من جنده إلى المنقل فعاثوا فى الدّرب، و سلبوا ما فيه، فباغتهم جماعة من ذبيان ، ردتهم على أعقابهم، و لما رأى المكرّم أن القوة التى معه لا غنى فيها، رجع أدراجه إلى صنعاء، و قد اتّقدت نار الحماسة فى الشريف الفاضل، بعد رجوع المكرم فنهد إلى اثافت، و هدم الدار التى سكنها الصّليحى، و أقام بها، و بعث من يستنفر أخاه الأمير ذا الشرفين من شهارة، فهرع إليه و اتجها معا إلى سرّ بكيل، و فى هذه الغزاة هدم الأشراف الكولة من بلاد

خولان و درب السنتين ، و درب الثابتى، ثم رجع ذو الشرفين إلى شهارة، و سار الفاضل الى الجوف الأسفل سالكا طريق شوابة، ثم ان الصليحى جهّز عصابة إلى ذبيان، فاعترضهم قبائل ذبيان، و من هم على ولاء الأشراف من نهم و بنى بحير ، و بنى الدّعام، و تبادلوا القتال، و قدر رجال الصّليحى على استمالة بنى الدعام، و وصل إليهم رؤساء هذه القبيلة و بعد

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۵۳

رجوع رجال الصليحى أغار الشّريف على بنى الدعام، فهدم دربهم، و أخرب فى بلادهم، و نشط الأشراف للإيقاع بكل من يميل الى المكرم أو يقبل أحدا من رجاله، ثم ان المكرم نهض من صنعاء إلى ذروة ، و نهض الفاضل الى شوابة و استنفر اخاه ذا الشرفين، فهرع إلى ورور بمن معه من القبائل، ثم ان الفاضل نهض إلى ذيبين عملا- باشارة بعض أصحابه، فنهد إليه المكرم و لما التقى الجمعان انهزم اصحاب الفاضل، و تركوه، و تمكن الفاضل من النجاء بنفسه و سار إلى الجوف، و لما بلغ آل الدّعام هزيمة أصحاب الشريف، اعترضوهم، و عاونهم أهل درب الجشرج فأوقعوا بهم تنكيلا- و حاسبوهم على ما كان عندما أغار عليهم الفاضل، و فتحوا البلاد للمكرّم، فلبث أيّاما قليلة، و أمدّهم بمال يستعينون به، و كان المكرم قد بنى فى ذروة بناء متينا، يضاهى بناء السابقين، و انفق فى البناء أموالا و فيرة، و حفر المناهل الكبيرة، و شاد البناء تشييدا بديعا و زخرف سقوفه بالذّهب و أقام فيها أياما.

الإمام ابو الفتح الديلمى و الشّريف الفاضل و مهاجمة صنعاء

أشرنا سابقا إلى اجتماع الامام أبى الفتح بالشريف الفاضل القاسم بن جعفر فى الجوف، و بعد ما لبثا أيّاما يدعوان الناس إلى مؤازرة أهل البيت النّبوى عليهم السلام، و اخلاص النّصرة لهم نهضا إلى شوابة و قد استجاب لهذه الدعوة بعض قبائل المشرق، فتفرقت الكلمة، و لم تتوحّد الغاية، و افترقا من ورور و لما ودّع الإمام أبو الفتح صاحبه الشّريف الفاضل، نهد إلى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۵۴

اثافت، و اعتزم هدم مضعتها ، و لما علم الفاضل بهذا الغرم بعث أخاه ليصدّه عنها، و يردعه فلم يتمكّن الإمام من إنفاذ ما أراده، و واصل السّير إلى كوكبان، و حدثت بين رجال الحصن و رجاله مناوشة، و بينما الحال كذلك إذ بالمكرّم على رأس قوّة هرعت من صنعاء للدّفاع الى كوكبان، فلما أحس به أصحاب الإمام انهزموا هزيمة منكرة، و انحدروا من الجبل و السّهام تعمل فى اقفيتهم، و خلص الإمام بنفسه إلى شوابة، حيث خلف الشّريف الفاضل، ثم إن المكرم عزم من فوره الى ناحية الجراف قاصدا الأشراف، فلم يجد الفاضل دواء يفّل من نشاط المكرّم، و يغسل آثار تلك الهزيمة من قلوب النّاس إلّا سرعة الحركة من محلّهم و التّقدم إلى صنعاء أو إلى القرب منها لما يعلمه من بعد المكرم عنها، فأوعز الفاضل إلى الإمام أبى الفتح بأن يقصد مشرق خولان، يغير بمن معه من تلك البقاع، و أعرب له أنّه سينهد إلى مشرق همدان، و يقوم بما عليه هنالك، فلم يوافق الإمام على هذا و أبى أن يقوم بما أوعز إليه الفاضل فصمّم الفاضل على إنفاذ خطّته و انقضّ إلى ذبيان و واصل السّير إلى رحبه صنعاء، و كثر الرهج و طارت الأنباء إلى المكرم و عمد من بصنعاء إلى إغلاق أبوابها، و انقلب الشريف الفاضل و حقائب أصحابه ببحر من الأموال ممن بيّتهم الجيش على الطّريق و لما بلغ المكرّم نبأ الغارة على صنعاء هرع لا يلوى على شىء مخافة أن تكون صنعاء قد سقطت فى أيدى الأشراف فلما علم ان المغيرين رجعوا عنها، بقى يفكر فى الوسائل التى يجب إتخاذها لتهدية الأحوال، فلم ير إلّا إيتناف الحشد، و تجديد الغرم و الاستعداد لمنازلة الأشراف، و احتلال معقلهم شهارة و قد دهم الشرفى فى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۵۵

لآليه، و ذكر أن المكرم كان عند محاولة الفاضل احتلال صنعاء بتهامة، و قد عرفت مما تقدّم أن المكرم كان بناحية الجراف.

و لنعد إلى تأثر الإمام ابى الفتح، فقد فارق الفاضل عند غزو الرّحبة و قتل قبل حصار شهارة كما يستفاد ذلك من قصيدة للأمير ذى الشرفين قالها بعد انهزام جيوش الصلّيحى عن شهارة و رجوع المكرّم مدحورا و ذلك قوله يخاطب الأصلوح و يعدّد ما اجترتموهم

قتلتم بنى الزهرا عمدا قطعتموابذيبين و المنوى حبال التواصل

بذيبين و المنوى قطعتم فما الذىنرجيه منكم بعد تلك الفعائل

و بالفقع و المخلاف أيضا قتلتمأبا الفتح يهدى رأسه شرّ حامل

الفقع بالفاء و القاف موضع من بلاد خيار وادعة هكذا فى هامش اللآلىء المضيئة، و لكن صاحب البسامة يخالف هذا و يقول انه قتل بنجد الحاج و إليك قوله

و الناصر الديلمى المنتقى سفكتله دماء يوم نجد الحاج ذى الخبر

قال فى انباء الزّمن و دخلت سنة ۴۴۴ فيها سار الإمام ابو الفتح الى عنس فقصده الصّليحى فقتله فى نيّف و سبعين نفرا من أصحابه فى نجد الحاج و دفنوا جميعا فى محل واحد بردمان فى بلد عنس، و قبورهم هنالك مشهورة رحمهم الله، و فى الحدائق الوردية قام عليه السلام فى أرض اليمن بعد وصوله من ناحية الديلم، و كان قيامه فى سنى الثلاثين و أربعمائة،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۵۶

و انتشر ذكره و علا أمره، و ملك صعدة و الظاهر، و اختط ظفار، و هو حصن المنصور بالله، و حارب الصّليحى فى بلاد مذحج و قتل من خولان بمجز مقتلة عظيمة، و له حروب على اثافت من قبل الصّليحى سجال، له و عليه، و لم يزل شجا فى حلوق الباطنية و المعتدين، رافعا لمنار الدين حتى قتله الصليحى فى نيّف و اربعين و اربعمائة و قبر بردمان من بلاد عنس.

و قال الشرفى: ان قيامه فى سنى الثلاثين و أربعمائة إلى أن قال و كان غزير الفهم، وافر العلم، له تصانيف تكشف عن علوّ منزلته منها تفسير القرآن الكريم و هو كتاب جليل القدر، و منها الرّسالة «المبهجة فى الرّد على الضالة المتلجلجة» يعنى بها المطّرفية ، و من شعره عليه السلام :

الا يا لهمدان ابن زيد تعاونوالنصرتنا فالدين سرب مضيّع

و نادوا بكيلا ثم وادعة التىلها المشهد المشهود ساعة تجمعوا

فلا بد من يوم يكون قتامةلوقع القنا و المشرفية أدرع

سينقاد لى من كان بالامس عاصياو يقرب منى النازح المتمنّع

و منها:

أنا النّاصر المنصور و الملك الذىتراه طوال الدّهر لا يتضعضع

سيملأ دنيانا من العدل بعد مامضت حقب بالظلم و الجور تترع

و كان أكثر محاربته للصّليحى فى بلاد مذحج، إلى أن قال: و قد تقدّم فى ذكر غارة الرّحبة، انه اجتمع هو و الفاضل وقت خروج المكرّم إلى نجران، و ذلك قبل حوزة شهارة، و لم يزل شجا فى حلوقهم حتى قتله

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۵۷

الصليحى فى سنة ۴۴۴ أربع و أربعين و اربعمائة، و رغما على ما فى كلام الشعر فى من التّحقيق، و ذكره لغارة الرّحبة التى كانت فى حدود سنة ۴۶۲ اثنتين و ستين و أربعمائة فقد تأثر بغلط غيره، و اندفع الى متابعتهم بقوّة الايحاء و فعل المحاكاة فتأمّل.

حصار شهارة و ما بعده من الأحداث

لما وجّه المكرم عنايته لحصر شهارة، أخذ يزجى الجنود و يسوق الجيوش إليها، و يبذل الأموال الطائلة لرؤساء القبائل الذين كانوا يوالون الاشراف، و لما أكمل عدّته خرج من صنعاء بجنود جمّة و جموع غفيرة، و ضيق على شهارة الحصار، من كل جهاتها و بثّ العساكر حواليها من جميع جهاتها، و من بها معتصمون بمناعة المعقل الطبيعيّة، و لم تكلّفهم أعمال الصليحى إلّا حراسة هيّنة مخافة أن

يتوقل متوقّل أو يغامر مغامر، و طالت أيام الحصار، فلم يثن من عزم المحصورين طول الأمد و لا لانت لهم عريكة، فاعتزم المكرّم العود إلى صنعاء حاضرة ملكه، و عهد إلى طائفة من عسكره بمواصلة الحصر حتى يتحقّق المآل، و فعلا نفّذ هذه الخطة، و آب إلى صنعاء، و ترك ثلّة من الجند فى أرباض شهارة، و استمر الحال على ذلك خمسة أشهر بعد عزم المكرم، و بعدها رأى الأمير ذو الشرفين أن المال سيىء، و أن العاقبة و بيلة، لما رأى من نفاد ما عنده من المأكول و المشروب، فعمد إلى محبرته و كتب وصيّته الأخيرة و آل على نفسه أن يبذلها فى سبيل قتال الظّالمين، ثم شحذ عزم أصحابه و حمسهم و انحدر، و قد وزّع أصحابه طوائف، و صيّح الجند المحاصر و النوم ملابس لجفونهم فأوقع بهم، و أثخن فيهم قتلا و غنيمة، و انقلب الى المعقل بالغنائم الوفيرة و نفائس الأسلاب الطريفة و تناول قلمه و كتب هذه القصيدة:

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۵۸ الا قل لربات الخدور الكواعب‌يقبّلن أيدينا وحدّ القواضب

و ينعمن ما دمنا و دامت شهارةبمنة رب العرش جزل المواهب

و يأمن ترويع الأعادى فإنناابنينا لهن العزّ فوق الكواكب

فقد كنّ شاهدن المكرم إذ أتى‌يقود جيوشا نحونا كالسّحائب

من أقطار أرض الله لا شكل كلهامشارقها و الشام ثم المغارب

فبالنّجد أمسى مرسيا و ابتنى بهمنازل قد حفّت بنصب المضارب

و بثّ لنا الأخبار من كل موضع‌يحيط بنا لا شك من كل جانب

إلى آخرها و هى طويلة.

و بعد هذه الموقعة أنسحب من نجى من عسكر المكرم و استصرخوا بصنعاء فوافاهم المد و بعد ان حلم الأديم فانفضت الجموع بالخيبة و الفشل.

و فى خلال هذه المحاصرة و الشريف الفاضل فى الجوف و بنو الدعام و غيرهم من القبائل قد حالوا بينه و بين نجدة أخيه، و لم يكن له من عمل فى تلك الأيام إلّا تبادل الكتابة، و توثيق الصلات، مع آل نجاح، و قد كان جيّاش بن نجاح، زعيم الأحباش يجرى للشّريف الفاضل ألف دينار شهريّا، راتبا كبيرا لذلك العهد، و قد استطاع الفاضل إيصال بعض هذا المال إلى أخيه أيّام الحصار بحجة إرسال رسول يسعى فى الصلح بين الفريقين المتحاربين و السرّ المكتوم إيصال المال، و قد تأكدّت الصّلات بين زعيم الأحباش و الشريف الفاضل، حتى ضربا موعدا معيّنا للاتفاق و اللقاء فليس الخبر كالعيان، و لكن الأقدار لم تيسّر ذلك فقد عاقت بعض الطّوارىء عن الإجتماع بالذّات، إلّا أن الشّريف الفاضل أعتبر هذه الصّداقة اعتبارا كبيرا، و شكر لجيّاش أياديه، و خاطبه بالملك فى حادثة ربض شهارة و كتب إليه:

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۵۹ تجاوزنا يا رسول عن البلادو حثّ إلى ديار بنى زياد

و اتحف حضرة الملك المرجّى‌بأضعاف التّحية و الرشاد

و أخبره بأنّا قد ابدنابنى الأصلوح بالقضب الحداد

صبحناهم غداة السبت كاساضريرا ذو قهار الصبر باد

فلما ذا ذرّ قرن الشمس ذرّت‌على غنم و قتلى كالجراد

أبدنا من سراتهم رجالابأطراف الظبأ يوم الجلاد

و باقيم يؤول إلى ذهابو باقى ما احتووه إلى نقاد

فهم فى كل يوم فى انتقاصو إنّا كل يوم فى إزدياد

فهذا ما لدينا ابلغنهالى نجل الموئد ذى الايادى

و بح بالشكر منى ان شكرى‌له حق علىّ بكل ناد

بجيّاش شددت العزم حتى‌بلغت من العداة به مرادى

أمدّ بماله و جبى و أعطى‌و أتحف بالطّريف و بالتّلاد

مددت بماله باعى فنالت‌نواصى الظالمين على البعاد

و أشعلت النّيار بكل نجدو داركت المغار لكل واد

و ثرت بها عشوزنة عليهم‌فقد منعتهم طعم الرّقاد

فراموا نصرة لا من صديق‌و جادوا بالعطا لا من جواد

كدابغة الأديم و قد تهرّاو عابرة السبيل بغير راد

و منها:

و لو لا الله و الملك المرجّى‌لذاب لما أقاسيه فؤادى

و نهم الأكرمون و من يليهم‌من اهل محبّتى و ذوى ودادى

و باقى النّاس ليس لهم مرام‌سوى خفض المعيشة و التّماد

و الأبيات كما ترى ناطقة بشكر الزّعيم الحبشى، و لقد أهتزت أريحية

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۶۰

الأمير نجاح حينما أملى الشعر بين يديه، فأمر بجائزة للشّريف الفاضل ألف دينار و كسوة سنيّة و جارية حبشية و زوّدها بقسم غليظ، قائلا: لو كان فى فمه لقمة للفظها لمولاه الشّريف، هكذا أفاد فى سيرة ذى الشرفين بعد هزيمة الصّليحى و كبو زنده فى هذه الحوادث عظم أمر الأشراف فأخذوا يبعثون العصابات إلى البقاع النائية، و سار الشريف الفاضل إلى الملاهى من جازة تهامة فغنم جميع ما فيه من بزّ و حديد و زروع، و حصل لجنده منها غنائم عظيمة و عاد ظافرا منصورا.

استيلاء الشريف الفاضل على صعدة

و دخلت سنة ۴۶۳ فيها نهض الشّريف الفاضل إلى صعدة و احتلّها على إثر الخلاف الواقع بين أهل صعدة و أولاد الإمام الهادى بسبب الخطبة، فقد كان أهل صعدة يريدون ان يخطب خطبهم للمكرّم الصليحى و فعلا رقا منبر الخطابة جعفر بن الحسن الشمرى، و خطب للمكرم الصليحى، بعد قتال غلب فيه أهل صعدة بنى الهادى، ففزعت الأشراف إلى الشّريف الفاضل و أخيه، و ارتاعت من هذا المنكر الذى يوتى جراهية فى مسجد الإمام الهادى عليه السلام فأغاثهم الفاضل، و قطع دابر الفتنة، و كان الفقيه الشمرى قد لاذ بالإستتار، و اختفى فى القرية، فقال الفاضل لمن حضره من أعيان البلاد: و حق جدّى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ان لم تأتونى به قبل الظهر لأضرمنّها بالنار، فلما أتوه به، حمله إلى شهارة و سجنه بها سبع سنين، حتى أفتدى نفسه بثلاثة آلاف دينار.

و فيها أنقضى الشّريفان على شظب، و أوغلا فيها قتلا و اسرا و احرقا مدينة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۶۱

بارى من بلد الجبل، قال الأمير ذو الشرفين: لعسكره هذه قرية كانت ظاهرة الفجور كثيرة الفسق و الفجور، و الواجب علينا ان نطهرها فأمر بإحراقها و خرابها، و تولّى الفاضل خراب دار بنى الصّليحى التى كانت هنالك.

و فيها سار الفاضل إلى بلاد الشرف، فملك حصن نوسان ، و طرد عامل الصّليحى و أقام بنو سان ثمانية أيّام فهرعت إليه قبائل تلك الجهة بالسّمع و الطاعة و عاد إلى مستقرّه.

إحتلال حصن مسور و الاستيلاء على بلاد المغرب

و دخلت سنة ۴۶۴ فيها تم للشّريفين إحتلال حصن مسور، و ذلك بمعاونة السلطان منصور حسين بن المنتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد، و بإحتلال مسور، أذعنت قبائل النّاحية طرّا، و تزوج الأمير ذو الشرفين بإبنة السلطان، فمنحه لقب ذا الفضلين أى فتح سور و تقديم السّيدة المباركة، و تمرّدت بنو شاور ، فلم تذعن، فتقدّم إليها الشّريف الفاضل و السلطان و بعد مقتلة عظيمة سقطت البلاد و استسلمت، و انتشر الجند المغير فى أنحائها و اخذوا ما وجدوا من الأموال، و آب الشريف الفاضل بالفوز و الغنيمة.

و قبض على السلطان بن أبى القبائل بن هاشم، فاحتفظ به حتى أطلعه شهارة، و قبض حصن حقيل، و تمرّدت أيضا بنو عامر و غيرهم من قبائل حجور، و كان زعيمهم إبن مفلح فقتل ابن مفلح و من شايعه و أحرقت منازله و اقبلت قبائل البلاد تقدّم السّمع و الطاعة، و بعد ذلك تم خضوع جبل حفاش ، و كان فيه من قبل المكرم السلطان محمد بن ابراهيم الصليحى فأسر الشريف السلطان الصليحى و جماعة من بنى الصليحى، و أرسل بهم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۶۲

إلى شهارة و استولى على حصن القفل ، و أخذ ما وجد فيه من سلاح و كراع و أثاث و أموال، و هدم الحصن.

و فيها أخذ الامير ذو الشرفين بعد إستقراره بمسور، يجمع الفضّة من الجهات الموالية له من حلى النساء و غيرها، و ضرب السّكة بإسمه فتحصّل منها شىء كثير.

و فيها توترت العلاقات بين الأشراف و ذى الفضلين المنصور بن الحسين، و هم السّلطان ذو الفضلين بالفساد و العصيان، و ليس لذلك باعث سوى أن الشريف الفاضل أخذ الميثاق الغليظ على السلطان لينصرن ذا الشرفين و يوالى من والاه الخ ... ثم بعد الميثاق أراده الإعتراف بأن البلدان المجاورة لمسور لا حق فيها للسّلطان، و انها للأمير حيث و هو الفاتح لها، فغضب السّلطان و انحرف ولاؤه، و قد تكدّر الموقف، إلى أن همّ ذو الشرفين بمغادرة مسور لو لا حكمة الفاضل و ثباته و عرفانه بأن مسور إذا سقط سقطت البلاد كلها، و تمرددت القبائل فصبر كما قال: و فى الحلق شجا و فى العين قذا

و فيها وصل السّلطان محمد بن ورقا من بنى جناح من يناع الى الشريف الفاضل و اخبره بأن لديه يدا على فتح حصن يناع فأمره الشريف بتنفيذ خطّته فعاد إليه و فتحه، و كتب إلى الأمير ذى الشرفين، و كان قد تقدم إلى عرّ شاحذ، فأمده بالشريف ليث الدولة، و عضّدها حميدان بن القاسم، و تم فتح يناع و الحيمة، و ظفروا بغنائم وافرة و تأبّت قبائل حضور، على بنى الصليحى بيازل، و قتلوا منهم كثيرا، و كان ممن قتل السّلطان احمد بن اسعد اللّهابى، فى عدّة من رؤساء حراز، و بعدها تم للأشراف فتح حصن ذروة فى الشّمال

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۶۳

فهدموه، ثم ان القبائل توافدت على ذى الشرفين، و القوا اليه مقاليد البلاد، و فتحوا له حضور و المصانع و حصن بكر و حصن القرانع ، كل هذا و الشريف الفاضل القاسم بن جعفر فى مسور، ثم أنه خرج قاصدا شوابه من أرحب، فوافته الأنباء بأن عسكر الصّليحى يحاصر ثلاء فعاد لإنقاذها، ثم عاد إلى مسور، و وصل اليه اهل زجّران ، و سلموا له حصن ذمرمر، و قتلوا من كان فيه من خدم الصليحى.

محاولة المكرم لإسترجاع يناع

و دخلت سنة ۴۶۶ فيها جهز الصّليحى جيشا إلى الحيمة، لإسترداد يناع، و وصل الجند إلى عرّ ذيب، و فى وادى شمّ تنازل الجند مع أتباع الشّريف و كان الفشل و الخيبة، من حظ بنى الصليحى، و قد كان هذا الحشد من الصليحى حافزا للأمير ذى الشرفين بأن يصعد بنفسه إلى يناع فجمع الشيعة و أصرّ على طلوع يناع، و أخوه الفاضل يعارضه، و لا يوافقه، و أخيرا تقدم و أقام بيناع من رجب سنة ۶۶

إلى محرم سنة ۶۷ و الفاضل بمسور أقام أيّاما، ثم خلف عليه الشريف احمد بن جعفر، و تقدم إلى ثلا، و أغار على صنعاء، و وصلت خيله إلى شعوب و الجراف ، و أغلقت أبواب صنعاء فرقا و خوفا، ثم عاد إلى ثلا، و مراده زحزحة مراكز بنى الصليحى، من حضور المصانع، و بعد مدة أتجه إلى ذمرمر و ساق إليه قوت من الطعام و الزّبيب، ثم ان الأمير شرع يشعر بخطورة موقفه بيناع، و صعوبة مقامه،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۶۴

و حذر أشد الحذر من إحتشاد الصّليحى فأخذ يستغيث بأخيه فبعث إليه بقوت من الطعام و الزبيب، و أصبح ذو الشرفين يكاتب بنى شهاب و يستنصرهم و يستفزّهم، و يبذل لهم الرغائب، و يكاتبهم بالشعر البليغ، و هو غير آمن على نفسه إلّا إذا سلم إليه بنو شهاب رهائن من رجالهم يثق بهم، و يكونون رمز الطاعة و الإخلاص، و عقيب ذلك، وصل المكرم بجنده قاصدا بيت بوس، و قرن عنتر و مناجزة بنى شهاب، فدارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس، أنتهت بهزيمة الصليحى، و عاد فى حافرته إلى صنعاء و اجتمعت القبائل، بجوار صنعاء، و وصلت خيل الأمير ذى الشوفين إلى غيل البرمكى ، و وقع الحصار على صنعاء حتى هلك أكثر النّاس جوعا، من جرّاء عدم إستطاعة خروج أحد، قال مفرح بن أحمد: و صار لا يخرج لهم سرح و لا مال و لا رسول، إلّا قبض و قتل، و جاعوا جوعا شديدا و قال بعض شعرائهم:

و كم من سيّد بطل همامعلى باب المدينة مات جوعا

إضطراب الحبل و انعكاس الأمور

بينما الأشراف مغتبطون بما نالوه من النفوذ، و ما أنزلوه بعدوهم ألألّد من ضروب التنكيل، و افانين المضايقة، إذ بالأمور تدبر و الاجواء تغيم، و الحبل يضطرب، و النفوذ ينكمش، و إذ بمشارق اليمن الخاضعة لهم، قد تنكّرت و لبست جلد النّمر، و ظهرت لهم بمظهر العدوّ، إذا بالمغارب مثل مسور، و حناش، و ملحان، و الحيمة، و غيرها، تنتقض و تهيج، و تصرخ و تثور قال كاتب سيرة ذى الشرفين فى بيان السّبب الباعث لهذه الانقلابات و هذه التصوّرات التى فاجأتهم بها. و لما يستتب لهم الأمر إلّا بضعة أيّام فى عدة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۶۵

نواح و خرج ذو الشرفين من يناع فى الشهر السابع فى حين و افاه و هو المحرم أول شهور سنة ۴۶۷، و كان سبب خروجه و إنتشار الأمور و نزول السّلاطين و المقدّمات من الحصون، فساد العشائر فأمّا فساد عشائر المغرب، فكان سببه من جهة العمال، و استلحاف الأموال و سوء السياسة و الغفلة عما بنينا عليه، و مالت بهم الدّنيا، فيما صاروا إليه قد صرنا فى شعب، و هم فى شعب، و لما كان الأمر كذلك تراسل العشار و تأمروا على الفساد، فى جميع البلاد، قال: و أما فساد عشائر المشرق فاستمالهم بنو الصّليحى بالطّمع و زخرفت لهم الخدع و تمشى على عوامهم و طغامهم بذلك الشريف حسين بن أبى الفتح، و أعانه بنو الصليحى بدفع الأموال: انتهى.

و كان المكرم قد تذرّع لتنفيذ سياسته ضد الأشراف بأنّه أخذ بيد الحسين بن أبى الفتح الدّيلمى، و أعانه و حسن له الخروج إلى قبائل المشرق ليصرف انظارهم عن الأشراف، و قد كان خروجه سببا قويّا فى إضطراب الأمور و ارتباك الأحوال إلى غاية ان الشريف الفاضل، لم يتمكن من إرسال كتاب إلى أخيه الى يناع إلّا فى صحيفة صغيرة، أودعت فى عقص شعر الرّسول الحامل له مخافة أن تمزقه العشائر الثائرة ضدهم، و قد هرع ذو الشرفين من يناع و أمّ سهمان و اتجه الى حاز من همدان و اجتمع بأخيه الفاضل فى ثلا، و فى مبيتهم بثلا، و افاهم من يؤكّد لهم بأن عشائر المغرب كلّها، و فى مقدّمتها بلاد مسور أنتقضت و ثارت، و حسّنوا له معاودة مسور، و الرجوع إليه، و قد كان مزمعا على مطاولة بنى الصّليحى، و شنّ الغارات عليهم فى جهات عمران فبدا له ما أشير عليه من التّعريج على مسور و القضاء على

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۶۶

العشائر الثائرة هو الصّواب، و قد خسر بهذا الرأى، ثقة من بقى على نصرته لأن هواهم كان فى مناجزة الصّليحيين، و مقاومتهم، و ترك العشائر الثائرة، و لما وصل مسور، و أزمع على الخروج منه لتأديب العشائر و استوثق من بنى المنتاب على حفظ حريمه و احترام شيعته و انصاره، و لكنه ما سار إلّا قليلا حتى احاطت بهم العشائر و سدّوا امامهم الطّرق، و لم يخلصوا إلّا بعد معارك سقط فيها عدّة من أصحابه، و أخذوا كثيرا من متاعه أثقاله و كلّما تقدّم الشريف الفاضل تألبت عليه و على من معه القبائل تقتل و تسل و قد دافع و من معه دفاع الأبطال و خسروا خسارة فادحة، من الرّجال و الأموال حتى أنتهوا الى أقر .

و بعد هذه الحوادث المظلمة اتفق رأى الشريف الفاضل، و ذو الشرفين، على إثارة الحروب فى البون و مواصلة الإغارة فى جوانبه، ثم افترقا على غير نتيجة.

ثم ان الأمير ذا الشّرفين هرع من شهارة إلى شظب و نواحيه باستدعاء من الأهالى، و بعد ما استوثق منهم، برهائن، و رغم كل ذلك فقد كانت النهاية تمرد أهالى شظب، و من بجوارهم، و لم تصف منهم المودة، ثم ان الشريف الفاضل و أخاه أتّجها و صعدا ذروة و حصناها تحصينا نافعا، ثم تلاشت الأمور و تخلّى الأشراف من متاعب الرّياسة، و انكمش الكل بشهارة، و ترك المعاقل و الجحافل، إلى أن كان ما سيمر بك الآن و فيه النهاية.

مصرع الشريف الفاضل

و دخلت سنة ۴۶۸ فيها أزمع الشّريف الفاضل على إحياء الأرض و استثمارها، و التخلّى عن الزعامة و آصارها، و عزفت نفسه الحروب و ملابسة الخطوب، لكثرة ما قاسى فى ذلك من نصب و لغوب، فمال إلى الزّراعة،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۶۷

و استغلال الأرض، و كانت أراضى عمران فى نظره أجود من غيرها تربة و هواء، فوجه عنايته نحوها، و نقل أهله و شيعته، إلى عمران، و مدّ يده ألى إحياء أرض بنى نشق بعد أن استنزل رضاء من كان يخاف معارضتهم، و هم نهم، و بنو الدّعام، و حلفوا له على حسن الجوار، و كانت هذه الأرض قد زرعها الدّعام ثم الإمام الناصر، فقسمها الفاضل أثلاثا فجعل لهم ثلثا، و لبنى نشق، و بنى الدعام ثلثا، و جعل له و لصنوه ذى الشرفين ثلثا، و أجعل لشيعته و أصحابه قسطا منه، و اعتزم على أن يرد غيل الخارد على قديمه و يسقى منه هذه البقاع، فجمع بقر خيوان و الجوف مع بقر المزرعة، و شرع يعمل بهمة لا تعرف الملل، و فى خلال ذلك عرف فى وجوه بعض القبائل تنكّرا و اشمئزازا حمله على مصارحة أصحابه، بما يتوقّعه منهم، و مصارحة القبائل أيضا بأنه غير مطمئن على حياته معهم، و أنه متشائم بما يراه من تنكرّهم و حذرهم سؤ العاقبة، و وبال المصير، إن صح ما يقرأه على صفحات وجوههم، و رغما على كل إنذار، فقد باغته بعض رجالهم، و هو يغتسل بالوادى، و أردوه قتيلا، فانطفأ سراج حياته الذى طالما اهتدت به الكتائب، فى مدلهمات الخطوب، و لم تكتف تلك الأيدى الآثمة القادرة بقتل الفاضل فحسب، بل تجاوزته إلى غيره ممن كان يصحبه، و منهم الشريف القاسم بن إبراهيم، و قد عظم الخطب عند ذى الشرفين و أخذ يكتب إلى رؤساء القبائل و يرسل اللّعنات على الغادرين الخائنين، و يحاول النّصرة من الشيعة لئلا يطل دم الشريف الذى قضى حياته متعبا منهوكا فى إبتنى صرح المجد و تشييدهم:

و كل أخ مفارقه أخوهلعمر ابيك الا الفرقدان

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۶۸

الامير بعد هلك الشرفين

كان لمصرع الشّريف الفاضل دوىّ الصاعقة فى جميع البلاد الموالية للأشراف، و أصبح نبأ مقتله حديث السّامر، و عجالة المسافر، و لم تكن لوعة الأسى، و شدة الحزن، عقدة فى لسان الشريف ذى الشرفين مانعة عن تحريك أوتار القلوب، و إثارة خفايا الأفئدة، فما

زال يستثير همم القبائل، و يستفز عواطفهم، حتى أثارها نقمة صاخبة، على منازل الغدر و بالخادعين، بمن اجتمع تحت لوائه من القبائل المتفرقة، فنهض بهم إلى الجوف، و جعل يستقرى منازل المعتدين و مزارعهم، و يوسعها نسفا و تدميرا، و يتأثر الفارين منهم حتى أروى غليله، و شفا غيظه، و انتهى الأمر بنقل جثتى الشّريفين هامدتين، و آلت الأمور إلى دفن الشّريف القاسم بن ابراهيم بعيان، و دفن الشّريف الفاضل بالحصن من بلاد وادعة، و فيه يقول مفرج بن أحمد:

سقى قبرا بأرض بنى عبيدبصحن الحضن رجاس الغمام

و دخلت سنة ۴۶۹ فيها تواردت الأنباء بأن رجل من الاباضية ببلاد الشرف يقال له ابن عبد المجيد الأباخى أدّعى الإمامة و التف حوله أهل الشرف، فعظم موقع هذا النبأ عند الأمير ذى الشرفين، فجمع الجموع، و نهض إلى بلاد الشرف لقتال الأباضى، فدارت بينه و بين أتباع ابن عبد المجيد معركة بجبل المحطور ، كان النصر فيها لذى الشرفين و أصحابه، و قتل كثير من أتباع مدعى الإمامة، و قضى على تلك البذرة، و بعد حادثة الشرف قوى الأمل عند الأمير و أعاد الكرة، فانتقل إلى الجوف، و سار إلى نهم، و استمال بنى الدّعام، و توثق منهم بالأيمان الغليظة و الأقسام الباهضة،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۶۹

ثم حدثت بينه و بين قبائل عذر معركة طاحت فيها كثير من الرؤوس من الفريقين و فيها توتّرت العلاقات بين الأمير ذى الشرفين و أخيه سنان الدولة احمد بن جعفر، فسار الأمير سنان الدولة إلى نواحى صعدة، و بعد أخذ و ردّ تحسنت الأمور، و عادت المياه إلى مجاريها، و لم يلبث الامير أن باغته الحمام سنة ۴۷۸.

و ما زال حتى أزهق الموت نفسهشجا لعدو أو لجا لضعيف

و اجتمعت الشّيعة بعد دفنه و بايعت ولده الأمير جعفر بن محمد بن جعفر و هو آخر قائم من أولاد الإمام القاسم بن على العيانى، فانه ضعف سلطانهم لخلاف دبّ فيما بينهم.

و قد كان الأمير ذو الشرفين، قبيل موته قد تلوّن له الدّهر و قست عليه الأيّام، و لبست له جلد النّمر، و لما لم يجد لقوس الرّجاء منزعا، جنح إلى مكاتبة المكرّم فى الموافقة على الهدنة، و أن يترك المكرّم له بعض البلاد اليمنية فى الجهة الشّمالية، فحالت الأقدار دون وصول ذلك الكتاب الى الصليحى بإمساك حامله له، حتى عصفت رياح المنيّة بسوح الأمير، و دعاه إلى داره الملك القدير، فاستراح من جفوة الأيام و معاشرة اللئام:

لين الثرى للجسوم خيرمن صحبة العالم الجفاة

عودة الأمير الحبشى سعيد الأحول إلى زبيد

و دخلت سنة ۴۷۹ فيها عاد الامير سعيد الأحول إلى زبيد، و أخرج عامل المكرم سعيد بن شهاب منها بصورة جميلة مكافأة له على حسن صنيعه مع الأحباش و من يمت إليهم بسبب قال فى أنباء الزمن (و فيها استقرت ولاية زريع بن العباس بن مكرم الهمدانى فى عدن و توارثها أولاده من بعده)

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۷۰

و كان السّبب فى تملك آل زريع لعدن و ما صاقبها من البلاد ان على بن محمد الصّليحى، كان قد أقر بنى معن (و هم قوم من الأصابح) على عدن و ألزمهم برفع خراجها إلى زوجة المكرم السّيدة بنت أحمد و كان قد أصدقها عدن لمّا زوّجها المكرم فلما قتل على بن محمد، تغلب بنو معن على ما تحت أيديهم، فقصدهم المكرّم و أخرجهم منها، و ولّاها العباس و مسعود ابنى المكرم الهمدانى، و كانت لهما سابقة محمودة و بلاء حسن مع المكرم لما دخل زبيد لإنقاذ أمه من أسر الأحباش، فجعل للعباس حصن التّعكر بعدن و باب البر و ما يدخل منه و للمسعود حصن الخضراء و باب البحر، و ما يدخل منه إلى عدن و اليه أمر المدينة أيضا، و

استخلفهما للسّيدة فحافظا على العهد، و كانا يحملان الى السيدة مائة ألف دينار فى كل سنة و قد تنقص إلى أن مات العبّاس بن المكرم فخلفه ولده زريع بن العباس، و بقيا على ذلك الى أن قتلا فى باب زبيد مع عامل السّيدة المفضل بن ابى البركات كما سيأتى.

و دخلت سنة ۴۸۰ فيها انتقل المكرم الصليحى الى ذى جبله بعد وفاة والدته أسماء بنت شهاب و فوض أمر الملك إلى زوجته الحرة السيدة بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصّليحى و استخلف على صنعاء عمران بن الفضل الهمدانى و اختط بذى جبلة دار العز.

قتل سعيد الأحول و فرار جياش الى الهند

و دخلت سنة ۴۸۱ فيها دبرت الحرة السّيدة على قتل سعيد الأحول فكتبت الى الحسين بن التبعى صاحب حصن الشعر بأن يستدعى الأمير الحبشى من زبيد، و يقول له: أن المكرم قد أصابه الفالج و عكف على

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۷۱

اللّذات و صار أمره فى يد إمرأة، و أنت أكبر ملوك اليمن و أحب الينا من بنى الصّليحى فان رأيت أن تنهض إلى ذى جبلة من تهامة، و نحن من الجبال فافعل، فطمع الحبشى بهذه الأمانى المعسولة، و نهد من زبيد فى ثلاثين ألفا من العبيد، و كانت السّيدة قد أحكمت التدبير، و كتبت لأسعد بن شهاب و عمران بن الفضل أن يهرعا الى زبيد فنزلا فى ثلاثة آلاف فارس فدخلاها بعد خروج سعيد الأحول منها و هرب من بها من بنى نجاح فلحق جيّاش بن نجاح بالهند، و كان من خبره ما سيأتى.

و سار سعيد الأحول نحو الحسين بن التّبعى فلما قارب حصن الشعر انقض عليه الجيشان أصحاب بن التّبعى و من ألحق به من جنود السيدة:

و ما هى إلّا دعوة و اجابةان التحمت و الحرب بكر و تغلب

فأبصرت ما لم تبصرا من مشاهدو لا شهدت يوما معدّ و يعرب

فقتل الأحول و أصحابه، و لم ينج منهم إلّا الشريد، و كانت أم المعارك زوجة سعيد الأحول معه بهذه الحرب فاحتزوا رأس زوجها و حملوه أمام هودجها كما فعل زوجها برأس على بن محمد الصليحى مع زوجته أسماء بنت شهاب.

و لما وصلوا بالرأس و تلك المرأة البائسة إلى الحرة السيدة فرحت بذلك، و أوغلت فى الانتقام و لجّت فى التشفى و أمرت بنصب الرأس تحت طاقة أم المعارك و تمنّت لو أن مولاتها أسماء بنت شهاب حيّة لترى هذه الفعلة النكراء، و لأن كان ذلك العبد قد رأى الخرق مغنما و التجاوز مغرما حيث بدا بفعلته الشنعاء فإنّ الحرة اسماء لم تحسن بما فعلته صنعا، و التشفى طرف من العجز، و هو خلق [فى] المرأة طبعا، و قديما كانت المرأة السّبب

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۷۲

الأول لإثارة الحروب العاصفة و الغارات الجارفة، أيام العرب بما تثير فى النفوس من أحقاد تنوسيت، و لكن المرأة لا تنسى و هل المرأة إلا المرأة منذ وجد الانسان إلى أن تقوم الساعة:

فلا تحسبن هندا لها الغدر وحدهاسجيّة نفس كل غانية هند

و لما قتل سعيد الأحول ولّى المكرم أسعد بن شهاب على زبيد فسلك طريقته المعروفة من الرّفق و حسن المعاملة، و هرب جياش بن نجاح إلى الهند، و رافقه وزيره خلف بن أبى طاهر الأموى، فلبثا فى الهند تسعة أشهر تزوج جياش فى أثنائها بجارية هندية، ثم رجعا الى اليمن آخر سنة ۴۸۱ و الجارية الهندية فى خمسة أشهر من حملها، و لما وصلا إلى عدن قدّم جياش وزيره الأموى الى زبيد، و أمره أن يظهر فى الناس موت جيّاش بأرض الهند، و يستأمن لنفسه، و يستقرى أخبار موالى آل نجاح، و أقاربهم و من تربطه بالدّولة النجاحية رابطة حب و ولاء، و سار الأمير جيّاش إلى ذى جبلة متنكّرا فى زى الهنود يتنسّم أخبار المكرم، و بعد ان وقف على ما يهمّه الوقوف عليه من أمر عدوّه، هرع إلى زبيد و دخلها متنكرّا أيضا، فاجتمع بوزيره الأموى و أخبره عن مواليه، و ذى قرابته بما سّربه، و

فتح له باب فى استرجاع مجدهم الذّاهب، و لم يزل يدأب هو و وزيره حتى جمعا من الأحباش خمسة الآلاف حربة، و كان يأوى بجوار الدّار السلطانية و يقصد مصطبة على بن القم فى كل صباح قال: فسمعته يوما و هو يقول: و الله لوجدت كلبا من آل نجاح لملكته زبيد و كان ابن القم وزيرا لوالى المكرم الأمير أسعد المذكور، ثم انه اتصل بعلى بن القم، و ولده الحسين بن القم الشاعر المشهور و هو على حال تنكره، و كان اتّصاله بهما بواسطة لعب

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۷۳

الشطرنج قال فلما أراد الله تعالى رجوع الأمر إلىّ لعبت أنا و حسين بن القم و ليس معنا إلا أبوه على سريره، و هو يعلّم ولده، فتراخيت له حتى غلبنى قصدا للتّقرب إلى قلب والده فطاش الحسين بن على من الفرح و سفه علىّ بلسانه فاحتملته لأبيه، فمد يده إلى الخرقة التى كانت على عينى:- (و كان قد جعل هذه الخرقة على عينه لئلّا يعرف و تشبه بأهل الهند)- فاحفظنى ذلك، فقام أبوه فقبّح عليه فعله، و قمت مغتاظا، فعثرت فقلت أنا جيّاش بن نجاح على جارى عادتى، و لم يسمعنى إلّا الشيخ على بن القم فوثب مسرعا خلفى يجرّ رداءه، حتى أدركنى فأمسكنى و أخرج المصحف، و حلف لى بما طابت به نفسى، و حلفت له، و ليس معنا أحد، ثم أمر باخلاء دار الأغر بن الصليحى، و فرشت و نقلت إليها الجارية الهندية، فلما كان الليل اتانى على بن القم و قال: خبرنا لا يخفى على أسعد بن شهاب، فقلت له أن معى بالمدينة خمسة آلاف حربة (و فى تلك اللّيلة وضعت الجارية الهندية الفاتك بن جياش) و كان قد رأى الحسين بن سلامة و أخبره أن أمره سيعود إليه ليلة ولادة الجارية) فقال قد ملكت فاكشف امرك قال جياش: انى أكره قتل اسعد بن شهاب لأنه طالما قدر على أهلينا و ذرارينا، فعفا عنهم و أحسن إليهم، فقال ابن القم: فافعل ما تراه، فأمر بضرب الطّبول و الأبواق و ثار معه كافة المدينة و خمسة آلاف من الحبشة و اسر ابن شهاب، فلما حضر اليه أكرمه جيّاش و أولاه خيرا و سيره بجميع ما يملك من خيل و مال، و عاد ملك آل نجاح كما كان قال الديبع فى كتابه بغية المستفيد : و كان جياش يلقب بالملك العادل و يكنى بأبى طامى و كان فاضلا و له شعر رائق و ترسل فائق، و هو مصنف كتاب «المفيد فى أخبار مدينة زبيد» و هو كتاب متسع الإفادة عزيز الوجود و من شعره:

اذا كان حلم المرء عون عدوّهعليه فإن الجهل أبقى و أروح

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۷۴ و فى العفو ضعف و العقوبة قوةإذا كنت تعفو عن كفور و تصفح

بهذه الفكرة الشاذة و النفسيّة المزدوجة قضى على وزيره أبى طاهر الأموى المروانى و كان من أفراد الدّهر نبلا و فضلا، و هو الذى صحبه إلى الهند و كان له الأثر الصّالح فى إعادة الملك إليه فعاهده إن عاد الأمر إليه ليقاسمنّه الملك و قد وفّى له الحبشى و استوزره و سمّاه قسيم الملك و لما أراد أن يتزوّج إمرأة من الفرسانيين أهل موزع، تمنع بعض أهلها فأرسل وزيره هذا لاستدراجهم و استمالتهم، و بناء على ماله من مكانة فى النفوس استشاره أولياء المرأة فأشار عليهم بالامتناع لأنّهم يرجعون فى النسب إلى تغلب، و الحبشى غير كفوء للعربى لا هكذا أشار عليهم الوزير فاستدرجهم الحبشى بالمال حتى رضوا و لما سألهم عن سبب امتناعهم ذكروا له ما اشار به الوزير، فلم يتورّع الأمير الحبشى عن قتل وزيره ظلما و عدوانا.

و كأنه قد و خزه الضمير و أنّبه الوجدان، و أهاب العدل و سمع صوت الحقّ يلومه و يقبح فعله لاذ بنزعات الطغاة و شذوذ العتاة، فاستروح لكلمة الطاغية بن الزيات المأثورة إذا قال له المعذّب أرحمنى قال: (الرحمة خور فى الطبيعة) فرقص على ذلك الإيقاع و نظم الأبيات المتقدمة، قال الخزرجى و قد قتله يقول ابن القم :

أخطأت يا جياش فى قتل الحسنفقأت و الله به عين الزمن

و لم يكن منطويا على دخنمبرا من الفسوق و الدّرن

كان جزاه حين ولاك اليمنقتلكه و دفنه بلا كفن

قال و لما قتل جياش الحسن استعظم الناس ذلك من جياش، لأنه كان موصوفا بالعدل و الحلم معظما للعلماء مبجّلا لهم سيما الحسن

بن أبى عقامة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۷۵

الذى قتله لعلمه و فضله و لأنه كان أحد الأسباب لجياش فى أخذ الملك بتهامة .

وفاة المكرم و قيام الداعى سبأ بن أحمد الصليحى

و دخلت سنة ۴۸۴ فيها مات المكرّم احمد بن على بن محمد الصليحى بذى جبلة و أسند وصيته فى الدعوة إلى الأمير الكبير الداعى سبأ بن أحمد الصليحى و فى الملك إلى زوجته الحرة السيدة. و قال الجندى ان المكرم تحرك من ذى جبلة إلى صنعاء فتوفى فى بيت بوس فى السنة المذكورة.

و كان مقرّ الدّاعى سبأ بن احمد بحصن أشيح بمخلاف بلاد الهان (بلاد آنس) و هو حصن منيع يماثل حصن مسار فى الارتفاع و المنعة، و كانت بلاد الجبال خاضعة لبنى الصليحى، و زبيد و التهايم لجياش بن نجاح، و قد مرّت على البلاد برهة بعد تغلّب جياش على زبيد، شبه سكون لعجز المكرّم عن مقاومة الأحباش، فلما تولى سبأ بن احمد آثارها داحسية غبرا على زبيد و شنّ الغارات على التهائم، و من أشهر الوقائع، وقعة الكظائم على باب زبيد، و كان كل واحد من الفريقين قد تحفّز لمحو الفريق الآخر، و أعد لذلك عدّته فحشد الدّاعى سبأ عشرة آلاف راجل و ثلاثة آلاف فارس و جمع جيّاش جموعه و استنجد بالشّريف يحيى بن حمزة بن وهاس، و اتفق رأى امراء زبيد على مكاتبة سبأ و الميل إليه فكاتبوه و خادعوه، و لما اقترب بجنوده من المدينة، و دارت رحا الحرب ثار الشريف يحيى بن حمزة، و كان قد كمن متربّعا سنوح الفرصة، فلما لاحت له حمل على القاضى عمران بن الفضل،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۷۶

و طعنه طعنة نجلاء لا تسدّها عصائب الخمر و لا ثمر الرأ، و قتل يومئذ الأمير قيس بن أحمد بن المظفر و انهزم أصحاب الأمير سبأ و عقر فرسه فسار فى غمار المنهزمين على أقدامه، حتى أركبه بعض أصحابه على جواده، و كان الدّاعى سبأ قد وثق بمكاتبة أمراء جياش فلم يتحوط الاحتياط اللّازم فكانت الدائرة عليه.

و بعد أيام عزم أولاد القاضى عمران إلى تهامة للأخذ بثأر ابيهما من قاتله الشريف فقتلاه غيلة و رجعا .

لم تكن وقعة الكظائم فاصلة بل كانت مثيرة و حافزة للفريقين على مواصلة الكفاح و شن الغارات فكانت الحبشة إذا جاء الشتاء تخرج من البلاد إلى جزيرة دهلك فتخلفها العرب و تستمر العرب فى تهامة و زبيد إلى فصل الصّيف إذ فيه تعود حكومة الأحباش سيرتها الأولى، و هكذا دواليك، و كانت الحكومة الصليحية تقبض خراج تهامة و تسقط عن الرّعية ما سلّمته لبنى نجاح ايام الصّيف و الخريف فإذا جاء دور آل نجاح، احتسبوا للرّعية ما دفعوه للحكومة الصليحية على هذا الحال استمرت الحالة برهة من الزمان.

زواج الداعى سبأ بن أحمد بالحرة السيدة

لما أكملت الحرة السيدة أيّام العدّة، خطبها الدّاعى سبأ فكرهت ذلك، و امتنعت فغضب سبأ و جمع جموعه، و قصد حرب السيدة إلى ذى جبلة فجمعت هى أيضا الجنود، و التقى الجمعان فاقتتلا أيّاما و ثبت الفريقان يخطّان بدم القتلى صحيفة سوداء من أعجب ما سجّله طغيان القوة فى صحائف التاريخ، و لما تكافأت القوى توسّط أخو [السيدة] لأمها

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۷۷

سليمان بن عامر الزّواحى، و أشار على الدّاعى سبأ بمراجعة إمامه المستنصر العبيدى، فانصاع الداعى الى مقترح الزّواحى، و رجع بجنوده المسخرة الى مقره بحصن أشيح و بادر بإرسال رسولين، و معهما هدية نفيسة و زوّدهما بكتاب إلى المستنصر فما كان بأسرع من عود رسولى الدّاعى و معهما جواب المستنصر و رجل آخر موفد من قبل الخليفة، يحتّم على السّيدة قبول الدّاعى سبأ زوجا لها، و

لمّا مثل رسول الخليفة بين السيدة، و عندها وزراء دولتها و رجالها أبلغها سلام أمير المؤمنين، و ما منحها من الألقاب و أفاض عليها من النّعوت، و بعد ذلك قرأ عليها قرار مولاه، و نصّه : و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرا ان تكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعصى الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبينا و قد زوّجك أمير المؤمنين الأوحد الدّاعى المنصور المظفر، عمدة الخلافة، أمير الأمراء أبى احمد سبأ بن احمد بن المظفر على ما حضر من المال، و هو مائة ألف دينار و خمسون ألفا اصنافا ، و على كره قبلت فهرع الدّاعى سبأ إليها فى جموع كثيرة، و أقام بذى جبلة شهرا و الحرة السيدة تنفق عليه و على أصحابه النّفقات الواسعة و رأى من علو همتها ما حمله على النّدم على خطبتها، ثم أرسل إليها سرّا ان تأذن له بالدخول إلى دارها ليتوهم الناس أنه قد خلا بها، فأذنت له بالدّخول الى بعض مقاصير الدّار، و بعثت إليه جارية تشابهها، و عرف الأمير سبأ حيلتها فقعد لا يرفع طرفه إلى الجارية و هى قائمة على رأسه، فلما أصبح رفع مخيمه و رجع إلى حصنه و دخلت سنة ۴۸۵ و فيها مات زريع بن العباس

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۷۸

الهمدانى صاحب عدن و ولى بعده أمر عدن ولده سبأ.

طائفة الغز الواصلة لإنجاد جياش بن نجاح

و دخلت سنة ۴۸۶ فيها استدعى جياش طائفة من الغز لمحاربة الدّاعى سبأ بن أحمد، فخرج منهم ثلاثة آلاف فلما فارقوا مكة، و توجّهوا نحو زبيد ندم الأمير جياش و خاف منهم ان يستولوا على البلاد، و أمر عماله فى الطرقات ان يضعوا لهم السّم فى الطّعام و الشّراب فهلك أكثرهم، و لم يخلص إلى زبيد منهم إلّا دون الألف، فلم يطمئن فؤاد ذلك الأمير، و ظلّ شبح الخوف منهم سمير أحلامه، و هواجس أمانيه رغما على قلّتهم و أبت نوازع نفسه إلّا جعل تلك الأرواح ضحايا طغيانها فجهّز منهم خمسمائة فارس إلى الجبال، و لما وصلوا الى البون دس عليهم من قتلهم بالسم و بعد ذلك عاد على بقيتهم فأقطعهم وادى ذؤال بعد ان فرق كلمتهم و افعم صدورهم حقدا على بعضهم بعضا، و تركهم عبيدا مسخرين لإرادته.

ان الشجاع هو الجبال عن الأذىو أرى الجرى على الشرور حيانا

و دخلت سنة ۴۹۱ فيها مات الأمير سبأ بن زريع، و ولى الأمر بعده فى عدن و أعمالها أخوه أبو السعود .

وفاة الداعى سبأ بن احمد الصليحى

و دخلت سنة ۴۹۲ فيها مات الأمير الكبير الدّاعى سبأ بن احمد

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۷۹

الصليحى، و كان شجاعا كريما فصيحا أنوفا ذا شمم و عفة و نزاهة و اباء قال الجندى: كان من أكرم العرب و أعفهم و أشرفهم نفسا، ما وطىء أمة و لا شرب مسكرا: و كان ممدوحا يقصده الشعراء و يمدحونه فيثيبهم، و ربما مدحهم بشىء من الشعر مع الإنالة، و إلى ذلك أشار ابن القم بقوله :

و لما مدحت الهزيرى ابن احمداجاز و كافأنى على المدح بالمدح

فعوضنى شعرا بشعرى و زادنىنوالا فهذا رأس مالى و ذا ربحى

شققت إليه الناس حتى رأيتهفكنت كمن شق الظلام الى الصبح

[فقبح دهر ليس فيه ابن احمدو نزه دهر كان فيه من القبح]

قال عمارة : لما قام ابن القم بين يدى سبأ ينشده هذه القصيدة التى منها هذه الأبيات منعه من القيام، و رمى له بمخدة و أمره بالقعود عليها إكراما و رفعا عن الحاضرين، ثم لمّا فرغ من الإنشاء قاله: با [أبا] عبد الله انت عندنا كما قال المتنبى:

و فؤادى من الملوك و ان كان لسانى يرى من الشعراء

فانظر أيها الناظر فى كتابى، فى فعل هذا القيل و حسنه، و ما لاطف به هذا الشّاعر و أحسن إليه مقالا و فعالا، و كان الأمير سبأ بن احمد دميم الخلق، قصيرا لا يكاد يظهر من السرج ان ركب.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۸۰

السيدة بنت احمد بعد وفاة الداعى سبأ

لما مات الداعى سبأ بن احمد أقامت السّيدة للذّب عن مملكتها و القيام بأمر دولتها المفضل بن أبى البركات بن الوليد الحميرى، و كان عاملا- على التعكر، و ما إليه، و جعلت مكانه أخاه خالد بن أبى البركات، و بعد مضى سنتين على خالد المذكور فى ولاية التعكر، قتله الفقيه عبد الله ابن المصوع غيلة، و كان خالد بن أبى البركات يجلّ الفقيه المذكور و يحترمه، لعلمه و ديانته فسهل له الحجاب، بحيث لا يمنع عن الدّخول إليه فى أى وقت أراد، فدخل عليه فى بعض غفلاته، و قتله استحلالا لدمه، لكونه على مذهب الاسماعيلية، و كان قد استصحب كميّة من المال ليستغوى به الجند المرتّب بذلك المعقل، و لم يستشر غير نفسه، فلما قتل خالدا المذكور صاح الفقيه و ارتبك فتبادر إليه أهل الحصن و الحقوه بمن قتل:

فأضحى كظهر الفحل جبّ سنامه يدبّ إلى الأعداء احدب باركا

ثم انه طلع المفضل واليا على التعكر بدلا عن أخيه، و أظهر عداوة الفقهاء، و قبض على أموال الفقيه و أراضى قومه قال الجندى: و هى الأملاك القديمة التى فى ذى السفال، و صار المفضل رجل البيت، و مدير الملك و الذّاب عنه، و غزا عدن لاخضاع المتغلّبين على السيدة عن تسليم الخراج من بنى زريع، و انجد منصور بن فاتك لما استنجد بالسيدة كما سيأتى، و سار الى زبيد فغنم الفقهاء بعده عن الحصن و وثبوا عليه، فطلع من زبيد و شدّد عليهم الحصار، و لما تيقّنوا الضّعف و أحسوا بالهزيمة و الاستسلام عمدوا إلى نسائه و جواريه، فأخرجوهن إلى موضع مشرف من الحصن على محطته، و أمروهن بضرب الدّفوف و رفع أصواتهن بالغناء ، و عليهم ثياب الزّينة فلما

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۸۱

نظر إليهن المفضل مات لوقته غيرة و أسفا سنة ۵۰۴، و من مبرّات المفضل بن أبى البركات جرّه الغيل من خنوة الى مدينة الجند و نحته لذلك الجبال و الصخور، و بذله كل مستطاع لتعبيد طرقه فى بطون الأودية، و مخارم الجبال و تجديد عمارة الجند.

و من لطيف ما يروى عنه أنه لما كان بمحل امارته حصن التعكر كانت السيدة تنتقل من ذى جبلة إلى التعكر ايّام الصيف فإذا جاء الشتاء نزلت ذى جبلة، و كانت ذخائرها و ذخائر بنى الصّليحى و ما يعزّ عليهم من الأموال و التحف موضوعة به، فذكروا أن المفضل قال لها يوما: يا مولاتنا انظرى ما كان لك فى هذا الحصن فانقليه فإنّى لا أحب أن يكون لأحد علّ فيه طاعة، فقالت: لا بأس عليك انت رجل البيت، و لا تكلفك ما يسؤك، و لما نزلت من الحصن لم تعد إليه حتى ماتت، و لكنها تغيّرت عما كانت عليه من الاعتماد عليه فى مهماتها و تنكرت له بعض التنكر، و لما مات المفضل على الضفة المذكورة، انتقلت السيدة إلى الربادى ، و كاتبت الفقهاء بالنزول من الحصن على ان يشترطوا عليها ما شاءوا، فأجابوا إلى ذلك، و نزلوا بعد أن اشترطوا عليها شروطا وفت لهم بها، و جعلت فيه مولاها فتح بن مفتاح.

ذكر المتغلبين على صنعاء بعد بنى الصليحى

لما تحول المكرم عن صنعاء إلى ذى جبلة استعمل على صنعاء القاضى عمران بن الفضل برهة، ثم ولّاها حاتم بن الغشم بن المغلس، و لما عزل القاضى عمران قال مخاطبا المكرم و الأمير سبأ بن أحمد:

و لا تحرجا بالعزل أكباد معشرإذا غضبوا غلّ القنا و تكسرا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۸۲ فلو أن مولانا معدا أتاكمابعزل تولى الكل منا و أدبرا

و لا تفرقا من لغة والداكماو عودا الى عقليكما و تدبرا

فإن انتما انكرتما ما نظمتهفصدقى غدا من طلعة الشمس أشهر

فلما مات الداعى سبأ خرجت صنعاء و أعمالها عن مملكة الصليحيين، و استولى عليها السلطان الأجل حاتم بن الغشم المغلسى سنة ۴۹۲، و كان ناهضا كافيا معدودا من كملة الرّجال، و كان له من الولد ثلاثة، و هم محمد و عبد الله و معن، فقام ولده محمد بكثير من أعمال أبيه فى حياته، و كانت له حظرات جنونية منها، أنه سمع يوما ضرب الطبول و أصوات المزامير فاهتز لذلك، و أخذته الأريحية فلبس لامة حربة، و ركب جواده، و أمر همدان بالرّكوب ثم خرج بهم يريد نجران، فقالوا: أن بيننا و بين نجران مسافة بعيدة، و ليس معنا عدّة و لا زاد و لا رواحل، فقال: لا بد من ذلك، فقالوا: دعنا نعود إلى صنعاء نتجهز و نعود إليك، فقال: صبوا دروعكم هاهنا، ففعلوا فسمّى ذلك الموضع مصبّ الدّروع من ذلك اليوم، ثم رجعوا إلى صنعاء و خرجوا فسار بهم إلى نجران فاستباحها و عاد إلى صنعاء.

و منها انه كان إذا تزوّج امرأة و أحبّها قتلها، فتحاماه النّاس و امتنعوا عن تزويجه، ثم انه خطب إمرأة من بنى الصّليحى أهل قيضان ، فلم يزوجوه إلّا بعد ضمان والده و كفالته مع جمع من رؤساء العرب، و أخبره والده انه مقتول بها ان قتلها، فقبل الولد ذلك، و أقامت عنده ما شاء الله، ثم قتلها، و فرّ إلى حصن براش خوفا من أبيه، فلم يزل أبوه يخادعه حتى نزل إليه فقتله، و احتز رأسه و حمله على رمح و دخل به صنعاء، و لما فوجئت ابنة المقتول برأس ابيها جنت و حزن عليه أبوه و رثاه بأبيات منها:

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۸۳ و قلت له هذا قصاص بما جنتيداك و كان اللّه روحك راحما

و كنت اذا جشمته لملمتهرأيت فتى للمعضل الخطب حاسما

و ان حضر اليوم العبوس رأيتهاذا طاشت الأحلام أروع باسما

و دخلت سنة ۴۹۳ و ما بعدها إلى سنة ۴۹۸ فيها مات جياش بن نجاح، و ولى الأمر بعد ولده فاتك بن جياش، و هو ابن الجارية الهندية، فخرج عليه أخوه ابراهيم و عبد الواحد ، و كانت بينهم عدة وقائع، انتهت بظفر فاتك بأخيه عبد الواحد، فأكرمه و صفح عنه و بالغ فى برّه، و أما ابراهيم فنزل بأسعد بن وائل الوحاظى الكلاعى الحميرى، فأكرمه بما لم يسبق إليه أحد، و قال فى انباء الزّمن انه لما ظفر بعبد الواحد سجنه فى زبيد

الحرب بين الخطاب ابن أبى الحفاظ الحجورى و أخيه

و دخلت سنة ۵۰۰ فيها كان الحرب بين الخطاب بن الحسن و أخيه سليمان بن الحسن بن أبى الحفاظ بن حجور بن قدم بن جشيم الهمدانى، فاستنصر سليمان بصاحب زبيد فاتك بن نجاح و بالشريف صاحب المخلاف السليمانى، و استنصر الخطاب ببنى الصليحى، و فى النهاية تمكّن الخطاب من أخيه سليمان فقتله، و كان الخطاب هذا قد قتل أخالد إسمه احمد بن الحسن، قصاصا كما زعم بأخت له قتلها احمد بن الحسن ففر سليمان عن البلاد، و انتشرت كلمتهم، و تمزّقت جامعتهم و استمر سليمان يجوس خلال الديار الخاضعة لحكم أخيه بمن معه من ألفاف القبائل، و يستنصر بصاحب زبيدة تارة و بالأشراف أخرى، حتى أدّى ذلك إلى خراب البلاد، و هلاك

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۸۴

العباد فى سبيل المصالح الخصوصيّة، و على حساب الأطماع الملتهبة، و النفوس المتعطّشة إلى السّلب و النهب، و كان مستقر ملك هذه الأسرة الجريب من ناحية بنى جلّ و دير ابن عنجر و يعرف الآن بسوق المحرّق و قلحاح، قال الشرقى فى لآليه: و فى قلحاح مآثر

عظيمة و عمارة كثيرة قلّ ما يوجد مثلها، و لا أدرى هل هى من مآثرهم أولا لأنهم لم يذكروه فى أشعارهم مع كثرة ذكرهم لغيره من سائر القرى و القبائل، الذين فى تلك الجهة و قد ذكر فى اللآلىء عدة قصائد للخطاب و أخيه سليمان . و فيها مثال ناطق و صورة كاملة لما لحق البلاد و أهلها من الخراب و الدمار و البؤس و الإقتار، بسبب الأخوين المذكورين، فمن ذلك هذه القصيدة لسليمان يمدح الجريب و يذم اخاه الخطاب أولها:

إذا الله عمّ الأرض منه برحمةفروى منها محلها و خصيبها

فلا تخطئن أرض المحافر سهلهاو أوعارها قبل البلاد نصيبها

بلاد تساوى بردها و حرورهافسيان كانون بها و أبيبها

غزيرة أنهار تفيض مياههاو غير حرور حيث كان قليبها

و اعذب ارض الله اما لشاربو خصّ بها طيبا و برد اجريبها

اذا كانت العذراء للشمس منزلاو قابل أيام الخريف صريبها

رأيت بها الأعناب و الخوخ دائمامع التين و التفاح يرضيك طيبها

و منها:

و فيها من الفتيان كل سيمذع‌تعاف الدّنايا نفسه و تعيبها

تعاف

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۸۵ تذكرتها ذكر البغى شبابهاو قد حال عما تبتغبه مشيبها

و منها فى ذكر ما كان بينه و بين أخيه:

و أغراه أقوام إلى أن أصابنى‌على الأمن فالله الغداة حسيبها

سعت بيننا منهم عقارب اجنةو بغضاء لا يألوا سريعا دبيبها

و الفوا صبيا لا درايةَ عنده‌بضغن و أحقاد طوتها قلوبها

و لا بأمور بيننا و غبائن‌تزرّ عليها منذ كانت جيوبها

و لو أننى حاذرت منه الذى اتى‌تباعد عنه عند ذاك قريبها

و لكننى قلت الأخ الجامع الذى‌عناصره لا يخلف الدهر طيبها

و أدّبته حتى غدا بين قومه‌يشير إليه الكل هذا أديبها

و لم اعتقد فيه الذى كان ينطوى‌عليه له نفس خبيث عيوبها

و إن كنت لم أترك له نفع درهمو لا غلّة من زرع ارض يصيبها

و لا ساكن ما بين حمّى كنانةإلى السرو إلّا وحش ضبع و ذيبها

و فى أسفل «المرباح» شاما و مصعداإلى «العرق» قفرا دورها و دروبها

شننت عليها غارة بعد غارةالى ان ملته شرقا و غربا نهوبها

و اذرعت فى سكانها القتلى كى‌يروا بأنى احميها و أنى أريبها

و ابدى لهم تقصيره عن حمائهمو منعى عنها و هى تدمى ندوبها

فلما رأيت السيف رجالهاشجانى قناها صبعة و ذهوبها

و ذكرت نفسى العفو عنها و اننى‌لصافح اجرام الجناة و هو بها

و من هى حتى اجعل الحال منهمو تعظم فى صفحى و عفوى ذنوبها

و حسبنا ما تنم عنه هذه الأبيات من روح الاستغلال و الاستئثار، و ما كان لتعارض المصالح و المنافع من أثر فى العمران و السكان، و للسلطان

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۸۶

الخطّاب بن الحسن قصيدة تضمّنت وقائع ابن مهدى كتبها إلى الشريف غانم بن يحيى بن حمزة بن سليمان صاحب المخلاف، و جعلها ملحمة ضمنها ما سيقع من الأحداث ايام ابن مهدى و ما بعده أولها:

اذا رحل فى عقرب عبّها عبّافخل التوانى و انتظر كل ما ينبا

إذا حل فى برج اكليل راسخفقل يا هوان العجم يا غرّة الوبا

و ابصر ابا يعقوب حربا جرت بهأمور و اسباب تشب البلا شبّا

سيظهر يا مولاى غانم ظاهريسقى بنى الأحبوش كاسا له قبّا

إلى آخرها و هى طويلة استند فيها إلى علم المستقبل، و ما سيكون فيه من أنباء و أحداث، و نحن هنا لا نحب الخوض فى صحّة أنباء علم المستقبل و ما جاء فيه من تنجيم و حدثان و ملاحم، و أحاديث منسوبة إلى النبى صلى اللّه و سلم عليه و على آله أو إلى الكتب القديمة كأخبار وهب بن منبه و كعب الاحبار و غيرهم، و لا بأس ان نشير إلى طرف من ذلك، فمنها ما صنعة كعب الأحبار لما دخل عمر بن الخطاب بيت المقدس، و أراد أن يجعل المصلّى، فعمد إلى كناسة كانت الروم دفنت فيها بيت المقدس، و هو الهيكل فى زمان بنى اسرائيل فجثا فى أصلها و حثأ فى قبائه و أمر النّاس ان يصنعوا صنيعه، و سمع تكبير النّاس من خلفه، فقال: ما هذا فقالوا: كبر كعب فكبر النّاس بتكبيره، فقال: علىّ به، فأتى، فسأله: عن سبب تكبيره، فقال: يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ على ما صنعت نبىّ منذ خمسمائة عام، و سرد له خبرا ذكره الطبرى كله من الاسرائيليات التى ابتدعها هو و سواه و لا أصل لها، و ما أخبر به عمر بن الخطاب من أنه سيموت بعد ثلاثة أيام، و ان التوراة نصّت

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۸۷

على صفة عمر و حليته إلى غير ذلك هذا ما كان فى القرن الأول.

و فى أيام الدّولة الأموية و العباسية، كان لأخبار الملاحم و الحدثان و نحوها المقام الأول، و قد وضعت الملاحم و الاخبار و اخترعت الأحاديث على عهد الدّولتين، و كان لها فى و اعمالهما تأثير كبير فمن ذلك ما روى ان مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية لم يجد فى الحرب الفاصلة بين حياة دولته و موتها و لا- إنهزم مغلوبا و لكنه، كان نظر فى كتب الحدثان فوجد فيها ان طاعة المسودة ، لا تجاوز الزاب فقال: ذلك لوزرائه، فقالوا له ان بمصر زابا آخر قال فإليها نذهب، و الزاب الذى أراد علمه هو بأرض المغرب.

و روى (المبرد فى كامله) حكاية أخرى جرت بين عبد الملك بن مروان و صديق له كان من أهل الكتاب فاسلم حذر عبد الملك أمور استقبالية الزّمن منكرة فنفض عبد الملك ثوبه، و قال: معاذ اللّه، فقال له صاحبه: ما قلت شاكا و لا مرتابا، و إنى لا أجدك بجميع أوصافك، فقال عبد الملك: ثم ما ذا. قال: يتداولها رهطك، قال: إلى متى، قال: الى ان تخرج الرّايات السود من خراسان: هذه لمعة من أخبار الملاحم و الكتب القديمة كانت رائجة فى القرون الأولى.

اما ما نسب إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم، فكثير منها ما رواه (الخطيب فى تأريخه) فى ترجمة الإمام القائم بأمر الله عبد الله بن احمد العباسى عن أبى سعيد الخدرى: سمعت رسول الله (ص) يقول: منا القائم، و منا المنصور، و منا السفاح، و منا المهدى فأما القائم فتأتيه الخلافة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۸۸

لم يهرق فيها حجمة دم، و أما المنصور، فلا ترد له راية و أما السّفاح فهو يسفح المال و الدم، و أما المهدى فيملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما.

و قال (المسعودى) فى مروج الذّهب، و لما حبس إبراهيم الامام بحرّان و علم ان لا نجاة له من مروان، أثبت وصيته و جعلها إلى أخيه أبى العباس، و أوصاه بالقيام بالدّولة، فإن هذا الامر صائر إليه لا محالة، و انه بذلك أتتهم الرّواية.

و الكلام على هذا الفن متشعب الأطراف يستغرق مجلّدات و ليس من غرضنا الخوض فيه و إنما اوردنا ما تقدم بمناسبة ملحمة السلطان الخطاب بن محسن الحجورى الهمدانى.

قال فى أنباء الزمن: و دخلت سنة ۵۰۱ فيها قتل مسعود بن العباس صاحب عدن و قام بعده ولده ابو الغارات بن مسعود.

و دخلت سنة ۵۰۲ فيها مات السلطان حاتم بن الغشم المغلسى الهمدانى صاحب صنعاء و تولى بعده عبد الله بن حاتم، قال الخزرجى: و كان يعرف بالشاب العادل فلبث فى الإمارة سنتين، و قتل مسموما، فتولّى بعده أخوه معن بن حاتم، فحصل فى ولايته قلق و اضطراب انكرته همدان، و فى مقدّمتها القاضى احمد بن عمران بن الفضل، و كان زعيم همدان و عالمها فجمع همدان و خلع معنا عن الأمر و ساعدته سائر قبائل همدان على ذلك، و ذلك فى سنة ۵۱۰، و بعد أن خلع هذا الأمير انتقل الأمر إلى فخذ آخر من همدان، و هم بنو القبيب، و كان أول

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۸۹

من تولّى منهم هشام بن القبيب، و أخوه حماس بن القبيب، و استقر الأمر فيهم مشتركا بين الأخوين إلى أن توفى هشام فى التاريخ الآتى.

و دخلت سنة ۵۰۳ فيها توفى فاتك بن جياش صاحب زبيد، و ترك ولده منصور صغيرا لم يبلغ الحلم، فملكته عبيد أبيه، و ثار عليه عمه إبراهيم و نزل الى تهامة، و قصد زبيد فخرج لحربه، عبيد فاتك فانتهز عبد الله احمد خلو المدينة عن الحامية فثار بها و ملكها، و دخل دار الإمارة، فأسرع خاصة الأمير الصغير بإخراج مولاهم، خوفا عليه من عبيد عمه الثائر الجديد عبد الواحد، و أدلوه من سور البلد، و لما عرف إبراهيم ما كان من أخيه عبد الواحد أيس من زبيد و احلام الملك و لاذ بإبن ابى الحفاظ الحجورى، و هو يومئذ بالحريب، و سار منصور بن فاتك فى عبيده و أتباعه إلى المفضل بن ابى البركات الحميرى، فنزلوا عليه و على الحرة السيدة فأكرما وفادتهم، ثم إن مماليك منصور و أتباعه، طلبوا من المفضل النصرة على أن تكون له ربع البلاد، فهرع لنصرتهم، و أخرج عبد الواحد من زبيد، و ثبت منصور و مماليكه فى البلاد، و كان المفضّل همّ ان يغدر بهم و يملك البلاد، لو لا ما بلغه من إستيلاء الفقهاء على حصنه كما تقدم.

و دخلت سنة ۵۰۴ فيها المفضل بن ابى البركات و قد تقدم.

و دخلت سنة ۵۰۶ فيها استعادت الحرة السيدة حصن التعكر من الفقهاء.

و دخلت سنة ۵۰۷ و ما بعدها إلى سنة ۵۰۹ لم يتفق فيها ما ينبغى ذكره.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۹۰

و دخلت سنة ۵۱۰ فيها جمع القاضى عمران بن الفضل قبائل همدان إلى الموضع المعروف بمصبّ الدروع، و خلع معن بن حاتم عن الإمارة كما مر.

و فيها قدم من الدّيار المصرية على بن إبراهيم بن نجيب الدولة مؤازرا للحرة الملكة السيدة و دفاعا بأمر الدّعوة العبيدية، و معه عشرون فارسا، و كان نبيها عاقلا حسن التدبير واسع الإطلاع ملمّا بمذهب الإسماعيلية فأقامته السيدة على سدتها محافظا بذى جبلة، و كانت خولان قد استطالت على الرّعية، و استخفت بأمر السيدة، فأدّبهم إبن نجيب الدولة، و طردهم من البلاد و غزا الأطراف، و لما تحقّقت السيدة فيه إكتفائه ولّته مخلاف الجند، و أمرته بالنقلة إليه لتوسطه بين الأعمال و استمر على عمله إلى سنة ۵۱۸، و فيها غزا زبيد فقاتل أهلها على باب القرتب و عاد ابن نجيب الدّولة إلى الجند بعد أن صرع عن جواده و أشيع أنه قتل.

و فى سنة ۵۱۹ أظهر الخلاف على السّيدة، و قال: انها قد خرفت و شاخت، فجمعت له ملوك اليمن و أمرتهم بمحاربته، و كان لا

يخالفها أحد منهم فى صلح أو حرب، فحصروه فى الجند و كانت مسورة، و لما أشتد عليه الحصر و القتال، بعثت الحرة إلى وجوه القبائل المحاصرة بعشرة آلاف دينار مصرية، و أمرت ان يذيعوا فى العسكر ان المال من إبن نجيب الدولة فطلبت الجنود من سلاطينها أن ينفقوا عليهم، و ألا ارتحلوا فلم يعطوهم، فارتحلوا و تفرّق الناس، و قيل لإبن نجيب الدّولة، هذا من تدبير

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۹۱

التى قلت: انها قد خرفت، فركب إليها إلى ذى جبلة و اعتذر مما فرط منه، و لم يزل من أساطين مملكتها، و رجال دولتها إلى أن قدم من الدّيار المصرية، الأمير الكذاب سنة ۵۲۰ فحسده و كاد له عند الخليفة الآمر بأحكام الله بأنه يريد قلب دولته، فأرسل العبيدى يستدعيه، فلما ركب البحر غرقه ربان السفينة بمؤامرة رسول الخليفة العبيدى و من معه، و كانت السيدة قد أستوثقت له من رسل العبيدى بالأيمان الأكيدة و العهود الوثيقة فنسوا تلك العهود و أغرقوا رسولها أيضا محمد بن الأزدى و كانت قد أرسلته بهدية و كتاب شفاعة لإبن نجيب الدولة، و لما بلغ السّيدة الواقع ندمت لأنها كانت مانعت فى أول الامر عن إرساله، و لم تذعن إلّا بعد الأيمان و العهود و من رسل العبيدى و لذلك ندمت ولات ساعة مندم.

ثم انها اقامت الداعى ابراهيم الحامدى ، و فى أثناء مدته مات الخليفة الآمر بأحكام الله العبيدى ، و قام الحافظ بعده كما سيأتى و ذكر فى أنباء الزمن هذه الحوادث فى سنة ۵۱۰ و قال: ان إبن نجيب الدّولة أركب فى سفينة سواحلية إلى مصر معذّبا و مهانا.

قيام الامام المحسن بن محمد

قال فى اللآلىء المضيئة نقلا عن العباب للعدوى ، و قد ذكر نسب المحسّن فقال: هو المحسن بن محمد بن المختار بويع له بالخلافة و تلقّب

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۹۲

بالمعيد لدين الله، قال: و كان فقيها خطيبا شاعرا قتله الحدادون من أهل صعدة، و قتلوا ولده و جماعة من شيعته فى منزله و احرقوه، و استصبحوا بشحمه بسبب انه قتل باطنيا كان ضعيفا لهم و فى الحدائق الوردية ان المحسن لما وصلته دعوة الامام أبى طالب الأخير، قام بها أحسن قيام و نفذت أوامره بصعدة و نجران و الجوفين و الظاهر و مصانع حمير، و عن الأمير الحسين ان المحسن هذا ملك حصن ثلا و غيره من الحصون، و هو الذى قتل عامر بن سليمان الزّواحى ثم قتله أهل صعدة و ولده غدرا، فقام بثأره السيد الشريف الواصل من الديلم، و أخرب صعدة و أعانه على ذلك شيخ الشيعة فى وقته محمد بن عليان البحترى ، و أمدّهم الأمير غانم بن يحيى بن حمزة السليمانى بمال كثير، قال فى انباء الزمن ان مدد الشريف يحيى بن حمزة كان عشرة آلاف دينار، فاجتمعت القبائل و حاصروا صعدة، حتى طلب أهلها الأمان فأمنوهم ثمانية أيام، و دخلت القبائل صعدة، فانتهبوا ما بقى فيها ثم أخربوها و بالغوا فى خرابها، و تفرقت القبائل، و بقيت صعدة خاوية مدة و اللّه اعلم، و قد أورد صاحب أنباء الزمن خبر قيام المحسن سنة ۵۱۱، و قال فى نسبه: هو المحسن بن أحمد بن المختار بن الناصر بن الهادى إلى الحق عليه السلام قال و دخلت سنة ۵۱۲ إلى سنة ۵۱۴ لم يتفق فيها ما يوجب الرّقم.

و دخلت سنة ۵۱۵ فيها قتل السلطان أسعد بن عيسى الوائلى الكلاعى صاحب مخلاف و حاظة ذكره الجندى و عمارة و أثنيا عليه.

و دخلت سنة ۵۱۶ و ما بعدها إلى سنة ۵۱۹، و فيها قتل منصور بن فاتك

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۹۳

وزيره أنيس الفاتكى، و كان جبارا غشوما مهيبا شجاعا كانت له مع العرب عدّة وقعات، تحاموا تهامة لهولها، ثم أنه طغى و تكبّر و شمخ بأنفه، و ضرب السّكة بإسمه، و ركب بالمظلة، و همّ بقتل مولاه منصور بن فاتك، فلما تحقّق ذلك عنه عمل منصور وليمة فى قصره و دعاه إليها مع وجوه دولته، ثم قتله و صادر أمواله، و من جواريه الحرة علم أبتاعها منصور من ذريته، و استولدها فاتك بن منصور بن فاتك، ورث الملك بعد ابيه، و كانت الحرة علم عاقلة كاملة فاضلة قد رزقت من التّوفيق و السّداد و الخبر ما يتجاوز حد

الواصف كانت كثيرة الحج و الصدقة، تحج بأهل اليمن برّا و بحرا هكذا روى الخزرجى و الربيع ، و قال الجندى: أنها كانت تجهز الحاج بالخفارة و الزّاد من زبيد إلى مكة، فيأمن الأخطار، و المكوس، و كان فيها من تسديد الملك بحيث و كّل إليها سيدها منصور تدبير الملك، فكان لا يقطع هو و لا أحد من أهل دولته أمرا دون مراجعتها، و كانت تكرم الفقهاء و العبّاد و تحترمهم، و هى التى اسقطت خراج أرض على بن مهدى لما بلغها عنه من النّسك و العبادة و ببركتها أثرى و تموّل، و فى الخزرجى ان قتل أنيس الفاتكى سنة ۵۱۷، و فى قرة العيون سنة ۵۱۰.

ثم استوزر منصور منّ الله الفاتكى، و كان من أكابر الوزراء و أعيانهم شجاعا كريما جوادا متلافا، آزر الشّعراء بالعظيم من عونه، و زوّدهم بالجليل من سيبه فأثنوا عليه الخير كله، قال الخزرجى نقلا عن الفقيه محمد بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۹۴

على الهامى مؤدّب أولاد الوزير المذكور (اذكر انى جلّدت مدائح الوزير فى عشرة أجزاء كبار من شعر المجيدين من الشعراء) و لم يكن نائله محصورا على مرتزقة الشعراء فحسب، بل كان ندى الكف كذلك لقاصده و طالب رفده، تصدق على فقهاء الحنفية، و الشافعية، بما أغناهم من الأرض، و فى أيامه قصد ابن نجيب الدولة الاستيلاء على زبيد فصده منّ الله الفاتكى و هزمه شر هزيمة كما تقدم.

و كان مع هذه الخلال فاسقا متهتّكا، زير نساء (لا يرسل الساق إلّا ممسكا ساقا) ثم أنه تطاول، و طمحت نفسه إلى الملك، فاحتال على سيده و قتله بالسمّ، و ملك ولده فاتك بن منصور، و هو إذ ذاك طفل صغير، و كان أبوه قد توفى عن أكثر من ألف سرية سراريه و سرارى أبوه و غيرهما من آل نجاح، فأمتدت إليهنّ يد منّ الله المذكور، و عبث بأعراضهن، و لم ينج من شره إلّا عشرين حظايا منصور بن فاتك، فيهنّ الحرة علم ام فاتك الملك الطفل، ثم ان هذا الوحش، أراد ان يفترس ابنة معارك بن جياش، و كانت موصوفة بالجمال، فأفتدت نفسها منه بأربعين بكرا من جواريها، فلم يقنعه هذا الفداء، و عند ذلك دبرن حيلة للخلاص من شره، فاحتالت بعضهن و مكنته من نفسها، و بعد أن أكمل عمله، مسحت مذاكيره بمنديل مسموم فهلك من ساعته، و خرجت مسرعة و لحقت بالحرة علم، و دخل عليه ولده فوجده لا حراك به، فدفنه فى إصطبل داره، و غيّب قبره، و من آثار هذا الوزير سور مدينة زبيد، بعد الحسين بن سلامة، و كانت وفاته سنة ۵۲۴.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۹۵

و تولّى بعده الوزارة القائد زريق الكاتب الفاتكى، و كان ضعيف التّدبير فاستقال، و تقلّد منصبه أبو منصور مفلح الفاتكى، و كان حازما شجاعا، كريما عفيفا قال الخزرجى : و كان النّاس يقولون لو كان له نسب فى قريش كملت فيه شروط الخلافة، و قد أنتهت به الحال الى الخروج من زبيد و الاستيلاء على حصن كرش من جبل برع، و شن الغارات من قبله على زبيد، و على مزاحميه فى منصب الوزارة من العبيد، و استنجد بالشريف غانم بن يحيى السليمانى، فأمده بألف فارس و عشرة آلاف راجل و على رأسهم الشّريف غانم، و قد جعل للشريف لقاء نجدته إسقاط الاتاوة التى كانت على الشريف لصاحب زبيد و هى عبارة عن خمسة و ستين ألف دينار.

و تنازل عن بعض الجهة الشمالية من تهامة، مما هو تحت نفوذ أمراء زبيد، فنهض الشريف و مفلح الفاتكى فى جموعهم و قصدوا مدينة زبيد، فخرج لمقابلتهم القائد سرور، أحد المنافسين لمفلح المذكور إلى المهجم، و لما نشبت الحرب و دارت رحاها أنهزم الشريف و جنوده، و تم النصر لسرور فقلّده مولاهم، فاتك بن منصور المهجم، و ما يليها من الأعمال الشامية، و عاد مفلح إلى حصن الكرش و مات به سنة ۵۲۷ و خلف ابنه منصور فحارب سرور، و هو أمير المهجم و القائم بأعمال الوزارة إقبال الفاتكى، ثم أن أصحاب منصور، تخلوا عنه، و خذلوه فطلب من إقبال الأمان فأمنه ثم غدر به و قتله فغضب السّلطان فاتك و همّ بإقبال الفاتكى، فاعتذر إليه و استرضاه فسكت على و غل و لكن الوزير لم يطمئن الى ذلك السّكوت، و أخذ يفكر فى جريمة أخرى، و هو قتل مولاه السلطان، و لم يزل يحتال حتى تمكّن و سقاه السم سنة ۵۳۱

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۹۶

طريق البصرة و طريق حضرموت

قال فى انبأ الزمن و دخلت سنة ۵۲۴ فيها انقطع الطّريق من اليمن الى البصرة و الكوفة عن مرور التجار و القوافل الكبار، و كانوا يسافرون فى كل عام مرّتين على طريق اليمامة و الحسأ، و سبب إنقطاعها ضعف الدّولة العباسية و ظهور القرامطة الفساق، و لم يسلكها بعد ذلك أهل الجهات النجدية برفاقة من ساكنى تلك الأطراف، و كانوا يخرجون من نجران إلى بلاد الدواسر ثم الى البديع ثم الى الحسأ فى اثنى عشر يوما، و أما طريق الرجل من الجوف إلى البصرة فانقطعت بالمرة و قد يسلكها نادرا جماعة من البدو الإبل المضمرة يجعلون على أيديها و ارجلها الأدم لكثرة الحرشات و العقارب الناهشات، و على طريق قريبة يقطعونها الى البصرة، و كانت عامرة مسلوكة أيام التبابعة، و من بعدهم، إلى أن قيل ان داؤد بن المنصور بالله عبد الله حمزة أخربها و طم آبارها عند عوده من غزوة غزاها خوفا من لحوق أهلها، و قيل ان الريح عفت آثارها، و صارت كثيبا من الرّمل، و الله اعلم.، و اما الطريق من اليمن الى حضرموت فمسلوكة من ثلاث جهات، أحدها طريق شبوه يقطعها المار فى ثلاثة أيام من بيحان إلى حضرموت، و الثانية يقطعونها كذلك فى ثمانية أيام إلى مأرب، غير أنهم يحتاجون إلى حمل الماء على المطايا لانقطاعه فى أكثرها، و هى رمال ما بين الجوف و حضرموت، و سكانها البدو من المعضة ، و العربان، و لا يسلكها إلّا المخفّون، و أما أهل الأثقال فيخافون فيها من عدوان أهلها عليهم، و إنما يسلكون طريق الساحل من عدن، و منهم من يخرج من رداع إلى بنى ارض ثم إلى بلاد العوالقة ثم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۹۷

إلى بلاد عبد الواحد ثم الى بلاد هينين ، ثم إلى حضرموت فى عشرين يوما تقريبا و الله اعلم، أنتهى ما اورده صاحب انباء الزمن ، و قد نقلنا عنه هذه الجملة التأريخية الجغرافية بالحرف الواحد و العهدة عليه، و سيأتى ما يدل على إن المواصلة بين اليمن و بغداد عن طريق البصرة و الجوف و أرض الحشرات و العقارب الناهشات، كانت مستمرة، يقطعها الواحد و الجماعة، فمن ذلك إرسال الملك المظفر الرّسولى سفيره إلى بغداد عن طريق براقش سنة ۶۵۰ لطلب تشريف سلطته على اليمن من هنالك، و المرة الثانية عند ما قتل الإمام أحمد بن يحيى سنة ۶۵۶ أزعج المظفر رسوله إلى بغداد بذلك النّبأ و لما وصل حامل تلك الرسالة الى براقش فى جوف اليمن متوجّها إلى البصرة، لقى الخبر عن بغداد و سقوطها فى أيدى التتر، و محو الخلافة و الخليفة، كل هذه الحوادث تشير إلى أن الطريق ما زالت تسلك و انها لم تنقطع بالمرّة.

و أما طريق حضرموت فقد استوفينا الكلام عنها فى ايام الإمام المتوكل على الله إسماعيل فى القسم الثالث من هذا التاريخ فليرجع اليه من شاء.

و دخلت سنة ۵۲۷ فيها مات هشام بن القبيب الهمدانى، و انفرد بالأمر اخوه حماس فقويت شكوته و عظمت ولايته، و فى أيامه جاءه صارخ من يام يشكو إستطالة اهل نجران عليهم فغراء نجران و اثخن بنى الحرث و من

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۹۸

والاهم، و فيهم نصارى فأسر كثيرا من بنى الحرث، و أتى بهم إلى همدان فأقتسموهم فى موضع بالظّاهر، و سمى ذلك الموضع بالمقتسم و اسنكوا الأسرى معهم و سمّوهم بالمقتسمين، و غزا السلطان المذكور بلاد جنب، و قتل منهم مقتلة عظيمة و استمرت الولاية إلى أن مات سنة ۵۳۳.

ظهور الإمام على بن زيد و قتله

و دخلت سنة ۵۳۱ فيها ظهر الإمام المحتسب على بن زيد بن إبراهيم بن الملح بن الإمام المنتصر بالله محمد بن الإمام المختار بن

الناصر بن الإمام الهادى إلى الحق عليه السلام، قام محتسبا من درب يرسم من اعمال صعدة و جمع جموعا و خرج بها الى نواحى صعدة و لما بلغ الإمام أحمد بن سليمان ذلك، نهض من الجوف لمناصرته، و كان ذلك قبل دعوة الإمام أحمد بن سليمان، فسار إليه ناصره هو و صنوه يحيى بن سليمان و صنوه عبد الله و لقوه إلى حقل صعدة فى خيل و رجال وافرة، و اجتمعت إليه القبائل من همدان و خولان و كهلان، و سائر قبائل قحطان، فتقدم بهم إلى شظب و كان الإمام احمد بن سليمان قد أشار عليه بالزّحف على صنعاء، فلم يقبل منه و أقام بشظب فى بنى حجّاج بمن معه، فاستثقله أهل تلك الجهة لكثرة النّفقة، و تمالوا على الغدر به، و بأصحابه، و كان أهل الجهة يحملون إليهم الطّعام فاجتمع منهم فى بعض الأيّام زهاء خمسمائة رجل، و حملوا الطّعام على عادتهم، و قد ستروا أسلحتهم تحت ثيابهم، ثم و ثبوا على أصحاب الإمام على بن زيد فقتلوا منهم قتلا ذريعا، و انهزم على بن زيد فتبعوه و قتلوه و قبره فى شظب مشهور رحمه الله و إليه أشار صاحب البسامة بقوله:

و فى ابن زيد لاهل الفكر معتبرلما تسنّم رأس الطود من شعر

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۲۹۹

و كان قتله فى جمادى الآخرة من السّنة و للإمام احمد بن سليمان فى ذلك قصيدة طويلة أولها:

من ضيّع الحزم لم يرشد و لم يصبو اغتاله الدّهر بالخذلان و النصب

و منها:

دعا ابن زيد فلبينا لدعوتهو غيره قد دعا قدما فلم نجب

و جاءه الناس من شام و من يمنعلى الضوامر فى ركب و فى خبب

حتى إذا صار من نجد إلى حرضملك الأمير و من مقرا الى خلب

كاتبته غير و ان من شؤابة لهاو لم تبرح بثافت فى عز بلا تعب

و منها:

من اودته فى يشيع حين اعجبنىجيش اجيش كمثل العارض السكب

فقلت آثر به صنعاء ودع شظباحتى تعود فليس الرأس كالذنب

إلى آخرها.

و دخلت سنة ۵۳۲ و فيها مات الدّاعى سبأ بن أبى السعود الزريعى قال الجندى رحمه الله: دخل الدّاعى سبأ عدن فوقف بها سبعة أشهر ثم توفى فى التاريخ المذكور، و دفن فى حصن التّعكر، و قد تحارب الدّاعى سبأ ، و ابن عمه على بن ابى الغارات و سبب ذلك أنه لما تولّى على بن أبى الغارات أساء السيرة فى الرّعية و بسط يده على ما كان إلى سبأ بن أبى السعود و كانت

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۰۰

قد اتّسعت ولايته، فكان له حصن التعكر بعدن و باب البرّ و ما يدخل منه و من البرّ الدملوة و سامع و مطران و يمين و ذبحان و بعض المعافر، و بعض الجند، و قد صبر الداعى سبأ صبرا كاد يخرج الأمر من يده، و لما عيل صبره، قام لحرب على بن ابى الغارات، و ضم إليه همدان و خولان و حمير و مذحج، و بعد غارات و فتكات تمّ النصر لسبأ بن أبى السعود، بعد إنفاق أموال طائلة، و تنازل لأصحابه إلى درجة تدلّ على كمال عقله و علو همته، و تعرف هذه الحرب بحرب الرّعارع، و فيها يقول على بن زياد المازنى:

خلت الرعارع من بنى المسعودفعهودهم عنها كغير عهود

حلّت بها آل الزريع و انما المحسّنحلت أسود و فى مقام أسود

و أقرت السّيدة سبأ بن أبى السعود على عمله، و كان يحمل إليها الخراج المضروب، حتى مات و تولّى بعده إبنه على الأغر فلم تطل أيامه و مات سنة ۵۳۴.

و دخلت سنة ۵۳۲ فيها ماتت الحرة الملكة السيدة بنت احمد بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۰۱

جعفر بن موسى الصّليحى عن ثمان و ثمانين سنة، و كان مولدها سنة ۴۴۴ و نشأت فى كفالة الحرة اسماء بنت شهاب زوجة المكرم على بن محمد الصّليحى و كانت موضع عنايته و عطفه و رعايته، و كان يقول لزوجه أسماء:

هذه و الله كافلة ذرارينا، القائمة بهذا الأمر لمن بقى منا، فأدبتها أسماء أحسن أدب، و هذبتها أكمل تهذيب حتى كملت محاسنها، و كانت قارئة كاتبة حافظة للأشعار و الأخبار عارفة بالأنساب و التّواريخ و أيام العرب، و لما عرفت به من رجاحة العقل و حسن التدبير للملك، كان يقال لها: بلقيس الصّغرى، و بموتها أنقرضت الحكومة الصليحية بعد أن حكمت قرابة قرن سخّرت البلاد لمصالحها، و تركت الأمة اليمنية، تعيش فى جوّ مختنق و ميدان ضيق، رهن القواعد المرسومة، و النّظريات المعلومة من دعاة الأسماعيلية، و كانت الطبقة المتسيطرة، تتلاعب بعقول العامة و تستأثر بكل موارد العيش، و مرافق الحياة، و تتمتّع بجميع وسائل الرفاه، تحت ستار الدّعاية الإسماعيلية، و لذلك تفككت عرى القومية و تلاشت العقلية، و المنتجات الفنية، و فقدت ملكة الإبداع و الابتكار، و أصبح الإيمان بمزاعم الدعاة، يفرض على النّاس فرضا فتشابهت نتائج الأفكار كتشابه ميادين الحياة أيام تلك الحكومة، و للّه الأمر من قبل و من بعد:

رويدا انها دولتدول و بعدها أخر

يظل الحق منهزمازمانا ثم ينتصر

و قبرت السيدة الملكة بالجامع الذى انشأته بذى جبلة غربى المقدّم، و انتقل ما كان بيدها من الحصون و الذّخائر و الأموال إلى المنصور بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۰۲

المفضل بن أبى البركات الحميرى، فلما كبر و ضعف عن كثير من الحركات، و أحب السكون أبتاع الداعى محمد بن سبأ بن أبى السعود منه الحصون و البلاد بمائة ألف درهم، قال عمارة: و هى ثمانية و عشرون معقلا ما بين حصن و مدينة، من ذلك جبلة و إب و التعكر و حب ، و نزل منصور بن المفضل إلى حصن تعز و صبر ، و هو أول من اتخذ ثعبات متنزها، و كان ينزل من الحصن فيقف بها الأيام، و لم يزل كذلك إلى أن توفى سنة ۵۴۲، و خلف إبنه احمد فقام مقامه الى سنة ۵۵۸ ثم طلع على بن مهدى من تهامة فأبتاع منه تعز وحب انتقل هو إلى الجند فسكنها إلى أن توفى سنة ۵۶۳ و الله تعالى اعلم، فهذا ما كان من أخبار الدولة الصليحية و ما يتعلق بها و الله ولى التوفيق.

الامام المتوكل على الله احمد بن سليمان عليه السلام

و فى هذه السنة (۵۳۲) ظهر الامام المجتهد المحقق أبو الحسن أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن على بن الناصر احمد بن الهادى إلى الحق عليه السلام، ولد بنواحى حوث سنة ۵۰۰، و نشأ بها، و سلك طريقة آبائه الأطهار، فى طلب العلوم و التشمير لمعالى الأمور، فكان يتحفّزه للقيام بحمل أعباء الخلافة من صغره، و يرى أن النّاس فى حاجة ملحّة إلى رجل عظيم، تكون فيه القدرة الكافية لكبح النّزعات الجامحة إلى الأثرة، و معالجة النّفوس المصابة بداء الجهل و العناد، و كان دائم الحنين إلى الجهاد،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۰۳

و تحكيم الرّماح السمهرية و المشرفيات الحداد لإرغام معاطس شمخت عن الحق، و نفوسا حادت عن الرّشاد و كان أيضا يحز فى نفسه ضيع الأشراف، و إيثارهم الخمول و له فى ذلك عدة قصائد منها قوله :

لأحكمّن صوار ما و رماحاو لأبذلن مع السّماح سماحا

و لأقتلن قبيلة بقبيلةو لاسلبن من العدا أرواحا

و لأروينّ السمر ممن ابتغىفإذا ارتوين أفدننى اصلاحا

إلى آخرها قال فى اللالىء المضيئة: كان عليه السلام فى العلم و العمل و الشجاعة الغاية و النهاية، و يقال فيه: القوّال الفعّال، و أحسن ما يقال فى وصفه ما قال هو فى نفسه:

تزعزع منى الأرض خوفا و رهبةإذا قلت ألجم يا غلام و اسرج

انتهى.

و كان يرجو ان يقوم من العترة الزّكية بأمر الأمة من يصلح للقيام و لذلك تصامم عن إجابة دعوة الإمام على بن زيد لما بلغته فى بداية الأمر، لأنه لم يبلغ المستوى اللّائق بمنصب الإمامة من النّاحية العلمية، و لكنه عند ما سمع بأن المذكور قد جمع الجموع و قصد حرب صعدة رأى نفسه مضطرّا لموازرته و قال: أنا إن خذلته و وقفت عنه كنت عونا لأعداء الله، و خاذلا لأولياء الله، و تقدم إلى نصرته هو و أخوته بمن قدر على جمعه كما مر، و مما يدل على ما كان يرجوه من قيام من يصلح للقيام قوله:

اما انه لو لا الرجاء لدعوةمباركة تهدى لدين الغواطم

و علمى بأن الله ليس بغافلو ان نعيم الدّهر ليس بدائم

لآليت لا أخشى الزمان و صرفهو لو زارنى يوما بإحدى العظائم تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع ؛ ص۳۰۴

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۰۴ بموت مريح و هو أنجع زائرو كنت بهذا رابحا غير غارم

لأجل الذى شاهدت من أهل عصرناو عاينت من عصيانهم و المآثم

نسوا حقنا و استأثروا بنصيبنامن الأمر هذا من كبار المظالم

و منها:

و لكن نصر الله قد آن وقتهلنا يا بنى الزّهراء بنهضة قائم

كريم أخى عالم و فضل و سؤددو ذى همة تعلو السهى و النعائم

و صبر و اقدام و حزم و نجدةو شدّة بأس عند ضرب الجماجم

إلى آخرها: و لما عزم الإمام على إظهار دعوته نهض من الجوف و معه رجلان إلى برط فبايعه قوم من دهمة، و سار إلى نجران و نزل على الشيخ العون بن زغبة ففرح بمقدمه، و أطلعه على ما قد ظهر بنجران من المنكرات، و وصلته قبائل همدان نجران و بايعوه فى شهر صفر من السّنة و وزّع كتب الدّعوة إلى عموم البلاد اليمنية، فلم يتحرك لها إلّا القليل الذى لا يعتدّ به، ثم إنه وصل إليه صنوه الشريف يحيى بن سليمان فى جماعة من الأشراف و أشاروا عليه بمغادرة نجران إلى الجوف ليتوسّط لهمدان و يكرّر الإرسال إليهم فبادر بالانتقال و رافقه الشيخ العون بن زغبة، و حاتم بن سليمان اليامى، و سالم بن الخطر اليامى، و فى طريقه بايعته بنو عامر، و أرسل لوائلة فبايعوه، و سار الى برط و مكث به خمسة أيام فى أثنائها وافته جميع قبائل دهمة بدوها و حضرها، و بايعوه على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فشكر لهمدان و أثنى عليهم بهذه الأبيات:

أأغضى على صرف الزمان وجورهو ارضى بخط ناقص و خمول

و قد خصنى ربى بأزكى عطيةو فضل و مجد فى الأنام أثيل

و حولى همدان بن زائد ذوو الحمىبناة العلا من حاشد و بكيل

هم نصروا الهادى الى الحق جدنابكل رقيق الشفرتين صقيل

و لما بلغ السلطان جحاف بن ربيع الدّعامى وصول الإمام الى برط

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۰۵

و عزمه على النزول، كتب إليه لا- يغشاه بالنّاس، و إذا كان يريد الاتفاق فسيلقاه إلى موضع يعيّنه الإمام لشدّة لحقت البلاد يومئذ، و لكن الإمام أغضبه اقتراح الدّعام، فنزل من برط، و بات بالمراشى، و سار إلى خيوان و عزم ان لا يطأ بلاد الجوف إلّا و قد تقلّص ظل كل نفوذ فيه لغيره و سار إلى بلد بنى ربيعة، و كانت قد استدعته قبائل خولان (صعدة) فسار إليهم، و كل ما مرّ بقبيلة من القبائل تلقوه بالسّمع و الطاعة، و كذلك فعلت خولان، و كان أهل الحقل و بعض رجال من غيرهم قد تآمروا على صدّه من إجتياز الحقل و إعلان الخلاف و التمرد، و سبب ذلك خوفهم مما سبق منهم إلى الأمير المحسّن فى حياته، و بعد وفاته، ثم ما لحقهم من مقام الإمام على بن زيد، فصاروا لا- يسمعون بقائم من أهل البيت إلّا و ايقنوا انه يهتك استارهم، و يخرب ديارهم و لما علم الشرفاء بنو الهادى بما ائتمر به أهل الحقل ندبوا لقتالهم بنى جماعة فلبّت بنو جماعة و طلبت نزول الإمام فى بلادهم، فتحول الإمام إليهم، و لما عزموا على الخروج لقتال أهل الحقل، و تأكد أهل الحقل ذلك، عدلوا الى استخدام المال، و ارسلوا الرّؤساء بنى جماعة بشىء من الحطام، فرجعوا عن عزمهم، و تخاذلوا عن نصرة الإمام، و تركوه فسار عنهم إلى نجران، و صادف فى طريقه من المشكلات ما ينوء بحمله أفذاذ الرجال، و كل هذه الحوادث فى السنة الأولى من دعوته.

و دخلت سنة ۵۳۳ لم يكن هذا العام أسعد طالعا على الإمام و دعوته من العام الماضى، و لكنه ظل مثابرا بهمة لا تعرف الملل، و عزيمة تهزأ بالخطوب، فأقام بنجران شهر صفر و ربيع من السنة، و جاءته قبائل من همدان و جنب يحرّضونه على الانتقام لهم من بنى الحارث النجرانيين، فلم

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۰۶

يلتفت إلى ما راموه، و قال لهم: أنا أطلب قوما إن أمرتهم ائتمروا، و إن نهيتهم انتهوا، فى كل وقت، و لستم بهذه الصّفة، و ما لبث أن وافته كتب الرّبيعة يستدعونه، و يعدونه النصرة، فتحول إليهم، و مرّ ببلاد وادعة و نزل على الشيخ عمر بن احمد اليرسمى، و حضرت إليه قبائل وادعة معتذرة عن تثاقلها عن نصرته، فعذرهم و سار إلى بلاد الربيعة ، و كانوا فى حرب مع بنى مالك ، فلما اقترب منهم الإمام خاف أهل الحقل أن يميل إليه أحد الفريقين المتحاربين، و بذلوا الأموال فى سبيل الصّلح بينهم، حتى تم لهم ما أرادوه، و كان فيه القضاء على آمال الإمام، فقد تنكرت له الربيعة، و اخلفته ما وعدت، و كذلك غيرها ممن بايعه، و السّبب فى تلون القبائل الآخرة ، دعايات قام بنشرها بعض رجاله الذين قد بايعوه و شهدوا بإمامته، و لكنهم خافوه على مناصبهم التى كانت تدرّ عليهم الأموال باسم الزكاة و نحوها، فلم ييأس، و استمر على نشر دعوته بمختلف الوسائل، و أقام بحيدان، و أمر بعمارة هجرة بموضع يقال له الجحفات بوادى حيدان، ثم انه حشد القبائل، فاجتمع له منهم زهاء ألف رجل و سار بهم يريد الحقل، فلما بلغ بهم ساقين اقترحوا عليه أن يرسل للرّبيعة لتنظم إليهم، فراسلهم الإمام، و أوفد إليهم جماعة من الشرفاء و المشائخ، فلم يلتفتوا إلى وفده، و لا احسنوا ردّه، رغما على ما بذله لهم من الأموال، فلما عاين من معه إمتناع الرّبيعة، تخاذلوا عنه، و رجعوا أدراجهم، فنزل على بنى بحر، و أرادهم على القيام معه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۰۷

فأجابوه، و طلبوا المهلة إلى خروج عيد النحر فأنظرهم الإمام، ثم أنها تجهّزت جماعة من هذه القبيلة، و ساروا مع الإمام غير بعيد، ثم رأوا أنهم قلّة لا يقوون على قتال فتركهم و رجع حيدان.

و فيها اجتمعت همدان لما كثر الاختلاف بين أولاد النبيب، و قصدت السلطان الأجل حميد الدّولة حاتم بن عمران بن الفضل اليامى، كريم همدان و طلبوا منه القيام بالأمر و إصلاح البلاد فأجابهم إلى ذلك، و دخل صنعاء فى سبعمائة فارس من همدان، و سيأتى تفصيل ما كان بينه و بين الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان.

و دخلت سنة ۵۳۴ فيها عاد الإمام إلى تحشيد القبائل، و إثارتهم لقتال من شذ عن جماعته، و فى مقدّمتهم أهل الحقل فلما عاينت قبائل الحقل جند الإمام، تقدمت إلى الإمام بالسّمع و الطاعة، و انضمت فى عداد الجند الذى معه، فسار بهم إلى نجران فتلقّاه السّلطان هشام بن نباتة المدانى، و العون بن زغبة، فى أفراس من بنى الحارث و همدان، ثم تقدّم إلى قبائل وادعة، فصلّى بهم الجمعة، و انتقل

إلى الهجر، ثم سار إلى كوكبان محل السّلطان هشام فبات ليلته فى ضيافة السلطان، و لما أصبح اتته بنو زريع و على رأسهم سلطانهم روح بن زريع، و سألوه النّزول فى ضيافتهم، هو و من معهم فساعدهم الإمام، و بات عندهم ليلة، ثم عاد إلى مقره، و بعد أن تم له تقرير أمور البلاد، و تثبيت أحوال الولاة غادرها إلى الجبجب، و فيها مات الدّاعى الأغر على بن سبأ و تولى بعده اخوه محمد بن سبأ قال الدبيع فى قرة العيون : و فى أيامه قدم رسول من مصر من الخليفة بتقليد الدّعوة على بن سبأ، فوجده قد مات فقلد الدعوة أخاه محمد بن سبأ، و نعته

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۰۸

بالمعظّم، و نعت وزيره الشيخ بلال بالنعوت الجليلة.

و قد أشار إلى الرسول الموفد صاحب أنباء الزمن ، و لكنه خلط فى اسمه قال: و من خلال ذلك قدم رجل احمد بن على بن الزبير برسالة من العبيدى صاحب مصر، و ذكر الخبر، و الرّسول المذكور، هو القاضى الرشيد ابن الزبير أخو القاضى المهذب شاعر الوزير الطلائع بن زريك، وزير الحافظ العبيدى، و كان الغرض من إيفاده تقوية الروابط بين مصر و اليمن، فإنّها كانت قد توتّرت العلائق ورثّ الحبل، و انقطعت الرابطة الروحية بموت الآمر بأحكام الله، و أصبح الخليفة فى زعم دعاتهم باليمن مستورا فلما مات الآمر آخر أيام السيدة، و تولّى بعده الحافظ عبد المجيد قطعوا الخطبة و الدّعوة للحافظ المذكور، و انكمشت الدّعوة الإسماعيلية، تعمل عملها فى ربوع اليمن، و تقوم بالعجائب فى سبيل المحافظة على مبادئها و تعاليمها، و تدعو إلى الخليفة المستور، فأراد الحافظ بإرسال داعيته القاضى استرداد النفوذ و السلطة الروحية، و لكنه لم يفلح، و أخفق مسعى داعيته، و كان حظه من الأمير الزريعى الحبس و التنكيل (خلاف ما قاله الدبيع و صاحب أنباء الزمن) و لم يستطع خليفة مصر تخليص داعيته من الهوّة التى ارتطم فيها، حتى كان من أخيه القاضى المهذب إنشاء قصيدة مدح بها الدّاعى و استعطفه و رجاه لأخيه المسجون، و كان من أثر هذه القصيدة إطلاقه و القصيدة المذكورة من غرر شعر القاضى المهذب و أولها:

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۰۹ يا ريع أين ترى الأحبة يمموا هل انجدوا من بعدنا أم اتهموا

نزلوا من العين السواد و ان نأواو من الفؤاد مكان ما أنا اكتم

رحلوا و فى القلب المعنّى بعدهموجه على مر الزّمان مخيم

و منها:

إنى امرؤ قد بعت حظى راضيامن هذه الدنيا بحظى منهم

ما كان بعد أخى الذى فارقتهليبوح إلّا بالشكاية لى فم

أقوت مغانيه و عطّل ربعهو لربما هجر العرين الضيغم

و رمت به الأهوال همة ماجدكالسّيف يمضى عزمه و يصمم

يا راحلا للمجد عنا و العلاأترى يكون لكم إلينا مقدم

يفديك قوم كنت واسط عقدهمما ان لهم مذ غبت شمل ينظم

جهلوا قطنوا ان بعدك مغنملما رحلت و انما هو مغرم

و لقد أقر العين ان عداك قدهلكوا ببغيهم و انت مسلّم

و منها فى مدح الدّاعى:

أقيال بأس خير من حمل القناو ملوك قحطان الذين هموهمو

متواضعين و لو ترى ناديهمما اسطعت من إجلالهم تتكلم

و كفاهم شرفا و مجدا انهمقد أصبح الدّاعى المتوج منهم

هو بدر تم فى سماء علاهمو بنو أبيه بنو زريع أنجم

ملك حماة جنة لعفاتهلكنه للحاسدين جهنّم

و كان الدّاعى محمد المذكور كريما جوادا مدحه جماعة من الشعراء و توفى بالدملوة سنة ۵۴۸ و قام بعده بالأمر ولده عمران بن محمد بن سبأ و سيأتى ذكره ان شاء الله.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۱۰

عزم الإمام إلى نجران و استيلاؤه على صعدة

و دخلت سنة ۵۳۵ فيها إئتنف الإمام الحشد لقصد نجران، فسار فى عسكر كثير فيه أربعمائة ترس، و ألف قوس، و كان قد بلغه عن أهل نجران تذبذبا فى الطاعة، و كانت كتبهم تنم عن ذلك، فكان كل فريق منهم يزكّى نفسه، و يدل على غيره بأنه يتحفز للخلاف، فأراد أن يعلم المفسد من المصلح، و نهض إليهم بجموعه و طاف بلادهم، و توغّل فيها، و لاح له ما اعتزم عليه بعضهم، فلم يكترث بذلك و قابل الإساءة بالإحسان، و أقام بنجران أياما، و رجع فى حافرته إلى صعدة، و كان أهل صعدة قد تواثقوا على حربه، و الإمتناع عن تسليم حصون بلادهم إليه، و لكنهم اطمأنوا إلى ما سمعوا عنه من حسن السيرة بنجران، فساعدوه على ما أراد و فتحوا له أبواب البلاد، و لله در القائل:

و لم أر مثل الرفق فى فعلهاخرج للحية من جحرها

و بعد أيام أقامها بصعدة تحول إلى الجبجب، و هنالك بلغه أن انسانا شرب الخمر، و خاف الحد فاستجار بالرّبيعة فأجاروه، و أتوا إلى الإمام متشفعين للشارب فقال لهم الإمام الحق لله، و لا بدّ من الحد، و طلب الرجل و أمر بجلده ثمانين حد الشرب، و بلغه أيضا أن جماعة من بنى مالك تراموا فيما بينهم، فغضب لذلك و أمر بالنفير لحربهم، فوصلته مشائخ آل سعود، و هم أهل الجناية، و قالوا: ما حكمت علينا فى جناية هؤلاء الصّبيان فافعله، فإنا سامعون مطيعون، فقال: لا بد من حبسهم أو هدم منازلهم فرأوا الخراب أهون عليهم من الحبس، فامتثلوا فأرسل معهم من أخرب دربالهم بالصّعيد يقال له درب آل أبين، قال فى اللآلىء المضيئة: و كان عليه السّلام يعاقب المحدثين تارة فى أجسامهم بالجلد و الحبس، و تارة بخراب منازلهم، على قدر اجتهاده، و كان قد أخرب منازل على المحدثين، منها

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۱۱

منزلان بصعدة، و منزلان بأسل ، و درب بالمحفا، و درب بزهوان، و درب بنى معاد ، فلما رأى النّاس من شدّته فى الصغائر ما رأوا، اخضعوا له طوعا و كرها، و طابت له مخاليف صعدة و نجران، و جرت فيها أقلامه و نفذت فيها أحكامه، و سمع من كان منتزحا بعد له و حسن سيرته فكاتبوه من كل ناحية، و كان ممن كاتبه السلطان هاشم و السلطان ابن احمد بن عمران، و القاضى احمد بن عبد السلام بن أبى يحيى، و فى المكاتبة المذكورة من شعر ولده يحيى بن أحمد و ذلك قوله:

أإنسان عينى ما تألفت انسانافألفيته للقانع الود قنعانا

و منه:

خليلى ان الدهر أعتب عاتباعليه و أرضى بالرضا عنه غضبانا

كأن ليالله تأدبن أوسطاعليها فدانت احمد بن سليمانا

إمام أمام الجيش منه عزيمةيشين بها من كل شأن له شانا

إلى آخرها فأجاب الإمام عليه بقوله:

انشر سرى ينشى من الرّوض افناناو مسكا و كافورا و ريحا و ريحانا

أم الجوهر الشفاف أم سلك لؤلؤ تضمّن ياقوتا ثمينا و عقيانا

ام العنبر الشحرى أم طرس ماجدحسبناه لما ان فضضناه بستاتا

أرق من الماء المعين معانياو أبهر من نور الغزالة برهانا

حبانا به القاضى الأجل ابن احمد بن‌عبد السلام النّدب يحيى و حيانا

و فيها نهض الإمام إلى الجوف بمن معه من همدان، و قبائل صعدة،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۱۲

و غيرهم، فأطاعه أهل الجوف و شوابة، و بلاد أرحب، و لما استتب له أمر بلاد الجوف، رجع إلى بلاد بنى جماعة، فأصلح بينهم فى دماء كانت مثار خلاف فيما بينهم، و قابلته بنو ربيعة بالحرب، فقاتلهم و أخرب ديارهم، و انتقل إلى نجران لتأديبهم لما أحدثوه من العيث و الفساد بعد رحيله عنهم، فنكل بهم و أخرب قراهم فأجابته يام من السّهل و الجبل و وادعة و شاكر و دهمة و بنو مرة و غيرهم طائعين مستسلمين فرجع إلى صعدة ظافرا منصورا.

عزم الإمام لتأديب الشقى ابن الطحل و فساد ابن القدمى، و أهل الحقل

و دخلت سنة ۵۳۶ فيها بلغ الإمام أن عرفطة بن الطحل قطع طريق الحاج، و معه أهل عنز فنهض لحربهم إلى أن بلغ جانبا من العرض، و بلغه أن قوما من يرسم قتلوا رجلا من بنى حمزة و هربوا بلاد الرّبيعة، فأمر بخراب منازل الجناة المذكورين و لكنه خشى أن يتعدّاهم الخراب إلى غيرهم، فرجع عن قصد العنزيين لتدارك ذلك، و كانت نيران الخلاف قد بدأت تتّقد بين بنى مالك المأمورين بخراب منازل المجرمين و أهل صعدة، فأصلح الإمام بينهم، و سار إلى حيدان يحشد القبائل لحرب العنزّيين فاجتمع له خلق كثير، و لما بلغ أهل الحقل اجتماع القبائل و تلبيتهم نداء الإمام خافوا أن يستظهر عليهم، و ينيلهم السوء فسعوا فى تفريق من اجتمع إليه، و صاروا إلى رجل من أهل مجن يقال له محمد بن القدمى، و وعدوه النصرة و المعاونة إن هو ثار على الإمام، فخف ابن القدمى و عمد إلى قافلة آتية من نجران بعضها للإمام من صدقات و بعضها لتجار من نجران و صعدة، و هى تمر و عطب فنهبها، و قتل رجلا ممن كان معها، و كان ذلك فى أسفل بلاد البقرا، و لما

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۱۳

علم الإمام بذلك أراد أن يغزوهم و طلب من خولان و بلاد حيدان مناصرته، فقالوا له: انا قد خرجنا معك مخارج كثيرة فلزمت على أيدينا و أطلقت أيدى بنى جماعة فى مخرج نجران، فسار عنهم مغاضبا، فلقيه جماعة من مشائخ بنى جماعة فأخبرهم بخبره فأجابوه بالسمع و الطاعة، و انضم إليهم بنو بحر، و قصدوا ابن القدمى إلى مجن، و كان قد تحصّن منهم فى درب حصين، و لما عاينوا مناعة الحصن طلب رؤساء العسكر من الإمام الإمساك عن الحرب و سعوا فى الصّلح فقال لهم الإمام: أنا لا أرضى إلّا بتنفيذ قول الله تعالى: إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ الآية فى ابن القدمى، فقالوا له: سنأتيك به لتنفذ فيه ما أردت، فلما كان من الغد وصلوا بأخ له و أربعة معه و قالوا دونك هؤلاء فقيدهم و احبسهم أمّا محمد بن القدمى فإنه هرب فى اللّيل فقيّدهم الإمام، ثم علم ان ابن القدمى لم يخرج من الدّرب، و انما اختفى فغضب الإمام و أطلق المقيدين، و أمر ابن القدمى ان يذهب إلى أخيه، و إذن لذلك الجمع أن ينصرف لأنه عرف فيهم عدم النّصح، و عزم على اعادة الكرة على ابن القدمى، فى فرصة أخرى فتفرّق عنه أصحابه، و بقى فى أربعين رجلا منهم، فأراد أهل الحقل و ابن القدمى إنتهاز الفرصة لقّلة من معه، و باغتوه فى ثمانين رجلا من خيارهم، فثبت لهم الإمام حتى أعياهم، فتفرقوا عنه و امسكوا، و كانت الحرب بمجن، و لما علمت القبائل القريبة هبّوا سراعا لنصرة الإمام، و قالوا: قد اجتهدنا فى إغفال الحرب عن ابن القدمى بمخرجك إلى الشام، و الآن لا عذر لنا عن حربه و نكاله، لما كان منه، و كذلك فعلت القبائل البعيدة فشدّدوا الحصار و المضايقة لابن القدمى و أصحابه، حتى أجلوهم عن الدّرب و هربوا منه، فهدمه الإمام و كبس خندقه و بئره و

أحرق أبوابه و أخشابه، بعد أن قتل من أهل الدّرب ثلاثة رجال، و فى ذلك الوقت قال الإمام قصيدته التى أولها:

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۱۴ منازلنا للوافدين منازلو ساحاتنا للواردين مناهل

و كل دخيل عندنا الدهر مكرمو كل غريب نحونا فهو آهل

و كل امرىء فى هذه الأرض عالمبأنى فعول كلما أنا قائل

و منها:

دعوتكم فى ساعة العسر معلنافلم تسمعوا و الكفر فى الناس شامل

و كابدت هذا الناس وحدى و خاننىصديقى و أقصانى و أعرض عاذل

ثم رجع إلى الجبجب، و أما أهل الحقل فإنه زاد خوفهم و عزموا على الغدر بالإمام فقصدوه إلى الجبجب، برفاقة بنى بحر مظهرين النّدم و مضمرين الغدر و الخيانة، و لكنها خابت مساعيهم و طردهم الإمام من حضرته و أكرم وفادة بنى بحر.

خلاف اهل الجوف

فيها وفد على الإمام السلطان جحاف بن الرّبيع، و كان هو الوالى على الجوف من قبل الإمام ، فذكر أن بعض قبائل الجوف تمردوا و نزعوا أيديهم عن الطّاعة و حالفوا السلطان فليته بن العطاف النهمى، و جمعوا البوادى من جنب و نهم و غيرهم إلى الوادى، و قتلوا السلطان منيع بن أرحب و غيره من أنصار الإمام فأمر بجمع القبائل، و كان ممن وصل إليه البحريون، و معهم ابن القدمى و قالوا هذا جارنا قد أتينا به اليك فشفع فيه السّلطان جحاف، و سأل العطف عليه، فقبل الإمام شفاعته و عفا عنه تألّفا لبنى بحر، و رعاية لهم، و نهض الى الجوف، و لما دخل سوق الدّعام، ألتفّت حوله القبائل التى لم تنزع إلى العصيان و بعد أن راسل القبائل المتمردة، و دعاهم إلى الطاعة حاصرهم فى حصنهم، فما كان بأسرع من طلبهم الأمان، و إعلانهم الطاعة فأمنهم، و عاد إلى الجبجب و قد طوّع أهل الجوف البدو و الحضر.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۱۵

ظهور على بن مهدى الحميرى

و فى هذه السنة اشتهر أمر على بن مهدى بن محمد بن على بن داؤد بن محمد الرعينى ثم الحميرى، و كان يسكن بقرية الغبرة اسفل وادى زبيد و بها ولد، و كان ابوه صالحا فنشأ ابنه على طريقته، محبّا للعزلة متمسّكا بالعبادة غزير الدّمعة واسع الفكرة كثير المحفوظات فصيح العبارة كثير الوعظة و التحذير من صحبة الملوك، له رحلات إلى بيت الله الحرام، و فى أثناء رحلاته، كان يأخذ عن علماء العراق و وعّاظهم، و كان يخبر عن المستقبل، و يكاشف النّاس بكثير من الأمور، فيصدق فأفتتن النّاس به و طار ذكره، و كان أوّل ظهوره سنة ۵۳۱، و استمر على الحال المذكور من الصّلاح و العبادة و التّردّد إلى حرم الله إلى سنة ۳۶، فنال من احترام العامة و الخاصة، مكانة عاليه، و لا سيما عند الحرة علم أم فاتك بن منصور ملك زبيد فإنها أمرت باسقاط خراج أراضيه، و أراضى من يلوذ به من قريب و تابع، قال الجندى:

فلم تمض مدة حتى أثروا و صاروا أهل خيول صاهلة و عدد للحرب باهرة، و فراسة شاهرة، فكانوا فى ركوب الخيل كما قال الشاعر:

فكأنما نتجت قياما تحتهمو كأنما ولدوا على صهواتها

انتهى: و سيأتى الكلام على بنى مهدى و حكومتهم تفصيلا إن شاء الله.

ثورة الشريف المهول بحقل صعده

و دخلت سنة ۵۳۷ فيها ثار الشريف عبد الله بن محمد المهول، و كان أهل الحقل هم الذين حرّضوه على الخروج، فقصد الرّبيعة، و نحر على

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۱۶

مقابرهم ليثيرهم على الخلاف و الخروج على الإمام فاجتمع له منهم جماعة، و انضم إليهم غيرهم، و قصد الإمام الى الجبجب و لما نشبت الحرب انهزم أصحاب الشريف، و عادوا أدراجهم، و فى ذلك يقول الإمام من قصيدة يعاتب بها الأشراف منها:

و غشيرتى متربّصون جميعهم‌بى عثرة فى وقت كل عثار

لم آتهم بنكاية بل جئتهم‌بزيادة فى المال و المقدار

و لم يزل مقيما بالجبجب حتى بلغه ان أهل الحقل و بعض قبائل صعدة و غيرهم تجمعوا و أجمعوا على الخلاف، فأغضبه ذلك و سار إلى البطنة فنزل على الشيخ حسن بن قيس و أقام عنده إلى آخر سنة ۵۳۸، و فى ذى الحجة منها أرسل الإمام إلى كافة الشرفاء بنى على بمكة قصيدة يدعوهم بها إلى الجهاد و دخلت سنة ۵۳۹ فيها فتك السلطان هشام بن نباتة النّجرانى بالسلطان روح بن زريع، و كان الإمام قد عقد له أمانا فأغضبه هشام بن نباتة المذكور فجمع القبائل و سار إلى نجران لحربه و تأديبه، و لما وصل نجران أخرب دور المعتدين و قطع نخيلهم و تمّ له ما أراد من تأديبهم، ثم رجع إلى البطنة و بعد أيّام انتقل إلى هجرته بحيدان، فأقام بها سبعة أشهر ألف فيها كتابه المشهور بحقائق المعرفة فى علم الكلام. قال الشرفى فى اللآلىء المضيئة و هو كتاب جيّد التّصنيف حسن التأليف، و وفد عليه أثناء تأليفه الشيخ ابو الحسين بن أبى القاسم من ناحية بلاد عنس و جماعة معه فتعلّموه و نسخوا الكتاب و أعجبوا به .

و دخلت سنة ۵۴۰ فيها ظهرت بصعدة منكرات و أمور قباح، و كانت ولاية صعدة إلى آل الشمرى، فراسلهم الإمام و حذّرهم عاقبة الغى و الضّلال فلم يكترثوا بنصحه و نهيه، و لما تحقق له ذلك، جمع خولان لغزوهم،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۱۷

و لكن آل الشمرى خافوا، ففزعوا إلى جمع كميّة من المال من أهل صعدة و انفقوها لا حباط حركة الجيش المهيأ لتأديبهم، فتم لهم المراد.

و فيها وفد على الإمام السلطان هشام بن نباتة معتذرا مما فرط منه فاعذره، و أمنه و صرفه إلى بلاده.

ذكر من وفد على الإمام المتوكل من العلماء و خبر نزوله الى تهامة

و دخلت سنة ۵۴۱ فيها كتب الشّريف على بن عيسى و حمزة السليمانى من مكة إلى الإمام المتوكل يخبره بوصول الشّيخ الفقيه زيد بن الحسن البيهقى من بلاد خراسان، و أنه يريد الإتصال بحضرة الإمام، فرحب به الإمام و أكرم نزله، و كان الشّيخ المذكور عالما ورعا عابدا، أوصل معه كثير من الكتب فى فنون مختلفة، فأقام بهجرة محنكة بوادى حيدان فى ضيافة الإمام أيّاما، ثم انتقل الى صعدة و أقام بها مدة يدرس و ينشر فضائل أهل البيت عليهم السلام.

و فيها أيضا وفد على الإمام الشيخ الأجل محمد بن عليان كبير الشيعة بوقش و غيرها من الهجر، و لما استقر بحضرته أرسل لجميع الشيعة من بلاد خولان و أهل الهجر فيهم فوصل منهم عدد كثير بايعوا الإمام و تابعوه، و كان ممن وصل مع البيهقى رجل من فقهاء تهامة طلب من الإمام الإنتقال إلى جوار تهامة و مراسلة الشريف غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس السليمانى، و كافة الشرفاء من بنى سليمان بالموعظة و نهيهم عمّا كانوا عليه من الظّلم و الفسق

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۱۸

فأجابه الإمام، و نهض الى بلاد الأبقور و استنفرهم معه فأجابوه، و تحرك فى جيش كبير حتى نزل بموضع يقال له الصبابة أعلا وادى جازان، و لما علم به الشّريف غانم بن يحيى خشى أن تجتمع أهل تهامة عليه مع الإمام، ففرّق الأموال على أهل البلاد، ثم جمع الجنود

و قصد الإحاطة بالإمام و من معه، و لكن ذلك الجند فشل و تفرق، فلاذ الشريف بأهل الحبشة أمراء زبيد، و طلب منهم النجدة فلم ينجدوه، و أخيرا عدل عن هذا و ذاك، و استذرى بالإمام، و بذل له الطّاعة فاستوثق منه الإمام بالإيمان، و عاد إلى الجبجب و أقام فيه إلى سنة ۵۴۲.

و دخلت سنة ۵۴۳ فيها كانت الحرب بين يرسم و أهل صعدة، و كان الإمام بجبل بنى عويمر منهوكا مما لحقه من المرض على إثر تهامة، و لما عرف غلبة الصعديين ليرسم، تقدم من موضعه لنجدة اليرسميين، فدخل صعدة فى عدد قليل فأحاط به الصّعديون، و حاصروه فى الجهة التى دخل منها، و لم يتمكن من الخلاص إلّا بمشقة، و عاد إلى محلّه متعبا منهوكا، و استقر فيه إلى أن كان إجتماع الأشراف للنّظر فيمن يصلح للقيام بأمر الأمة كما سيأتى.

و دخلت سنة ۵۴۴ فيها أشترى الدّاعى محمد بن سبأ الزريعى من السلطان منصور بن المفضل بن ابى البركات الحميرى ما كان تحت يده من المدن و الحصون كالتّعكر، و إب، و جبلة، و غيرها، و قد تقدم ذكر الحصون

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۱۹

و المدن المذكورة فى السنة التى ماتت فيها السيدة الصليحية.

اجتماع الأشراف و مبايعتهم الإمام المتوكل على الله

و دخلت سنة ۵۴۵ فيها اجتمعت الأشراف فى مدر من بلاد حاشد، للنظر فيمن يصلح للإمامة و القيام بأعباء الأمة، و كان هذا الاجتماع العظيم مؤلّفا من كافة الاشراف العلويين، فكان مجموعهم ينوف على الألف، و حضر معهم من كبار الشّيعة و علمائهم من يهمهم ذلك الأمر، و لما كمل نظام عقدهم، أفاضوا فى البحث و التّنقيب عمّن يصلح منهم لمنصب الامامة و القيام بأمر الجهاد، و بعد إمعان فى التّفكير، قرروا أن الإمام المتوكل أحمد بن سليمان قد سبقهم فى التّقدم إلى الجهاد، و بذّهم فى القدرة على حلّ المشكلات، و إخماد نيران الفساد، فهو بها أولى، فأجمع رأيهم على متابعته و لزوم جماعته و اختاروا منهم ثلثمائة رجل للوفادة عليه، و إبلاغه القرار المجمع عليه، فسار الوفد إلى حضرة الإمام الى الحجب، و لما وصلوا إليه سرّ بهم و أكرمهم، ثم انهم عرضوا عليه قرار ذلك المؤتمر، فرفض قبول الأمر، و اعتذر لهم بما لقيه منهم من الإعراض و الجفوة عند ما كان يدعوهم فى الأزمات التى لقيها من السنين الماضية، فقالوا له: قد كنت تدعونا فلم نجبك فكانت لك الحجة علينا، و اليوم قد صارت لنا الحجة عليك، و قد ألقينا مقاليدها اليك فقال: تالله لا كانت لكم الحجة علىّ، و بادر بالنّهوض إلى الجوف، و فى أثناء مسيره، وصله كتاب من أخيه عبد الله بن سليمان من حوث يقول فيه انه قد فشا الفساد، و فاضت الموبقات و ركب الناس رؤوسهم فى المنكرات، و استرسلوا إلى الشّهوات بحيث لو أراد إصلاح قرية واحدة لتعذر عليه إصلاحها، و لو جمع ما فى قرية واحدة من قرى الظاهر من الخمر لسال إلى موضع بعيد، و نبأ على تمكن الرذائل فى النفوس، فهو ينصح له بالرجوع من حيث أتى فلم يتأثّر الإمام بما فى كتاب أخيه، و قال: لا يلزمنى أن أرجع لأجل كتاب، بل أتقدّم إلى أوّل قرية فإن نزّهتها عن المنكرات

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۲۰

و قمعت أهلها فالذى بعدها يجرى مجراها، و لقيه الشيخ عيسى الوادعى، فكان له نعم العون فى إزالة المنكرات من بلاد وادعة، و لما وصل إلى حوث تلقّاها أهلها بالسّمع و الطاعة، و أتاه القاضى الأجل نشوان بن سعيد الحميرى مهنئا بقصيدة أولها:

سلام الله كل صباح يومعلى خير البرية اجمعينا

على الغر الجحاجح من قريش‌أئمتنا الذين بهم هدينا

و منها:

فأبلغ ساكنى الأمصار إنّابأحمد ذى المكارم قد رضينا

بأكرم ناشىء أصلا و فرعاو أعلا قائم حسبا و دينا

رضينا بالإمام و ذاك فرض‌نقول به و نعلن ما بقينا

إلى آخرها: ثم نهض من حوث إلى بلد بنى قيس فلقيته بنو صرم و بايعوه، و كان يرغب فى إجتماع العلويين بالجوف و انضمامهم إلى ذلك المحل ليكوّنوا قوّة يعتمد عليها عند الحاجة، و لما رأى تقاعسهم عن هذه الغاية قال قصيدة يؤنبهم بها، و يحضهم على الإنتقال معه إلى الجوف، و العمارة بعمران و أولها:

يا بنى هاشم بنى الأخيارو بنى المنجبين و الأطهار

و منها:

انتم فوق ما ذكرت و لكن‌قد بليتم بالقلّ و الاعسار

و اعتمدتم على الشحاذة و البرّو ذلّ السّؤال و الاعتبار

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۲۱ سير المقعدين و الخذم و العميان‌و المطربين و الشعار

ان هذا لهو الخسارة و العجزو هذا رأس نجد أو البوار

فانكفوا يا بنى علّى و قوموا و اغضبوا من فعال أهل الصغار

و اسمعوا ما اقول و اتبعونى‌بجيوش و جحفل جرار

بمحل و هجرة فى بلادزيّنت بالأنهار و الأشجار

فيها لمّ شملكم و إليهاإجتماع الأعوان و الأنصار

و هى أطول من هذا، و لما انتقل إلى أثافت، وصل اليه الشيخ طريف بن يحيى السنحانى، و الشّريف محمد بن عبد الله العلوى، فى جماعة من أهل سناع و اخبره بمقتل الشيخ محمد بن عليان فى سوق سهمان، و المتهم بقتله السلطان حاتم بن أحمد و سلمة بن الحسن الشهابى و ذلك لما عرفا منه من الجدّ فى نشر دعوة الامام دسّا عليه من قتله فغضب الإمام لهذا الخبر، و نهض من فوره فى جماعة من الاشراف، و أهل سناع إلى الجوف، و عزم على إتّخاذه دار هجرة بعد أذن السلاطين ربيع بن الجحاف و كافة إخوته، و بنى عمّه، و كذلك السّلطان فليته بن العطاف النّهمى فأوسعوا له الجناب و تلقّوه بالترحاب.

إنتقال الإمام إلى عمران و فتح صنعاء

ثم انه انتقل من الجوف إلى عمران بقصد التّقرب من صنعاء و جهاتها، و عمر «المقيلد» و هو من المعاقل القديمة فحصنه و حفر بيره، و لما علم السّلطان حاتم جهّز جيشا لمحاربته فتحركت القبائل لنصرة الإمام و هرع إليه أهل الهجر من بكيل و بنى شهاب و نواحيها، فاجتمع منهم زهاء ألف و أربعمائة رجل فيهم خيار علمائهم و فقهائهم، و أهل المعرفة منهم حاشا ألفاف القبائل و رؤساء العشائر و خيار الأشراف فكسروا جيش السّلطان حاتم، و طلبوا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۲۲

من الإمام الزّحف على صنعاء، فاغتنم الفرصة و نهض بذلك الجمع فسلك طريق براقش و مر بوادى محرز، ثم طلع نقيل سامك و كان حاتم بن أحمد قد عهد بمحافظة النقيل إلى أهل السّر و خوفهم من الإمام و جنوده فانتدب منهم جماعة لصد من يقصدهم، و لزموا رأس النقيل، و بينما هم كذلك إذ عاينوا الإمام و جنوده يصعدون النّقيل، فتركوا مواضعهم، و استقبلوا الإمام بالطاعة و طلب الأمان فأمّنهم، و نزل بموضع يقال له دار الخروب، و هى أطلال قديمة، ثم واصل سيره إلى أن وصل غيمان من بلاد بنى بهلول من الأنباء فبايعته الأنباء و جاءته بنو شهاب فى عساكر كثيرة الى غيمان فبايعوه و استنهضوه إلى بلادهم، فسار إلى حدّة بنى شهاب، و أقام بها أياما، ثم وصله السلطان سلمة بن الحسن الشّهابى، و سلّم له بيت بوس، فانتقل إليه الإمام و مكث فيه أياما يراسل القبائل البعيدة

كمذحج، و الهان، و بكيل، و غيرهم لمهاجمة صنعاء، و فى أثناء هذه المدة أرسل بعض خدمته إلى صنعاء ليبتاع له ورقا و صابونا فعلم به السلطان حاتم و طلبه اليه و سأله عن الإمام و قوته، ثم سلم إليه كتابا إلى الإمام كتب فيه :

أبا الورق الطلحى تأخذ ارضناو لم تشتجر تحت العجاج رماح

و تملك صنعا و هى كرسى ملكناو نحن بأطراف البلاد شحاح

فلما وقف الامام على البيتين، قال: نعم نأخذها إن شاء الله، و سرّح الجنود لفتحها من ساعته و بقى فى بيت بؤس، و كانت همدان قد اجتمعت بصنعاء فدارت رحى الحرب، و استمر الطّعن و الضّرب على جوانب المدينة، ثم إن اهل السّرار من أهل صنعاء دخلوا الجامع الكبير و أظهروا الخلاف،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۲۳

و ثاروا على همدان وسط المدينة، فتمكّن الجند الهاجم من إحتلالها، و تحصن السّلطان و خاصته بغمدان ، و أسرع بإرسال رسوله إلى الإمام يطلب الأمان له و لمن معه فأمّنه، و لما خرج لمقابلته إلى بيت بوس و شاهد كثرة من اجتمع لحربه مع الإمام انشد:

غلبنا بنى حوا بأسا و نجدةو لكننا لم نستطع غلب الدهر

فلا لوم فيما لا يطاق و إنمايلام الفتى فيما يطاق من الأمر

و بعد أن عفا عنه الإمام طلب منه البيعة، فبايعه، و دخل الإمام فى اليوم الثانى صنعاء دخولا معظما، نظمت فيه القصائد، و هنّته الشعراء و أقبل عليه النّاس من كل جهة، و استعمل على القضاء بصنعاء القاضى جعفر بن أحمد بن عبد السلام ، و أما السلطان حاتم فانه أنتقل إلى المنظر ، و استقر بها برهة ثم بلغ الإمام عنه ما غيّر الصفو بينهما فالتقيا الى عرم السدّ و افترقا على غير طائل و سار حاتم الى حصن الظفر و وقف حتى تفرقت الأشراف و زحف إلى صنعاء فخرج الامام لحربه إلى شعب الجن تحت براش، و كانت بينهما مناوشة.

و فى الخزرجى : أن الإمام لما أطلع على البيتين المتقدّمة نهض بعساكره من ذمار إلى موضع من بلاد سنحان يقال له الشرزة، و كانت عساكره ثمانين ألفا منها ألف و خمسمائة فارس، و الباقى رجّالة و كان المصاف فى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۲۴

الشرزة، فانكسرت همدان، و قتل منهم نحوا من خمسمائة أكثرهم من سنحان، و انهزم السلطان حاتم إلى صنعاء و تبعه عسكر الإمام، و خالفت اهل صنعاء مع الإمام و ساق الخبر على النمط المتقدم، و ليس بصحيح فإنّ عزم الإمام إلى ذمار، كان بعد هذا التاريخ كما ستراه، و قد أعتمدنا على ما كتبه مؤلف السيرة.

قال فى انباء الزمن : و فى هذه السّنة نزل مطر فى جميع اليمن يشبه الدّم حتى بان اثره فى الأرض و الثياب.

ظهور دولة على بن مهدى الحميرى

و دخلت سنة ۵۴۶ قال فى أنباء الزّمن: فيها كانت بيعة على بن مهدى صاحب وادى زبيد، و هى البيعة الثانية بعد موت علم النجاحية على جهاد من فى زبيد من بنى نجاح، و من تابعهم من العرب، و أمر أصحابه بقتل من خالف مذهبه، و إن كان من قومه، و هذى أول عقائده الفاسدة، ثم ارتفع إلى محل يقال له الرأس من اعمال و صاب، و انتقل منه إلى حصن الشرف و سمّى من صعد معه من تهامة المهاجرين، و من اتاه من الجبال الأنصار، و جعل على المهاجرين ابن عمه نقيبا و على الأنصار نقيبا و سمّى النقيبين شيخى الإسلام، و كان لا يخاطبه غيرهما، و ربّما احتجب عنهما أحيانا، و هما يتصرّفان فى الأمور، و ما زال يكرّر الغارات على زبيد حتى أخرب المحلات المتوسّطة فيما بين الجبال و زبيد، و كان يرى جهاد الحبشة آل نجاح واجبا لما هم عليه من الفساد و مخالفة رب العباد، لكنه قابل المنكر بالمنكر، و نهى عنه بما هو

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۲۵

انكر : انتهى. و ذكر فى حوادث سنة ۵۳۶ بيعته الاولى و أنه قصد مدينة الكدرا بمن بايعه، و بها إذ ذاك القائد إسحاق بن مرزوق السحرتى فدحره عنها و أرجعه إلى الجبال فأقام بها ثم كتب إلى الحرّة علم يسألها الذّمة و العفو له و لأصحابه، ففعلت على كره من أعيان دولتها و فقهاء بلادها، و عاد إلى مزاولة أعمال الزراعة بوادى زبيدة مدة سنين حتى ماتت علم النجاحية سنة ۵۴۵.

و ذكر الجندى و الخزرجى و غيرهما خبر ثورته الأولى و مبايعته سنة ۳۸ ثم عودته إلى الجبال، و مكث الى سنة ۵۴۱ و كاتب الحرّة علم يسألها الذمّة ففعلت و عاد الى وطنه و أقام يستغل املاكه فلما ماتت الحرة فى التاريخ المتقدم، بايعه أصحابه البيعة الثانية بقرية القضيب من أوطان زبيد سنة ۵۴۶ و لما انتظمت له البيعة، قام فيهم خطيبا، فقال فى خطبته: و الله ما جعل الله فناء الحبشة إلّا بى و بكم، و عمّا قليل ان شاء الله سوف تعلمون و الله العظيم ربّ موسى و هارون و إبراهيم انى عليهم ريح عاد و صيحة ثمود، و انى احدثكم فلا أكذبكم، و اعدكم فلا أخلفكم، و لئن كنتم أصبحتم قليلا لتكثرن، أو وضعاء لتشرفن، أو أذلّاء لتعزّن حتى تصيروا مثلا فى العرب و العجم «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى» فالاناة الاناة فوحق الله العظيم على كل مؤمن موحد لأخدمنكم بنات الحبشة و اخواتهم و لأخولنكم اموالهم و اولادهم وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ الآية

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۲۶

ثم قصد الجبال بجمع سمّاهم المهاجرين، و أقام بموضع يقال له الداشر ، ثم ارتفع عنه إلى حصن يقال له الشرف لبطن من خولان حالفهم و سماهم الأنصار، ثم ساء ظنه بجميع عسكره فاحتجب عنهم و جعل للمهاجرين نقيبا و للأنصار كذلك و سمّاهما شيخى الاسلام، فكان لا يدخل عليه غيرهما و استمر يوالى المغار على جهات زبيد، حتى دمّر القرى، و عطل المزارع، و اهلك الحرث و النسل، و الله لا يحب الفساد، و لقد كان هذا الرجل نسيج وحده فى طغيان جمع بين القسوة و النّزوة و الزهد و الشدّة، و الشجاعة و الضراعة، كان حنفى المذهب، و لكنه يكفّر بالمعاصى و يقتل مرتكبيها و يستبيح قتل مخالفيه، و سبى ذراريهم فخرب البلاد، و أهلك العباد، كان سيىء الظن بأصحابه، عظيم الإعتماد عليهم فى تنفيذ دعوته، شديد الوطأة عليهم أيضا، و قد استطاع بمكره و ذكاء فطنته، أن يستولى على قلوب أتباعه، و كانت قبيلة عك دعامة نهضته، و أصل مادته استعملهم لتدعيم سلطته ففتكوا بقومه و قبيلته من حمير و استطالوا عليهم بسلطانه. حتى أذلّوا نخوتهم، و ارغموا معاطسهم، و أخرجوهم من ديارهم، و قد أشار إلى هذه الأحداث الشيخ العلامة البليغ أحمد بن خمر طاش الشراحى الرعينى الحميرى الوصابى فى مقصورته التى ذكر فيها ابن مهدى و أحداثه، و ما فعلته عك بحمير من التشريد و التطريد، و سرد فيها ما كان لملوك حمير من الغلب و الملك، و من والاهم من سادات العرب و أول هذه المقصورة:

تأدب القلب تباريح الجوىو عاده عائد شوق قد ثوى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۲۷

و منها فى ذكر الدّيار التى كانت لحمير أيّام على بن مهدى، فساروا عنها و تفرّقوا تحت كل كوكب، من جراء ما لحقهم من إرهاق عك و طغيانهم:

عفّى المسيل فالنخيل فالصوىالى النقيل فالمقيل فالملا

فالسفح من سرول فاعراض منباله عنى بالغ فالدوح الغضا

فملتقى البطنان من بطينةفملتقى الأجراع من رعى اللوا

فالنهج من قولس فالمسقط منحصن قوارير فاكناف الحما

الى ان قال:

الملك القائم من فرع سباو القتل و التطريد فى آل سبا

إلى آخرها و هى طويلة و فيما سيأتى حركة بن مهدى

بقية اخبار الامام المتوكل بصنعا

كان دخول الامام صنعاء آخر العام المنصرم، و ما كاد يستقرّ بها، حتى وفد بنو الزّواحى، و كان اليهم أمر كوكبان فأذعنوا و اطاعوا و رهنوا بعض أولادهم على تسليم الحصن فأبى الشريف على ربحى إلّا حربهم و حصارهم، و أعانه على هذا العزم قوم من صنعاء و زعموا ان أهل كوكبان ان على مخلصين فلا بد من معالجة الشر بالشرّ كما يداوى شارب الخمر بالخمر، و نهض الشريف بجموعه لحصار كوكبان، و قد نهاه الإمام عن حربهم إكتفأ بطاعتهم و انقيادهم، فلم ينته الشريف، و أقام محاصرا الكوكبان، و لما وقع القتال على الباب الذى من جهة الضلع من ناحية المغرب، كان الجند الواقف بازاء هذه الجهة من قيلاب من ناحية مسور،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۲۸

و هم قوم لا عادة لهم بالخيل، و قتالها، فلما داهمتهم همدان بخيولها أكثروا فيهم القتل و هزموهم، و انهزم قائد الحملة أيضا الشّريف و أهل صنعاء إلى صنعاء و لسان حاله تنشد:

و انى و اياهم كمن نبه القطاو لو لم ينبّه باتت الطير لا تسرى

و بعد هذه الهزيمة تداعت همدان للخلاف، و أعلنت الفساد و على رأسها زعيمها السلطان حاتم بن أحمد و اجتمعوا إلى الرحبة، فصمد لهم قوم من جنب، و انهزمت همدان، ثم انهم تجمعوا مرة أخرى، و هاجموا قرية منكل و فتكوا ببعض من فيها و نهبوها، فأراد أهل صنعاء الانتقام منهم، و أجمعوا على الخروج لحربهم، إلى علب، فنهاهم الإمام لعلمه بعجزهم عن المقاومة، فلم يقفوا عند نهيه و خرجوا فهزمتهم همدان، و قتلت منهم، و سار الشريف على بن يحيى لاستنفار مذحج على كره من الامام، فاجتمع له قوم من عنس، و زبيد، و جنب، فلقيهم حاتم بن أحمد بجموعه، بموضع يقال له رعام ، فكانت هنالك وقعة عظيمة انهزم فيها أصحاب الشّريف، و خرج الإمام من صنعاء، لإنجاد الشريف، و استخلف على صنعاء السّلطان الخبير بن سلمة الشهابى و رجالا من الأشراف و بنى شهاب فأمسى بغيمان و وافته أنباء الهزيمة إليها، فلم ير بدّا من التقدم إلى ذمار، و لما علم بعزمه حاتم بن احمد قصد صنعاء فدخلها، و لم يغير على احد من أصحاب الإمام مخافة العواقب.

حرب القليس و سير الإمام الى الجوف

لما وصل الامام الى ذمار جمع خيلا من جنب نحو ثلثمائة فارس، و عارضه عبد الله بن يحيى فى سبعمائة فارس ممدّا لحاتم بن أحمد، و كان

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۲۹

حاتم قد جمع من همدان و نهد و سنحان خمسمائة فارس و ثلاثة آلاف راجل، و لما بلغه خبر عبد الله. بن يحيى و من معه نهض لحرب الإمام، و التقى الجمعان بموضع يقال له القليس ، و هنالك تدانى الفريقان، و التقت حلقتا البطان و دامت الحرب من أول النّهار إلى آخره، ثم حملت خيل حاتم على أصحاب الإمام حملة واحدة فأفترق أصحاب الإمام ثلاث فرق فرقة لحقت بالجند المحارب، و فرقة لاذت بالجبل فارة، و فرقة ثبتت معه، ثم انه حمل بنفسه على الأعداء حتى خالط صفوفهم و فرقهم ذات اليمين و ذات الشمال، و خرج من بينهم، و لحق بأصحابه الذين لاذوا بالجبل و أنجاه الله منهم و سار نحو الجوف فى شهر جمادى الآخرة من السنة و أقام بعمران إلى شهر شوال، ثم انتقل الى محله بالجبجب، و أقام فيه إلى أن بلغه أن حاتم بن احمد يريد الخروج لحربه، إلى تلك الجهة فأغضبه ذلك، و عزم على أن يقصد حاتم و يحاربه فى بلاده و بادر بالنّهوض الى خولان و له فى ذلك قصيدة طويلة أولها:

على رسلكم يا أيها الطلقاء تأنوا ففى خير الامور أناء

اتسعجلون الشر منا و قبل ذاجرت نقم حلت بكم و بلاء

و منها:

و ما منكم إلّا أسير أسرتهو أطلقته فالكل لى أسراء

و يوم دخلنا درب صنعاء عنوةو فيه رجال منكم و نساء

دخلنا و للنسوان من خوف بطشناصراخ و للأطفال فيه ضغاء

و دخلت سنة ۵۴۷ فيها نهض الإمام بجموعه إلى مدع فأقام فيه شهرين ثم سار إلى جبل مسور، و منه إلى يناع، و كان فيه الشريف على بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۳۰

يحيى، فتغيب من الإمام لأنه لم يحسن السيرة و لاقاء للإمام، فأقام بيناع أياما راسل فيها اهل الهجر، و حرضهم على الجهاد، و حثّهم على متابعته، و كانوا قد تقاعدوا عن نصرته و قالوا إلى حاتم بن أحمد، فتابعوه، و أجابوا، ثم تقدم الى نواحى ذمار عن طريق خولان، و قد انضم اليه جميع من مرّ بهم من القبائل كخولان و جنب و مذحج و غيرها، و أصبح ذا قوة كافية لإخضاع حاتم بن أحمد و غيره، فجاهر هذه القبائل بأنه يريد بهم غزو عدن، فخاف حاتم بن أحمد، و هرع إلى ذى جبلة، و طلب من الدّاعى محمد بن سبأ الزريعى صاحب عدن، أن يلاقيه إلى ذى جبلة فلم يتأخر محمد بن سبأ، و لما أتفقا عرض حاتم بن أحمد مسألة الإمام و التفاف قبائل البلاد حوله، و اتفاقه معهم على مهاجمة عدن أول المحرم سنة ۵۴۸، و عرفا أنّه لا طاقة لهما بحربه، فعدلا إلى استخدام المال، و بذل محمد بن سبأ لجنب عشرين ألفا و لمذحج قريبا منها و فرق فى رؤساء العسكر و غيرهم، كميات وافرة، و لما رجع أحمد بن حاتم بهذه الأموال و فرّقها على المذكورين، أجمع رأيهم على مصارحة الإمام بما ارتكبوه من الدناءة، فسار إليه ألفان منهم، و هو برداع العرش، و قالوا له: يا مولانا قد أخذنا بسببك (لقمة كبيرة و إنّا نحب ان تسوّغها لنا) و تهب لنا صنعاء و عدن، فى هذه المدة، و تخرج بنا حيثما أحببت إمّا لشبوة ، و اما لبيحان، و اما لحضرموت، أو نجران أو الجوف، أو صعدة، فقال: أما صعدة و نجران و الجوف، فهى لى و من قبلى، و أمّا غيرها فإنى أخاف أن تحصل لكم لقمة أخرى فتأخذونها، و غضب لإرتكاسهم فى مهواة الأطماع، و رجع عنهم إلى عمران عن طريق

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۳۱

مراد ، فوادى مأرب، فالجوف، و منه إلى عمران و تكبّد فى طريقه هذه من المشاق ما يوهى القوى، و يوهن الأعناق، و روى الخزرجى سببا آخر لتخاذل قبائل جنب عن الإمام، و هو انه وصل إلى جنب، و كان بينهم قتول كثيرة، فأراد الإمام أن يصلح بينهم، و يجمع كلمتهم، فلما علم السلطان حاتم بن أحمد بذلك، ركب فى رجال من همدان، و قصدهم إلى قرب ذمار، فوصل، و قد اجتمعت قبائل جنب بأسرها لملاقاة الإمام، فدخل وسط الحلقة، و هو على حصانه، فلم ينكروه، و قال: حياكم الله يا وجوه العرب، لا يعيّب علىّ من خلفى فما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه، و لا وجهين فى رأسه، ثم قال: وصلناكم يا وجوه العرب لأمر لكم فيه شرف، و لنا فيه عز إلى حين فرحّبوا به و عرفوا مقصده، فقال: علمت أنكم فى طلب الإصلاح، و أخذ ذمم بينكم، و هدم قتول من عشائركم، فرأيت أن ألمّ شملكم؛ و أقطع عنكم ما تحاذرون، و أتحمل فى مالى ديات قتلاكم فحمدته على ذلك و من حضر من قبائل العرب، ثم أفترق ذلك الجمع، وراح معهم إلى ذمار، و كتب إلى أهله بصنعاء:

مملوك بعضهم و والد بعضهمو شقيق بعضهم و هذا جامع

أبليتهم حملى ديات عتيدة ان المكارم فى الرقاب ودائع

فليسرعوا من فورهم تصديرهامتعّمدين نفاذ ما أنا صانع

و أنفذ بالكتاب رسولا على الفور، فما لبث أن عاد الرّسول بالمال و كانت ديات جمة، ففرقها لجنب، و فرق جموع الأشراف انتهى.

و لما استقرّ الإمام بعمران هذه المرة، وجّه عنايته نحو الزّراعة، و اتخذ مزارع واسعة و بينما هو مكبّ على عمله إذ وفد عليه ولده المطهر بن أحمد فى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۳۲

جماعة من الأشراف، و ذكروا له ما ظهر بصعدة من الاستهتار بشرب الخمرة و سألوه النّهوض إليها لإزالة المنكر، فلم يجد الإمام بدّا من المسارعة و المسير اليها، و لما دخلها أمر بإحضار من ثبت انه شرب و إقامة الحد عليه، فأحضروا، و أمر بجلدهم و اغلظ لهم فى الكلام، و أمر بهدم كنيسة كانت لليهود هنالك، ثم خرج إلى الجبجب، فأقام فيه أيّاما، ثم سار إلى مسلت، و وقع الخوض فى الصّلح بينه و بين حاتم بن أحمد فالتقيا الى بيت الجالد، و تقرر الصّلح على منع الخطبة للباطنية بصنعاء و إظهار مذهب الهادى عليه السلام، و الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر، فقبل حاتم ذلك، و نفذ شروط الصلح، و عاد الإمام إلى الجوف، ثم سار منه إلى الجبجب، و أقام فيه، و دخلت سنة ۵۴۸ و الامور ساكنة.

تظاهر يام بمذهب الباطنية و مسير الإمام لحربهم

و دخلت سنة ۵۴۹ فيها بلغ الإمام ان قوما من يام بالخانق أظهروا مذهب الباطنية و ارتكبوا المنكرات جهارية، و تركوا صوم رمضان، و أحيوا ليلة الإفاضة، و جاءت إمرأة منهم تشكو إلى الإمام، أن ولدها غشيها، فى تلك الليلة فغضب الإمام لذلك، و نهض إلى بلاد بنى شريف و سنحان، و دعاهم الى قتال يام فأجابوه و انضمت إليه أيضا قبائل من نهد و خثعم و تثليث، و بنى عبيدة، و سار بالجميع الى وادعة، فوافاهم و قد لزموا جنبتى وادى غيل جلاجل، فقابلهم جند الإمام، و عظم النزال و اشتد الصدام، و انهزمت يام و وادعة بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة، و غنم أصحاب الإمام ما وجدوه، و أقاموا ثلاثة أيام يهدمون منازل المفسدين، حتى أجلوهم عنها إلى نجران، و اقفرت بلادهم، و خلت عن أهلها، و هى مسير ثلاثة أيام، و فى هذه الوقعة يقول الإمام عليه السلام:

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۳۳ الله أكبر اى نصر عاجل‌من ذى الجلال بفتح غيل جلاجل

كم منّة منه علىّ و نعمةو سعادة تترى و فضل فاضل

كفرت به يام و وادعة معاو تجبّروا و تمسكوا بالباطل

و أتوا من الفحشاء كل كبيرةفعلا و قولا فوق قول القائل

إلى آخرها: و بعدها رجع إلى الجبجب، و مكث إلى آخر شهر شعبان من السّنة، و طلع مغرب بلاد خولان، فصام هنالك رمضان، و بلغه أن الشريف قاسم بن غانم بجبل العرو طلع من تهامة لخلاف نشب بينه و بين أخيه وهاس بن غانم فواجهه الإمام إلى هنالك، و أكرمه فطلب الشّريف من الإمام النصرة على أخيه، فرحّب به الإمام، و سار به إلى صعدة ثم انتقل به إلى الجوف، و كان ما سيأتى.

قال فى انباء الزمن : و فيها كانت قصّة أهل المعلّق و هى قرية ما بين الكدرا و المهجم، و هى ان الله تعالى أرسل عليهم سحابة سوداء مظلمة أتتهم من جهة اليمن، فيها رجف شديد و برق و نار تلتهب، فلما رأوا ذلك زالت عقولهم، و التجأ بعضهم إلى المساجد فغشيهم الأمر، و احتملت الريح أكثر القرية من أصلها بمن فيها من الناس و الدّواب حتى القتهم فى محل نازح عن القرية بنحو خمسة أميال، فوجدوا حيث ألقتهم الريح صرعى و لبعضهم انين، و لم يلبثوا ان هلكوا.

و فيها أيضا سقطت حجر من السماء فوقعت فى الصّلاحفة قريب من ذى جبلة، و حصلت رجفة شديدة تزلزلت منها تلك الجهة بأهلها، و فيها أيضا حصلت زلزلة عظيمة من صنعاء إلى عدن، هلك فيها عدد كثير من النّاس،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۳۴

و انهدم كثير من القرى و الحصون فسبحان المخوف بالآيات.

و فى الخزرجى قال: و فى سنة ۵۴۹ سقطت حجر من السماء فوقعت فى الصلاحفة موضع قريب من ذى جبلة، و وقعت رجفة شديدة تزلزلت منها الأرض بأهلها، و ذلك فى يوم الجمعة السادس من شهر ربيع الأول من السنة، و انشقت السماء وسط النهار و ظهر نجم و بعده دخان فى المخلاف الأخضر ، و حصلت بعد ذلك زلزلة شديدة فى اليمن من صنعاء إلى عدن هلك فيها عدد لا يحصى من النّاس، و انهدم كثير من الحصون و القرى و المساكن، و ذكر أسماء الحصون و القرى و المساكن و عدد النفوس التى تلفت فى هذا الزّلزال، نرجو الله ان يعاملنا بلطفه، و هو أرحم الرّاحمين.

و قال فى المستبصر ما لفظه: ذكر المغلف و الأسيخلة هما قريتان من أعمال الحبشة إحداهما المغلف و الثانية الأسيخلة فبينما القوم فيما هم عليه من أحوالهم، الرجال تحرث و النساء تغزل و الحمير تتناهق، و الكلاب تتنابح إذ ارتفعوا عن أعين الخلق إلى يوم القيامة و لم يدر أحد ما أصابهم، و لا- ما فعل الله بهم، و لا ما كان منهم و ذلك سنة ۵۶۴ فبقوا مثلا- إلى يوم الدين، فيقال طار بك برق المغلف، و الاسيخلة، و خسف بقرية العمالق من أعمال الأشعوب يمانى صنعاء فأصبح الصباح، و لم توجد عن القرية و أهلها و دوابهم من خبر سنة ۴۶۵ فاعتبروا يا أولى الأبصار انتهى.

و فيها تجهز الإمام من الجوف لحرب اسعد بن حسين صاحب شوابة و كان قد نكث بيعة الإمام و استدعى بقوم من همدان، و جمع معهم من سفيان

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۳۵

خيلا و رجلا و تحصّن بهم فى حصنه و كان منيعا فحاصره الإمام و ضيّق عليه و ما زال أصحابه يتقرّبون من درب حصن أسعد حتى أقتحموه فاستسلم من فيه، و طلبوا الأمان فأمّنهم الإمام و اخرجهم بنفوسهم لا غير، و أمر بأخذ ما كان فى الدرب من أثاث و بقر و طعام، و غير ذلك ثم أمر بهدم الدّرب و إحراقه، فلما نظر أسعد ما حلّ بالدّرب، و من فيه طلب الأمان و الذّمة لوصوله إلى الامام فأمنه، فلمّا مثل بين يديه حلف له يمينا على عدم العود، و كان قد سبق منه مثل ذلك، فقال الإمام: لقد استبطأت انتقام الله لهذا على الإيمان التى يحلفها و يفجر فيها، و عاد الإمام إلى الجوف، و أقام فيه إلى سنة ۵۵۵ و فيها نهض لحرب الشريف وهاس بن غانم، فانتقل إلى الجبجب و معه الشريف قاسم بن غانم، و طلب قبائل يام و وادعة، و همدان و نجران، فلما وصلوا، و همّ أن يتقدم، قالوا له: ان الطريق على خولان، فإن نهضت خولان نهضنا، و كان الشّريف وهاس قد أرسل بمال لخولان فتقاعدوا عن نصرة الإمام، و تعذّر عزم تلك القبائل معه لإمتناع خولان فتحوّل الإمام إلى بلاد عنز و خثعم، فمرض هنالك، و اعتذر للأمير قاسم بما كان، و رجع إلى الجبجب مريضا، و بلغه ان جماعة من صعدة تظاهروا بشرب الخمر، فأمر من يأتى بهم إليه فأمتنعوا، و أظهروا الفساد فقصدهم الإمام و لما أظهروا المقاومة و الإمتناع، حاصرهم حتى ضاقت بهم الأقوات و نفد ما معهم، فخرجوا إليه مستسلمين، و سلّموه مفاتيح دروبهم، و طلبوا منه العفو فعفا عنهم، و كانت مدة الحصار سبعة أشهر.

و دخلت سنة ۵۵۱ فيها قتل القائد سرور صاحب زبيد بمسجده أثناء صلاة العصر، و بقتله ختمت دولة العبيد، و كان الذى قتله رجل من أصحاب على بن مهدى و إليه ينسب مسجد سرور بمدينة زبيد، و كانت ولايته الوزارة سنة ۵۳۱ و قد ترجمه الخزرجى و اطال فى الثناء عليه، قال الجندى: و قد

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۳۶

تأملت دولة الحبشة فى ابتدائها و انتهائها، فرأيت ابتداءها برجل مبارك، و هو الحسين بن سلامة، و انتهاءها برجل مثله، و هو هذا سرور رحمه الله، و قال الديبع فى كتابه بغية المستفيد و فى أيام وزراء آل نجاح عمل القاضى الرشيد أحمد بن الحسين بن على بن ابراهيم بن الزبير الغسانى الاسوانى المجرى الذى يدخل مدينة زبيد من النّاحية الشرقية بحكم الهندسة و كان أوحد عصره فى ذلك انتهى.

وقعة الشرزة أو نجد شيعان و دخول الإمام صنعاء

بينما كان الإمام مشغولا بحصار صعدة إذ بحاتم بن احمد يتوغّل فى الجهة الشمالية، و يقصى عنها عمّال الإمام فأخذ قلعة ضهر ، و نجر ، و تقدم لحصن ضباعين فأخذه، و سار إلى شوابه، و كاد أن يستولى على سائر تلك الجهات، فترك الإمام صعدة و انتقل إلى الظّاهر، ثم إلى الجوف و وصله حاتم بن معن بن الغشم مناويا لحاتم بن احمد فبايعه و كان قد استدعاه زيد بن عمرو كبير جنب إلى ذمار، فانتهز الإمام الفرصة و هرع الى ذمار، و كانت قد خربت و أقفرت عن السكان، و لم يبق بها ديّار، فلما دخلها الإمام بذل جهودا كبرى و استنفذ كل قواه فى سبيل إعادة عمرانها و اصلاح ما أفسدته مساعى زيد بن عمرو، السّاعى فى خرابها فتراجع إليها أهلها، و عمروها، و شكروا صنيع الإمام، ثم إنه انتقل منها إلى بلاد جنب و معه زعيمها زيد بن عمرو، فأقام فيهم تسعة أشهر يعدّ العدة لمنازلة حاتم بن احمد، و مهاجمة صنعاء، فاجتمعت إليه القبائل من جنب و عنس و مذحج، و زبيد و نهض بهم نحو

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۳۷

صنعاء فى شهر شعبان سنة ۵۵۲، و لما بلغ الموضع المعروف بنجد الشرزة أو نجد شيعان ، تلقّته جنود حاتم بن احمد، و هنالك تلاحم الفريقان، و تدانى الجمعان، و استحر الطّعن و الضرب، و كادت الحنود الإمامية أن تولّى الأدبار، فابتهل الإمام الى الله سبحانه، و كان من جملة دعائه ذلك اليوم قوله: (اللهم انه لم يبق إلّا نصرك اللهم أن يظهر علينا القوم يذهب دينك) فأرسل الله تعالى ريحا عاصفا من جهة المشرق قابلت وجوه أعدائه فكانت الهزيمة عليهم، و صاروا درئة لرماح الجند الأمامى، و مرمى لطعانهم حتى انجلت المعركة عن خمسمائة قتيل و خمسمائة أسير من اصحاب حاتم بن احمد، و تعقّبهم جند الإمام إلى صنعاء و خشى الإمام على صنعاء و أهلها من معرة الجند الفاتح، فبات على غيل ابن الاسود ، ثم نهض و جعل المعسكر بالحصة لئلا يضر الجند بأحد فى المدينة و قد أمنّها و أمر بخراب درب غمدان، و كان حاتم قد حصّنه و بالغ فى إتقانه و طلب له رجل من مصر و بذل من الأموال فى تشييده ما لا يحصى قال كاتب سيرة الامام المتوكل انه لم يبن فى اليمن مثله، و إلى حادثة الشرزة المذكورة و ما تقدّمها من الأحداث أشار صاحب البسامة بقوله

و احمد بن سليمان فما رضيت‌بعلا به و هو مرضى لدى البشر

دعا و كان إماما سيّدا علمابرّا تقيا و من كل العيوب برى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۳۸ و صبحت خيله صنعاء معلمةلما غدا النكر فيها غير مستتر

و حاصرت ما تما فيها عساكرهفانقاد للحق بعد الضعف و الخور

و اجتاحه عند شيعان بملحمةألف مضوا بين مأسور و مجتزر

و لما دخل الإمام صنعاء و استتب له الأمر، انتقل إلى بيت بوس، فأقام به شهر رمضان عند السلطان سلمة بن الحسن، ثم بلغه ان حاتم بن احمد يراسل السّلطان سلمة و يؤامره على الفتك به، و يعده على ذلك الأموال و الضّياع و الهبات الكثيرة، فسار من بيت بوس الى سناع، و مكث به إلى آخر سنة ۵۵ و كان السّلطان حاتم يريد الصلح و الدّخول فى الطاعة، فكتب بذلك إلى الإمام و استعطفه، فلم يقبل منه الإمام فلما أيس من عطف الإمام خشّن فى مراسلته فكانت بينهما مهاجاة و مشاعرات أوردها فى سيرته و ذكرها الفقيه حميد فى الحدائق .

عزم الإمام إلى ذمار

و دخلت سنة ۵۵۳ فيها سار الإمام إلى ذمار، فصالحه زيد بن عمرو على سبعة آلاف دينار فى كل سنة، ثم رجع إلى بلاد بنى شهاب فأتاه بنو الزواحى يستنهضونه إلى كوكبان، فنهض معهم و تسلّمه منهم و انقض على بيت ذخار ، و أراد حصن بيت عز و هو لمنصور بن جعفر الضريوة، فامتنع عليه حصن بيت عز حتى وصلته رجاله من بنى الدعام، و سلاطين مسور من بنى المنتاب، فأعاد الكرّة على

أصحاب ابن الضّريوة، فظفر بهم و تسلّم الحصن و أمّن صاحبه و عفا عنه، و عاد إلى الجبجب، و قد عظم أمره و اتسع نفوذه، فراسله السلطان حاتم و سأله أن يرسل إليه ولده المطهر ليزوجه إبنته،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۳۹

و يملكه حصن براش ، فكره الإمام مواصلته و رفض ذلك.

و فيها اشترى زيد بن عمرو حصن أشيح بثلاثة آلاف دينار، و كتب إلى الإمام يستقدمه الى الحصن المذكور، و لما وصل الإمام إلى حدة بنى شهاب تلقّا حاتم بن احمد و طلب منه الصّلح و الهدنة فصالحه على الشروط المذكورة فى الصّلح الأول، و سار إلى اشيح و أقام به الى أن استنجده أهل زبيد.

ذكر مهاجمة على بن مهدى لمدينة زبيد و أحداثه، و استنجاد أهل زبيد بالإمام أحمد

قد حدّثناك على صفحات كتابنا عن ابن مهدى الواعظ النّاسك ثم ذكرنا لك طرفا من أخبار ابن مهدى الثّائر، و إليك الآن البيان عن ابن مهدى الطاغية السّفاك.

لما قتل القائد سرور على الصفة المذكورة فى التاريخ المتقدم، عظم الخطب و استيقظ الهول، و شبّت الفتنة، و اشتغل ولاة زبيد و أمراؤها، بتنازع زهرة الحياة، عن تدبير الملك و حياطته، فكانت الأحداث تتوالى و المصائب تتعاقب على ما حول زبيد، و من بها لاهون بشهوة الحكم، و فتنة المال، و ذلك البلاء المبرم و الويل الرامك ، و العدو اللّدود يحصى عليهم أنفاسهم و يراقب حركاتهم، و يستطلع أنباءهم، حتى إذا غمرتهم الحيرة، و أعماهم الهوى، و حق عليهم القول و آل أن يبتلعهم الفناء فى ظلمات مهاويه، و ينظمهم التاريخ فى فجائعه و مآسيه، و ثب عليهم بجنود متعطّشة الى الدّماء قد ألهب نار حماستها روح زعيمها و منطقه، و أفعمهم ببلاغته و سحر بيانه،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۴۰

أن الحق معهم:

فما لهم غير الدماء مشاربو ما لهم غير النفوس مطاعم

كأن الوغى قد صار فى أنفس الورىهياما فمن يقتل يمت و هو هائم

قال الخزرجى : انه لما رجع ابن مهدى من مدينة ذى جبلة من عند الداعى سبأ بن محمد بن سبأ الى حصن الشّرف سنة ۵۴۷ ، دبّر على قتل القائد سرور الفاتكى، فلم يزل يرصده حتى قتله سنة ۵۵۱، فاشتغل رؤساء الحبشة بالتنافس و التحاسد على مرتبته، و كانت الحرة علم قد توفّت قبله سنة ۵۴۵، فانفتح على أهل الدولة بعد القائد سرور باب الشّر المسدود، و انحل عقدها المشدود، ففارق ابن مهدى حصن الشرف، و هبط الى الدّاشر، و بينه و بين مدينة زبيد أقل من نصف يوم فتقرّبت الرعايا إليه، و عرب البلاد، و هم الذين كانوا رعايا الحبشة، فكان الرّجل من أصحاب ابن مهدى يلقى أخاه أو قريبه أو معروفه ممن هو من رعايا الحبشة، سواء كان راعى ماشية أو حارس ضيعة فيفسده، و لم يزل الأمر على ذلك إلى ان زحف ابن مهدى بجموعه الى باب المدينة فى جيوش لا تحصى كثرة، وحدث غير واحد من أهل زبيد ممن أدرك الحصار، قالوا: لم تصبر أمّة على الحصار و القتال ما صبر عليه أهل زبيد، و ذلك انهم قاتلوا ابن مهدى اثنين و سبعين زحفا، يقتل فى كل زحف من عسكره مثل ما يقتل منهم، و صبروا على الضّر و الجوع، حتى أكلوا الميتة، من شدة الجهد، ثم انهم استنجدوا بالإمام أحمد بن سليمان، قال فى سيرة الإمام، ما خلاصته: أنه لمّا وصل إلى اشيح، اقام به شهرا و وصله ولد لأحمد بن محمد بن الخضر الخولانى، صاحب حصن قوارير

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۴۱

بوصاب شاكيا ما لحقهم من ابن مهدى، و ذلك انه خطب إليهم فتاة لهم فلبوه، فطلع إليهم فى ثلاثة آلاف من أصحابه، جعلهم تحت

الحصن، و دخل على إمرأته فى ثلاثمائة رجل منهم، فلما تمكنوا من الحصن شهروا سيوفهم و ذبحوا من فيه من صغير و كبير، ذكر و انثى و لم يبقوا إلّا على أربع عشرة امرأة منهن صهرته و بناتها فسباهن، و أخذ جميع ما فى الحصن من الأموال، و كان معه قوم من رازح يقال لهم بنو منّبه زادوه جرأة، فغضب الإمام لذلك، و عزم على الانتقام من ابن مهدى فحشد قبائل جنب و تألف رئيسهم زيد بن عمرو، و غيره من المشائخ بالمال، فنهضوا معه و قصدوا زبيد فباتوا بها ليلة، و تقدّموا إلى الجليب تحت حصن قوارير، و أمسوا هنالك، و لما أصبحوا، أرسل الإمام جماعة للكشف عن ابن مهدى، فتقدمت طليعة إلى محله فوجدوه فى نفر قليل، و لم يكن قد علم بوصولهم، و عادوا إلى معسكرهم يحثون أصحابهم على مباغتة الرّجل و انتهاز فرصة غفلته، فقال لهم شيخهم جابر بن عبد الله الجنبى: ان كنتم تريدون أموال أهل زبيد، فدعوا ابن مهدى إلى أن تفرغوا من زبيد و هو لكم من بعد، و ان لم تكونوا تطمعون فى زبيد، فخذوا ابن مهدى، و خذّلهم فتواصوا على كتمان الخبر عن الإمام و باتوا آمنين، و لكن ابن مهدى انتبه لهم سريعا، و بيّتهم تلك فما استيقظوا إلّا من وقع السيوف، و ثبت الإمام فى جماعة من أصحابه، و حملوا على ابن مهدى، فانهزم، و قتل جماعة ممن معه، و لما أصبح الإمام أراد أن يتقدم إلى موضع ابن مهدى فامتنع عليه أصحابه و أبوا إلّا قصد زبيد فساعدهم و سار إلى زبيد، و ضرب مضربه بباب التبارق، و قد ظفر جنده فى طريقهم بقافلة لا بن مهدى تحمل حبّا و سمنا، فنهبوها،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۴۲

و أدخلوها زبيد فتبلغ بها أهل المدينة، و خرجت العلماء و القواد و العظماء لاستقبال الامام و السلام عليه، و حمدوا الله على قدومه.

و كان أمير زبيد يومئذ فاتك بن محمد بن جياش، و كان فاسقا مسرفا تروى عنه أمور قبيحة موحشة فى نفسه، فبات الإمام و أصحابه و هم يسمعون عزف القيان، و نغمات الطنابير، و أصوات الملاهى، ففزعوا لذلك، و حولوا مضاربهم إلى الميدان، و حرّض الإمام على قتل فاتك، و لم يزل يعمل الحيلة فى ذلك، حتى تمكن منه و لمّا شعر الأمير الحبشى بالخطر، أرسل بعض جواريه بفدية إلى الامام على أن يعزله و يولى سواه، فلم يقبل منه الفدية و أمر به، فكسرت رقبته، و رمى قوما كانوا معه يفعلون المنكر بالحراب، و بقتله انقرض ملك الأحباش من اليمن، «هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً» .

فاذا الدار ما بها من انيسو اذا القوم ما لهم من محسّ

غير ذكرى مآثر و عظاتخلّدتها الدّهور فى عرض طرس

يجد الناظرون فى اسطريهاعبرة الدّهر و الزمان المؤس

و اذا فاتك التفات إلى الماضى فقد غاب عنك وجه التأسى

و بعد قتل الأمير المذكور، أقام الإمام ثمانية أيّام، و جعل على زبيد رجلا من من بنى جياش يقال له محمد بن نجاح، و كانت قوّاد الحبشة تنفق على عسكر الإمام مدة إقامتهم فى زبيد، و أمّا الإمام و خاصته فإنه كان ينفق عليهم من ماله، و كان بعض قوّاد الأمير فاتك قد اغتصب كميّة كبيرة من مال فاتك و استجار بالإمام، فاجتمع قوّاد الحبشة، و قالوا ان مع هذا مال ملك زبيد، فقال لهم الامام: يكون معه مال من كان، فقد أجرته و ما معه.

ثم عزم على الخروج لحرب ابن مهدى الى رمع، و لما خرج من

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۴۳

المدينة تأخر بعض أصحابه فأغلق عليهم اهل زبيد الباب و تقاعدوا عن الخروج، معه لحرب عدوّهم، و لم يفتحوا لهم الباب إلّا بعد أن خاطب فيهم الإمام، و قد أخذوا خيلهم و سلاحهم، فانثنى الإمام عن حرب ابن مهدى، و همّ بمحاربتهم لإساءتهم إلى أصحابه، ثم انه ترك الكل، و عاد إلى ذمار، و فى أثناء الطّريق راجعه أصحابه فى أخذ المال الذى اخذه القائد ريحان على مولاه فاتك و قالوا هو لبيت المال، فقال: ما يسعنى عند الله، و لا ينبغى لى من المنعة، و قد أجرته و ماله، و قد قال الله سبحانه و تعالى:

وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ و أنا أعمل فيه بكتاب الله، و لم يزل معه حتى أبلغه

مأمنه، انتهى المراد نقله فى المسيرة فيما يتعلّق بزولة زبيد، ثم ان ابن مهدى شدد الحصار على زبيد، حتى دخلها قهرا يوم الجمعة ۱۴ شهر رجب سنة ۵۵۴، فأقام بقية شهر رجب و شعبان و رمضان، و مات سادس شوّال من السنة و دفن فى المشهد القريب من مدرسة الميلين و أوصى ولده أن يجعله جامعا يصلّى فيه ففعل ثم أخربه بعض ملوك الغز و جعله اصطبلا و من شعر بن مهدى:

عناق القنا و الصافنات السوابق ألذّ و أشهى من عناق العواتق

و سهرتنا باللّيل فوق ظهورها ألذّ إلينا من رقاد النمارق

و هى قصيدة طويلة قالها لما دخل زبيد، و قام بعده ولده مهدى بن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۴۴

على فدوّخ البلاد و ذلّت لهيبته الأمراء و الملوك و سيأتى تمام خبره و خبر أخيه عبد النبى بن مهدى بن على فى موضعه ان شاء الله.

و فى هذه السنة سار الإمام احمد بن سليمان من ذمار إلى عيّان على طريق الجوف لما بلغه من إقدام عمر بن منيع السليمانى، و أقاربه على إخراج ولد القاسم بن جعفر و أقاربه و أهله من درب عيان، و اخراب ذلك الدّرب، و كانوا يظنون ان ذلك يوافق غرض الإمام لميل ولد القاسم عنه، فلما علموا بقرب الإمام من عيان ارتفعوا بمن معهم من دهمة إلى جبل شرقى عيان، فأمر الإمام بقطع زروعهم، و إخراب دورهم، ثم عاد إلى مسلت و منه إلى الخارد بالجوف الأعلى فاستقر فيه، و عمر حصنا منيعا، و اجتمع حوله من أهل تلك الجهة، جماعة للسكون بجواره و دخلت سنة ۵۵۵ فيها خالف أهل مقرا و ريمة القريبة من صنعاء على الإمام، و كان قد استعمل عليها ولده المطهر فشدّد عليهم فى الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر، و المحافظة على الصّلوات، فكان هذا الحزم سبب الفساد، و منعوا الواجبات، فنهض الإمام لحربهم حتى وصل إلى بلاد حاشد، كتب إليه حاتم بن أحمد ان يمر على صنعاء فإنها بلاده، و مراده المكر فعرف الإمام مراده، و رجع طريق الجوف، ثم نهض إلى الجهة المخالفة، فظفر بأهلها و اجتمع بولده المطهر، ثم توجّه إلى ذمار، و منه إلى إب، ثم رجع إلى الجوف و لقاه ولده المطهر و استقر هنالك .

و دخلت سنة ۵۵۶ فيها مات السلطان حاتم بن احمد اليامى، و تولّى بعده ولده السلطان على بن حاتم يوم وفاة أبيه فبايعة أهل همدان، ثم رجع إلى حصنه، ضهر فأقام فيه أيّاما، ثم خالف عليه أهل همدان و مالوا إلى

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۴۵

رجل من آل القبيب، و اجتمعوا فى داره بناحية القطيع من صنعاء و بلغ على بن حاتم خبرهم، فنهض إلى صنعاء فى جمع كثير من القبائل و اجتمع من همدان سبعمائة فارس عند باب شعوب، فلما وصل على بن حاتم تفرق أكثرهم و قاتلته طائفة منهم قتالا شديدا، ثم و لوا عنه و دخل الدرب ، و خرج أخوه عمران بن حاتم، و هو صبى صغير فقاتلهم فى أزقة المدينة حتى قتل بسهم، فاضطربت همدان لقتله خوفا من على بن حاتم، فوهب لهم على بن حاتم دم أخيه تأليفا لهم، و تسكينا لاضطرابهم، و استقرّ فى صنعاء، و بعد أيّام أخذ حصن ذى مرمر و كان لقوم من همدان و كوكبان و العروس و كانا لبنى الزّواحى، و أخذ بكر و عمر هذه الحصون جميعها، و ملك الظاهر و المغارب، و كان جوادا كريما يقطع الرجل من همدان البلد و البلدين و يمنعه من مضاررة أهلها، و جعل على كل مخلاف عاملا فمتى آن حصاد الثمرة، أمر عماله أن يقيضوا من الرّعية الخمس مجرّدا عن غيره من سائر المطالب على طريقة العبيديين و فيها نزل المطهر بن الإمام إلى تهامة للصّلح بين الشريف قاسم بن غانم و بنى عمّه السليمانيين، و بعد إكمال عمله خفر قافلة الحاج، و عاد معهم إلى صعدة، فألحّ عليه أهل صنعاء بمرافقتهم إلى وطنهم فخرج معهم، و فى أثناء الطريق باغته المرض. و دخل صنعاء عليلا- و مات بها، فحمله السّلطان على بن حاتم إلى المنظر، و دفنه بها و حزن عليه كثيرا، و رثاه بقصيدة طويلة أرسلها إلى والده الإمام، و قد ذكر هذه المرثاة و مرثاة الإمام كاتب السيرة.

و فيها أعاد الإمام الكرّة على أهل صعدة، و سار لحربهم فى جنود كثيرة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۴۶

و كانوا قد أحكموا تحصين المدينة و جعلوا عليها خندقا فأحاط بها عسكر الإمام، و اشتد الحرب حتى اقتحموا المدينة و كبسوا الخندق، و ثغروا السور أيضا، فخامر الصّعديين الفشل، و القوا سلاحهم و تراسهم و سائر آلات الحرب، فاستولى عليها الإمام و اخرب كثيرا من دورها، و عاد الى الجبجب و أذن لعسكره بالعود إلى أهلهم، ثم انه نقل عائلته من الجبجب إلى الجوف، فبلغه ان بنى مالك، و أهل صعدة فرحوا بانتقاله، و انهم توعّدوا الأشراف و يرسم بالانتقام و الطرد من البلاد فغار لذلك، و لحقته الحميّة و الرّأفة على أقاربه، و بنى عمه، و أنصاره، و رأى انه لا معدى له من حمايتهم، و قد كره مقامه الأول بالجبجب، و لا يريد المقام بصعدة، فطلع حصن تلمص ، قال كاتب سيرته: و هو حصن عظيم جاهلى فى طود شامخ منفرد من الجبال مطل على الحقل، و حاكم عليه و إلى جنبه مدينة صعدة القديمة، و كانت من المدن الكبار العظيمة، و اسمها فى الجاهلية جمع. و بحصن تلمص هذا يضرب المثل، و كان يسكنه فى الجاهلية نوال بن عتيك نازع الأكتاف، من ولاة سيف بن ذى يزن، قال الشاعر:

اصبحت توعدنى بأمر معضل‌حتى كأنك نازع الاكتاف

عبد ابن ذى يزن برأس تلمص‌بين الأرائك مسبل الاسجاف

فلما طلعه الإمام أحكم تحصينه، و عبّد طرقه، و حفر مناهله، و شاد فيه الغرف و القباب بالجص و الآجر، و مكث فيه إلى شهر محرم سنة ۵۵۸، ثم سار إلى الجوف و منه إلى مسلت، فوافاه بمسلت صنوه الشريف عبد الله بن سليمان، و ذكر له ان السّلطان منصور بن ابى النور العرجى صاحب مسور، استطال على قوم بناحيته فأخذ حصنهم و عوّل عليه فى القيام

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۴۷

لنصرة المظلومين فلم يجد الإمام بدّا من القيام، لإخراج الظالم العرجى من حصن اولئك القوم و تكبّد المشاق لذلك. و اجتاز طرقا و عرة المسالك، حتى انه قال لبعض أصحابه: و الله لو أعطيت عشرة آلاف على ان أنزل نقيل المحدد ، و هو الذى رجع منه الهادى الى الحق عليه السلام، و قال:

ما افترض الله علىّ جهادا فى هذه البلاد، و لكنى أطلب التّقرب إلى الله فى نصرة المظلوم، و رفع يد الظالم، وصلة الرّحم فى مساعدة صنوى ، و إسعاف سؤاله و مقصده، و لما قرب من الحصن المذكور، أقبل عليه النّاس، فخاف العرجى على بلاده إن هو استمر فى ظلمه و عناده، فتخلى عن الحصن، و سلّمه لأربابه، و رجع الإمام إلى الجوف، و اجتمع إليه آل الدعام، و غيرهم، فسار بهم إلى حصنه تلمّص و أقام به أيّاما يراسل القبائل، و يحرضهم على الاجتماع لقتال أهل صعدة، فاجتمع منهم خلق كثير، فتقدّم بهم إلى صعدة و حاصرها أيّاما و لم يتمكن منها لخيانة كانت من قبائل خولان، فلما عرف ذلك أذن للجنود بالعود إلى بلدانهم.

و فيها وصل الشّريف ابو الفضائل على بن إدريس السليمانى من أرض و ساع مهاجرا إلى الإمام فى جماعة من أصحابه، فأكرم الإمام نزلهم، و أنزل الشّريف و أهله و حشمه فى حصنه تلمص و احلّ الشرفاء الذين معه بدرب الأشراف و بعضهم بالجبجب.

قيام مهدى بن على و احداثه

قد ذكر مهلك على بن مهدى و أشرنا إلى قيام ولده عبد النبى و أخيه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۴۸

مهدى بن على، فكان عبد النبى يتولّى أمور المملكة، و أخوه مهدى أمور الجيش و السّرايا فاستباح بلادا كثيرة و قتل قتلات عظيمة، و اغار على لحج مرتين إحداهما فى شعبان سنة ۵۵۶ و الثانية فى رمضان سنة ۵۵۸ فقتل من أهل [لحج] فى الغارتين عددا كبيرا و سبى الحريم، و نهب أموالا كثيرة و قيلت فى ذلك الأشعار منها قول الهندى الشاعر:

أتشرب الخمر فى ربا عدنو البيض و السمر فى الحصيب ظما

كلا و مهدى فارس بطل‌و صدر حيزوم يملأ الحزما

ثم أغار على الجند فى شوال من السّنة المذكورة فحصرها أربعة عشر يوما، و دخلها غرة ذى القعدة سنة ۵۵۸ فقتل اكثر من وجد فيها من صغير و كبير، و رماهم فى البئر التى فى المسجد و حرق أكثر دورها و أحرق المسجد بمن فيه من الضعفاء و العجائز، و اموال النّاس و الكتب، و المصاحف و قتل أهل قرية الذنبتين ، و كانوا قد اختفوا بأكمة ذى عراكض فدل عليهم صوت حمار لهم، فطلع اليهم و قتل منهم جماعة، و قتل أهل قرية العربة و اخرب مسجد الجند، و عاد إلى زبيد و قد أصابته طائرة تفطر منها جسمه، بعد أن ظهر به شبه أحراق النار، فلم ينزل إلّا فى محفة قد فرشت بالقطن المندوف، فلما صار فى زبيد توفى مستهل ذى الحجة فى السنة المذكورة

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۴۹

و قال الخزرجى نقلا عن صاحب العقد الثمين إنه لما رجع من الجند الى زبيد أقام بها أياما ثم مرض فى المحرم سنة ۵۵۹، و توفى يوم الأحد الثامن عشر من الشهر المذكور و قبر فى المشهد مع والده و استقلّ بالأمر بعده أخوه عبد النبى.

و قال الجندى: انه لما هلك على بن مهدى خلفه إبنه مهدى، و لما تمهدت له قاعدة الملك غزا البلاد، فصالحه الدّاعى عمران عن عدن و الدّملوة بمال، فقبله، و لم يعترضه و لا بلاده، ثم طلع الجند و المخلاف فقتل فى الجند و نواحيها مقتلة عظيمة الخ ... .

أحداث عبد النبى بن على بن مهدى، و مقتل الشريف وهاس

ما كادت تخمد نار فتنة مهدى بن على بعد هلاكه حتى ائتنف النّاس من فتنة أخرى كسابقتها أو أشد فقد استقلّ بالأمر عبد النبى فى سنة ۵۵۹ فأغار على أبين و أحرقها و قتل أهلها، و ما لبث أن عاد إلى زبيد بعد أن عاث و افسد فى أبين وجهاتها، و دخلت سنة ۵۶۰ فيها كان فى تهامة مجاعة و قحط عظيم فهدأ عبد النّبى و لم يتحرك حتى إذ أمطرت البلاد و أخصب النّاس، و أخذت الأرض زخرفها و ازينت، فاجأها ابن مهدى بأحداثه فقصد المخلاف السّليمانى، و كان بينه و بين صاحبه الأمير الكبير الشريف وهاس بن يحيى بن غانم موادعة و مهادنة فختر و غدر، و باغت الشريف على غرة، و ليس معه غير عبيده و أهل المدينة و ليس له وزر يعتصم به و لا حصن يفزع إليه، فوقع

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۵۰

ابن مهدى و أصحابه فى أهل الساعد مدينة الشريف المذكور فقتلوا أهلها و قتلوا الامير وهاس و ولده بعد أن دافعا عن نفسيهما و سبيت النساء و نهبت الأموال، و لما بلغ الإمام مقتل الأمير و سبى الحريم ساءة ذلك و اغتم غمّا شديدا، و قال: لا رحم الله وهاسا لقد كان لنا غمّا و عارا فى حياته و مماته، ثم كتب إلى أخيه الأمير قاسم بن غانم يعزّيه و يؤنبه و كافة بنى هاشم بقصيدة أولها:

هو الدهر يرضى اهله ثم يغضبو يبنى لهم حينا و حينا يخرّب

و منها:

كفعل ابن مهدى اللّعين و خربهو هم ثلة ترعى المواشى و تحلب

و ما أظهروا من منكر فى تهامةو خطب جسيم صدعه ليس يشعب

و منها:

و صالوا على وهاس غدرا و بينهو بينهم عقد و لم يتطيّبوا

و فى هذه الحادثة الممضّة يقول عبد النبى قصيدته المسمّطة يرثى بها والده و يذكر فيها حوادثه و أخباره منها قوله:

و هاك فاسمع خبراجاءت له الحبو كرى

من ساعد و تعشرا و عارض فيها هما

لوت بوهاس ضحىفابتدرته مرحا

فضل من تحت الرحى‌مضرجا مرغّما

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۵۱

إلى آخرها و هى طويلة تشهد له بالابداع وسعة الإطلاع

قال صاحب انباء الزمن نقلا عن بعض المؤرخين أفترق ملك اليمن فى هذه المدة، فكان عدن و أبين و الدّملوة و تعز إلى نقيل صيد لآل زريع أهل عدن، و ذمار و مخاليفها لسلاطين جنب و صنعاء و أعمالها الى الظاهر، و حدود الأهنوم لعلى بن حاتم صاحب صنعاء، و صعده و ما اليها للأشراف، و شهارة و بلادها لأولاد القاسم العيانى عليه السلام، و الجريب و ما حاوله، لولد عمر بن شرحبيل (آل أبى الحفاظ) الحجورى و تهامة الشامية (المخلاف السليمانى) الى حرض للشريف وهاس بن غانم بن يحيى بن حمزة السليمانى ، و بلاد زبيد إلى حد حرض من جهة اليمن إلى عبد النبى بن على، و لم يزالوا كذلك إلى أن زالت دولتهم جميعا ببنى أيوب الآتى ذكرهم إن شاء الله قال: و أما الأمام احمد بن سليمان عليه السلام فإنّه لم يعمر دارا و لا جبى خراجا و لا درّب دربا، و انما مضى على الجهاد، و محاربة أهل البغى و الفساد، فجزاه الله عن الإسلام و أهله خيرا انتهى.

و دخلت سنة ۵۶۱ فيها طلع احمد بن على بن مهدى من زبيد لعمارة مدينته الجند فى عسكر جرّار، و ابتدأ فى عمارتها من يوم السّبت خامس شهر ذى القعدة من السنة، و استمر إلى نهاية الشّهر المذكور، ثم أغار على الجوة و بها جيش الداعى عمران بن محمد بن سبأ الزريعى فدخلها جند إبن مهدى و حرقها، و قد كانت سبقت له غارة على الجوة أيضا فى بعض الأعياد،

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۵۲

و ظفر بأهلها يومئذ فقال فى ذلك الشاعر الهندى :

بكرت نقل من الكماة ضراغمامن آل مهدى هما احازما

و كذاك ليس تروق ابنية العلاإلّا إذا كنتم لهنّ دعائما

صبحت اكناف الجواة بغارةشعواء طبقت الحماة جماجما

و حرمتهم فيها مطاعم عيدهمو تركتهم للمرهفات مطاعما

و دخلت سنة ۵۶۲ فيها طلع عبد النبى إلى الجند فى جمادى الآخرة من السنة و عاد إلى زبيد و خرج إلى مخلاف جعفر و حصر حصن المجمعة فأخذها ثم قصد مدينة إب فأخذها يوم الخميس الخامس من شهر ربيع الأول من هذه السنة و أخذ الشماحى يوم الأحد الثامن من الشهر المذكور و استولى على البلاد، و بث السّرايا و الجنود فى كل جهة و سار إلى عدن فحاصرها

و دخلت سنة ۵۶۸ فيها طلع السلطان عمران بن محمد الداعى سبأ إلى صنعاء يستنجد بالسلطان على بن حاتم صاحب صنعاء فأكرمه و لم يتأخر عن نصرته، و جمع همدان و سنحان و بنى شهاب و نهد و غيرهم و نهض بهم لحرب عبد النبى، و كان السلطان الزريعى قد تقدمه إلى جنب و مذحج، و استنفرهم للقتال فنفروا معه و اجتمعت الجنود كلها فى السّيحول و ذلك سنة ۵۶۹، فنهضوا مجتمعين، و قد تقدّمت جيوش ابن مهدى إلى حصن المسواد و ذى جبلة فتلقّتهم جيوش على بن حاتم، فانهزم أصحاب ابن

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۵۳

مهدى و قتل منهم خلق كثير، و أسر و غنم و دخل ذى جبلة، فلم يجد بها أحدا من عسكر ابن مهدى، و كانوا قد هربوا ليلا، و انحاز بعضهم إلى دار الحرة أروى بنت على بن محمد الصليحى، فاستولى عليها السلطان على بن حاتم و أجار الحرة، و جميع من معها من عسكر ابن مهدى و غيرهم، و ما معهم من أموال و خيل و سلاح، و بقى بها مدّة، ثم نهض بعسكره إلى الجند، فوجدها خالية من العسكر و الرّعايا فدخلها بعض العسكر، و أقام السلطان على بن حاتم خارج المدينة، و بلغه أن عبد النبى فى حصن تعز، و قد اجتمع إليه أصحابه فخف على بن حاتم و من معه لمهاجمة تعز، فلما دخل المدينة وجد عسكر عبد النبى قد اجتمعوا إلى ذى عدينة ، فوقع القتال الشديد بين الفريقين، فكانت الدائرة على أصحاب ابن مهدى، و قتل منهم مقتلة عظيمة، و عقر من خيلهم شىء كثير، و أخذ

منها نحو مائة فرس، و نهب من سلاحهم، و عددهم شيء كثير، و نهبت ذى عدينة يومئذ نهبا عظيما، و كان عبد النبى بن مهدى فى أعلا حصن تعز على سطح من سطوحه وراء كتيبة تبرق، فقال: ان صدقنى ظنّى فهذا على بن حاتم فقيل له: نعم تلك كتيبة همدان فأنشد متمثلا:

و اعلم بنى بأن كل قبيلةستذلّ ان نهضت لها قحطان

ثم رجع السلطان على بن حاتم فى أصحابه الى الجند و أخرب دار المملكة فى الجند التى عمرها السلطان محمد بن سبأ بن أبى السعود، و وافته الأنباء بأن العسكر الذى كان بالرعارع محاصرا لعدن من قبل ابن مهدى قد هربوا فأراد ان يهبط تهامة، فلم تطاوعه قبائل جنب على ذلك و تفرّقوا عنه، و كتبوا لإبن مهدى:

رحلنا و خلّفنا السلاطين خلفنافدونك يا عبد النبى عشاكا

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۵۴

فأمر إبن مهدى بصده عن طلوع نقيل صيد و بعد قتال عنيف تمكن على بن حاتم من طلوع النّقيل و أراد ان يعيد الكّره على عبد النبى فلما علم بذلك راسله فى طلب الصلح فأجابه السلطان على بن حاتم و شرط عليه عدم التّعرض لبنى زريع فقبل عبد النبى و تم الصلح على ذلك.

قال فى أنباء الزمن و دخلت سنة ۵۶۳ لم يتفق فيها و لا فى السنة التى بعدها ما يوجب الذكر.

و دخلت سنة ۵۶۴ فيها وقعت حروب بين الإمام احمد بن سليمان و بين الأشراف القاسميين و ساق الخبر الآتى، و قد وجدنا فى سيرة الامام الحوادث المحررة هنا قبل خبر الاشراف القاسميين و إليك البيان و ذلك من سنة ۵۵۹ و ما بعدها فذكر: أن أصحاب ابن مهدى لما طلعوا إلى مخلاف جعفر و كانت محطة جنب فى نقيل صيد فى اعلاه عند حصن سماره و قد أضرّ بهم أصحاب ابن مهدى.

فوصل الامام الى بلد عنس ففرح الجنبيون بوصول الإمام و أشاعوا انه وصل ممدّا لهم، فلما علم بذلك جنود ابن مهدى رجعوا زبيد و لما وصلوا زبيد، بلغهم أن الامام تقدّم الى بلد عنس، و زبيد و انه لم يأت فى شأن جنب، و أعادوا الكرة على جنب، فكانت بينهما حرب فى السّيحول أوقعوا بجنب و أخذوا ابلهم و أزوادهم و جميع ما تحويه محطّتهم، فعظم الهول و اشتد الخطب على أهل ذمار، و استعدوا لمغادرة البلاد و الفرار إلى حيث يعوى الذّئب ، خوفا من إبن مهدى و فرقا من جنده، فدخل الإمام ذمار، و سكّن روعهم، و جمع جنبا و أخذ عليهم العهود فى المتابعة، و لما علم بذلك أصحاب ابن مهدى و على رأسهم زعيمهم أحمد بن على الحرامى، و كان قد

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۵۵

نزع يده عن الطاعة، و أقام بأكناف تهامة مما يلى الجبال، فرح و كتب إلى الامام يستقدمه و يستدعيه و يعده الموازرة، و انه سيدخل عكّا فى الطاعة و هم قوة ابن مهدى و أنصاره فكتب إليه الإمام كتبا منها كتاب دعوة، و هو:

بسم اللّه الرحمن الرحيم .

من عبد الله المتوكل على الله و الداعى إليه و المجاهد فى سبيله أمير المؤمنين أحمد بن سليمان بن الهادى إلى الحق المبين يحيى بن الحسين بن رسول الله صلى الله عليهم أجمعين و آلهم الطيبين إلى الكافة من المسلمين الرّاغبين فى الاعتصام بحبل الدين، سلام عليكم، فانى أحمد إليكم الله الذى بهر برهانه و غمر إحسانه، و عمت آلاؤه، و حسن بلاؤه، و أسأله ان يصلى على جدنا محمد خاتم الأنبياء و وصيه سيد الأوصياء و الشجرة التى أصلها ثابت و فرعها فى السماء، و على عترته الأبرار المصطفين الأخيار الذين هم ينابيع العلم و عيونه، و رضاب الحق و معينه، مفاتيح أقفاله، و مصابيح حرامه و حلاله، قال رسول الله صلى الله عليه و على آله حكاية عن ربه عز و جل انه قال: انت شجرة على أغصانها و فاطمة و رقها و الحسن و الحسين ثمارها خلقتها من طينة عليّين و خلقت شيعتكم منكم

انهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف لم يزدادوا لكم إلّا حبّا، و قد شيد ذلك ما روى عن جدنا رسول الله انه قال: فى كل خلف من أهل بيتى عدول ينغوى عن هذا الدين تحريف الغالين، و انتحال المبطلين، و تأويل الجاهلين: ثم انى أتيتكم عباد الله من أفضل أهل بيت نبيّكم على ما لا يتوارى نوره، و لا يتبارى مسيره فانهم علائق للنجاة، و وثائق للفوز من المهلكات، قال جدنا رسول الله

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۵۶

صلى الله عليه و آله و سلم «مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، و من تخلّف عنها غرق و هوى » فكما علمتم عباد الله ان أمة نوح كلها هلكت إلّا من ركب فى السّفينة، فكذلك يهلك من أمة نبينا من لم يتمسك بعترته الطاهرة الأمينة، و هذا موضع التشبيه بين الأمتين، و التنبيه على عظم خطر الحالتين،، و الذى لا يتمارى فيه العارفون، و لا يختلف فى صحته المتفقون، «وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ» فرض الله سبحانه مودّتنا أهل البيت على قاصى الأمة و دانيها، و مطيع البريّة و عاصيها، فقال عز من قائل «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى» و قال رسول الله «أحبوا لله لما يغذوكم من نعمه، و أحبّونى لحبّ الله و أحبوا أهل بيتى لحبّى و روى عنه أنه قال ان الله تعالى جعل أجرى عليكم المودة فى القربى و انى سائلكم غدا و محف لكم فى المسئلة، و حرّم بغضنا على الأحمر و الأسود، و جعلنا بابا إلى عذاب الأبد، و الهلاك المخلد و إحباط محاسن الأعمال، و حرمان الجزيل من النّوال، و قد شهد بذلك ما روى عن جابر بن عبد الله، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه و قال أيها الناس من بغضنا أهل البيت بعثه الله يهوديّا، قلت: يا رسول الله و إن صام و صلّى و زعم انه مسلم قال و ان صام و صلّى و زعم أنه مسلم، فنحن أولو الأمر الذين أمر الله سبحانه بطاعتهم و اوجب على عباده فرض متابعتهم:

إلى أن قال: و لما انتهى الأمر فى هذا الزّمان إلىّ و وجب فريضة النّظر فى المهمات علىّ، و رأيت ما شاع من الطّغيان و المنكر، و ظهر من الفساد فى البر و البحر، لم يسعنى فى دين الإسلام و لا جاز لى فى مذاهب الأسلاف

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۵۷

الكرام، أن أتسربل سرابيل الونى و لا أسدل على نفسى أستار الهوينا، و لا أركن إلى زهرة الحياة الدنيا و لا أن أطلب لذّتها التى تبيد و تفنى، و قد سمعت الله يقول مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها الآية فعلمت ان لزوم الفريضة لى بالدعاء للحق إلى الله، و الجهاد فى سبيله قال تعالى وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ.

و قال: وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ الآية و لا شك فى وجوب الاجابة عليكم و توجّه فرضها إليكم قال تعالى يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللَّهِ الآية.

معاشر المسلمين أجيبوا دعوتى فإنّى أدعوكم إلى أن تحيوا ما أحياه كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، إلى آخر الكتاب و هو طويل جدّا.

و لما وصل ذلك الكتاب و ما معه من الكتب إلى إبن الحرامى اطلع عليه أصحابه، و كان فيهم ابن عمّ له من فقهاء الشافعية فتدسس إلى مكاره إبن عمه، و ما اكثر دسائس الأصدقاء الأشرار، و سعى فى إيصال الكتب إلى عبد النبى بن مهدى فاستطار لبّ عبد النبى، و تضاعف قلقه، و بذل كل قواه فى إستمالة ابن الحرامى و أصحابه رؤساء عكّ، حتى أوقعهم فى حبائل مكره، و مصائد مكيدته بما أنهد لهم من الصّلات، و زخرف من الأقوال، ثم عرضهم على السّيف فقتل من رؤساء عكّ ثلثمائة فارس و خمسين فارسا، فيهم ابن الحرامى و غيره من رجالهم المعدودين، و تلك عاقبة من أسرف فى الثّقة و أثمن غير أمين:

إذا أنت حمّلت الخؤون أمانةفانك قد اسندتها شر مسند

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۵۸

فقد ارتكب ابن الحرامى غلطتين عظيمتين أولاهما: إفشاء سرّه و إظهار ما يجب كتمانه، و الثانية ركونه إلى عدوّه و إنجذابه إلى فخّه و بذلك هلك و أهلك.

(و غرة مرة من فعل غرّو غرة مرتين فعال موق)

قال كاتب سيرة الإمام احمد بن سليمان و عنه نقلنا هذه الأخبار:

(و بقتل هؤلاء الرّجال ضعف أمر بنى مهدى، و اختل حالهم و لم تبق لهم طاقة يبلغون بها حيث كانوا يبلغون، و افترق أولاد إبن مهدى فى ذات بينهم).

و كان الإمام قد أرسل القاضى على بن عبد الأعلى بن ابى يحيى إلى عدن داعيا له و معه نسخة من كتاب الدّعوة التى قدمنا، و صاحب عدن يومئذ، عمران بن محمد بن سبأ، ففرح بمقدمه و سرّه حركة الإمام، و جمعه القبائل لمحاربة ابن مهدى الذى أضرّ بمخاليفه، و أخذ أكثر بلدانه، و جعله خائفا يترقّب مهاجمة عدن، و إلحاقه بأمس الدّابر، فأعاد سفير الإمام و رجلا من قبله، و معهما هدايا و تحف نفيسة قدمها كشاهد على إخلاصه، و طلب من الإمام المواجهة إلى المخلاف، فلم يلتفت الإمام إلى ذلك، و كانت قبائل همدان و جنب و مذحج، و سنحان قد عاهدوه على النصرة و النّهوض معه إلى زبيد، فنهد بهم إلى مقرا و ترامت أنباء حركته إلى بنى مهدى، فماجوا و اضطربوا، و لاذوا بحصن قوارير فتيقّن الإمام فوزه و رجحان كفته إن هو أقدم بمن معه من الجنود المتحمسة لمحو بنى مهدى، و استئصالهم، و لكنه فكر فيما بأيدى بنى مهدى من سبايا الأشراف السليمانيين و حمير و همدان و خولان و الحبشة، و عرف أنهم سيقهرون و يغلبون، و تؤخذ السبايا من أيديهم و تصبح فى قبضة جيوشه الموتورة، و عندئذ يصعب تداركها و يتعذر استخراجها من أيديهم، كما أنه ليس من السهل كبح نزعاتهم الجامحة إلى السّلب و الاستئثار

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۵۹

(و تلك معرة الجيش) فأراد الإمام صرف ذلك الجند عن مجد الفتح، و عزة الظفر، حتى يستنهض بنى سليمان و كافة بنى حسن إيثارا لهم بلذة الإنتقام، و زهو الغلب، لأنهم أحق بالعز من سواهم و أسلس قيادا لسلامة طباعهم من خلق الكبر و المنافسة المتأصلة فى نفوس غيرهم من القبائل اليمنية، فاعتزم العود و تأجيل القضاء على الخصم الى فرصة أخرى، فانحل نظام ذلك الجمع، و قلعت المضارب و رجع إلى وقش و كانت المطرفية ، قد خافت فوصل إليه بعض رؤسائهم معترفين بالخطأ، طالبين عفوه، فعفا عنهم، و هرب بعضهم دفاعا عن عقيدته فأقر القاضى جعفر بن عبد السلام بهجرة وقش، و مكث الإمام هنالك برهة، ألّف فيها كتابه الرّد على من طعن فى سيرته ثم انتقل إلى الجهات الشامية من بلاد الظاهر و كان قد اصيب بالعمى فكان ما سيأتى.

خلاف الشريف فليته بن القاسم القاسمى و احداثه

لما أصيب الإمام بالكمه استبشر بذلك بعض عداته، و حسنوا للشريف فليته القاسم القيام و نكث البيعة، فبادر الشريف، و كاتب الأشراف الحسينية و نهض بمن معه إلى من حضور و جهاته، و قصد أثافت، فلما بلغها قام فليته بن العطاف النهمىّ يحرض النّاس على الجهاد مع الإمام، و دخل بجماعة من الأشراف و الشيعة مصنعة أثافت، فحلف له الجميع على السمع و الطاعة و الجهاد معه للإمام أحمد بن سليمان.

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۶۰

و لما علم بذلك الإمام تقدّم إلى حوث، ثم سار إلى بهمان فى جماعة من الأشراف الهادويين و الشيعة، فخرج أصحاب فليته بن العطاف النهمى فى لقائه الى بهمان، و بادرهم أصحاب الشّريف فليته و أحاطوا بالإمام و من معه فلم يثبت من أصحاب الإمام إلّا نفر قليل، دخل بهم درب القدمان، فاحاط به القوم إحاطة السّوار، و تخاذل بقية من ثبت معه، حتى لم يبق معه غير ثلاثة رجال فأسروه و نهبوا ما معه و نقلوه إلى اثافت، فبقى بها أياما، ثم ان السّلطان على بن حاتم كاتب الأشراف و قبح فعلهم، و استثار حماسة السلاطين بنى الدّعام و رجالات نهم و غيرهم، و أمرهم بالإجتماع و الحركة لإخراج الإمام، و كانت زوجة الإمام ابنة فليته بن العطاف النهمى، قد قصدت السّلطان مؤمل بن جحاف النّهمى تحثّه على جمع قبائل بكيل لإستنقاذ الإمام، فسارع مؤمل و جمع زهاء ألف و خمسمائة رجل من بكيل جلّهم من الرؤساء و أهل النّجدة و البأس، و قصد الشريف فليته إلى أثافت، و كان إخوة الشّريف المذكور، قد خرجوا

للسباق فتأمر البكيليون أو يطلق الإمام، و لما عرضوا عليه حاجتهم، و عرف ما إئتمروا به اضطر إلى التّنازل، و اطلق الإمام، بعد أن أخذ منه العهد و من أصحابه أن يذهب الى الشّام و إلّا يبغيه شرّا، فخرج الى خيوان ثم سار إلى حوث، فأقام بها أيّاما، و قصد صنعاء بعد أن كتب إلى صاحبها السلطان على بن حاتم من حوث بما لحقه من الشرفاء و من وازرهم بهذه القصيدة.

أبنيّ انى فى الحياة و بعدهاأوصيك ان أخا الوصاة الأقرب

لا تنسين أباك يعثر بينهمأعمى يدبّ على اليدين و ينكب

و يجرّ للحبس الشّديد و بعدهيؤذى بكل كريهة و يعذّب

لكننى أسد فروس ناله كمه العمى فسطا عليه الثعلب

و كذلك الثّعبان يجرح بعضهفالذر يتبع جرحه و الجندب

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۶۱ نسيوا صنائعنا و ما قدّمتهبعيان حيث تشتتوا و تشعبوا

زعموا و قالوا لا تقيم بأرضناو كذاك لا ينجيك منا الجبجب

إلى آخرها: و لما وصل الى السلطان على بن حاتم أكرمه و أقام عنده أياما يستثير حماسته بالأشعار و لطائف الأخبار، فمن ذلك قوله يقولون لى لم لا تخاف ابن حاتمعليّا على تلك الحوادث بالأمس

فقلت لهم قد كنت عند فليتهفأخرجنى رأس الحجاز من الحبس

فعزم السّلطان على النهوض لنصرة الإمام، و حشّد القبائل لذلك المرام انتهى ما أورده كاتب سيرة الإمام و كاتب التتمة الملحقة بالسّيرة و لم يوضحا ما فعله على بن حاتم و لا ما آل إليه أمر الإمام، فلنرجع الى ما كتبه صاحب أنباء الزمن قال: و دخلت سنة ۵۶۵ فيها وقعت حروب بين الإمام أحمد بن سليمان و بين الأشراف القاسميين فى وادعه الظاهر، فخرج الإمام فى بعض أيام الحرب يلقى جماعة من أهل البلاد فى نفر قليل من عسكره، فوثب عليه الأشراف فأسروه و سجنوه فى مصنعة أثافت، فسار أولاد الإمام إلى السّلطان على بن حاتم يستنجده على الأشراف، فكتب الى الأشراف فى إطلاق الإمام فأطلقوه و سار إلى حوث فأقام فيه مدة، و يقال انه وافق السّلطان على بن حاتم فى كوكبان، و ذكر له ما أسداه إليه من الجميل، و طلب منه النّصرة على الاشراف و استعان به على حربهم، فخرج معه السلطان إلى الظّاهر فى جيش عظيم، و حارب الأشراف فى مصنعة اثافت، فامتنعوا عليه

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۶۲

فأخرب قرى عبس و دروبهم و قطع أعنابهم و وصل اليه الشيخ جعفر بن يعفر بأهل وادعة و طلبوا منه الأمان فأمّنهم و افترق الجميع فتوجه الإمام إلى يسنم و رجع السلطان على بن حاتم إلى صنعاء إنتهى و مثلها رواية الخزرجى بالحرف.

وفاة الامام أحمد بن سليمان عليه السلام

و دخلت سنة ۵۶۶ فى ربيع الآخر منها مات الإمام أحمد بن سليمان بعد أن ترك من الآثار ما يخلد على مرّ الزمان، و دفن بحيدان من بلد خولان و قبره مشهور مزور و مدّة خلافته ثلاث و ثلاثون سنة غالب فيها الزّمان و صارع الحوادث بعزيمة حديدية، و جلد غريب و همّة و ثابة، و إرادة قوية حقّقت ما تقوله الحكماء ان مراد النفس أكبر منها على الدوام، و ان قدرة الإنسان فى الوجود لا حدّ لها فملك صنعاء، و نجران و دخل زبيد، و خطب له بخيير و ينبع خطب له به الشريف الحسن بن عبد الكريم الحسنى، و نفذت ولايته إلى الجيل و الدّيلم و أصابه العمى فى آخر عمره كما تقدّم.

و كان أديبا شاعرا عالما متبحرا معدودا فى طليعة كوكبة أئمة الإجتهاد و أفذاذ الجهابذة النّقاد له عدة مؤلفات معظمها فى الرّد على المطرفية و من أشهرها كتاب «حقائق المعرفة» فى علم الكلام و كتاب «الحكمة الدرية و الدلالة النورية» فى فضائل أهل البيت عليهم السلام و كتاب «اصول

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۶۳

الاحكام فى الحديث» ، و غير ذلك، و قد مر بك كثير من أخلاقه، و أعماله و عرفت مما سقناه من الكوائن و الكوارث، فلقى من الإتعاب فى سبيل ما كان يرمى إليه من توحيد الأمة اليمنية و توجيهها إلى غاية واحدة لإختلاف المآرب و الغايات.

و دخلت سنة ۵۶۷ فيها قام الأمير يحيى بن الإمام أحمد فى صعدة، و بلادها، و لم يزل فيها إلى أيام الدولة الأيّوبية و كان من أمره ما سيأتى.

و دخلت سنة ۵۶۸ فيها طلع السلطان الداعى عمران بن محمد بن سبأ إلى صنعاء يستنجد بالسلطان على بن حاتم الخبر المتقدم .

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۶۴

الفهرس

تمهيد ۵

مقدمة المحقق ۳۷

الشهيد المطاع ۴۰

المطاع مؤرخا ۴۱

المؤرخ الثائر ۵۱

بنو زياد و أول من ملك منهم ۵۷

ابو الجيش اسحاق بن ابراهيم ۶۰

آخر طفل من بنى زياد مرجان العبد و احداثه ۶۵

انتقام نجاح و استيلاؤه على زبيد ۶۷

ذكر عمال بنى العباس على اليمن ۶۸

أول دولة الحواليين ۷۰

ظهور الدولة العلوية- الإمام الهادى و نسبه ۷۴

خبر صلح الإمام بين قبائل صعده و عزمه إلى نجران ۷۹

عزم الإمام إلى وشحة ثم إلى برط ۸۱

خلاف أبو دغيش الشهابى ۸۲

الدعام و انتقال الإمام إلى خيوان و غدر أرحب ۸۴

ابو العتاهية و نسبه ۸۸

عزم الإمام إلى نجران و ثورة ابن عباد ۹۰

ابو جعفر محمد بن عبد الله العلوى و ولايته على نجران ۹۲

دخول الإمام صنعاء ۹۳

إنتفاض أهل صنعاء و ظهر على الإمام ۹۸

تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۶۵

عودة الإمام إلى صنعاء ثانية ۱۰۲

انتفاض أهل نجران و مسير الإمام لتأديبهم ۱۰۳

الخلاف بين آل يعفر و عبيدهم ۱۰۴
دخول على بن الحسين جفتم صنعاء و خروج ابى القاسم محمد بن الإمام من السجن ۱۰۸
خلاف أهل نجران ۱۱۰
وصول الإمام عليه السلام إلى نجران ۱۱۱
نزول الإمام إلى تهامة و عزم أبى القاسم لحرب القرامطة ۱۱۳
اليمن و حظه من الدعابات الثلاث ۱۲۱
أحوال صنعاء بعد عزم الطاغية عنها و رجوع الإمام الهادى ۱۳۰
رجوع الطاغية إلى صنعاء ۱۳۲
نجران و ما كان به من الأحداث ۱۳۲
مقتل ابن بسطام ۱۳۶
رجوع الإمام إلى صعدة و قتل عامله على نجران ۱۳۷
اخبار القرامطة و استيلاء الإمام على صنعاء ۱۴۳
وفاة الإمام الهادى عليه السلام ۱۴۴
قيام الإمام المرتضى محمد بن يحيى عليه السلام ۱۴۶
بقية أخبار القرامطة ۱۴۷
خلافة الإمام الناصر احمد بن يحيى عليه السلام ۱۴۹
هلاك الطاغية على بن الفضل القرمطى ۱۵۱
بقية أخبار الإمام الناصر و وقعة نغاش ۱۵۵
وفاة الإمام المرتضى محمد بن يحيى ۱۵۹
حرب الباطن و مقتل الحسين بن الإمام الهادى ۱۶۱
وفاة الإمام الناصر ۱۶۱
دخول حسان بن عثمان الحوالى صعده ۱۶۵
خلاصة الأحداث بين أولاد الناصر ۱۶۷
وفاة الأمير اسعد بن أبى يعفر الحوالى ۱۷۲
تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۶۶
هلاك منصور بن حسن و مقام الشاورى و قتله ۱۷۴
احداث على بن وردان و الاسمر آل الضحاك ۱۷۸
استنجاد الضحاك بآل زياد ۱۷۸
قيام الإمام المنتصر لدين اللّه محمد بن المختار ۱۷۹
قيام الداعى الإمام يوسف بن يحيى بن الناصر ۱۸۰
نزول عبد الله بن قحطان لمحاربة ابن زياد ۱۸۵
الإمام المنصوب باللّه القاسم بن على العيانى ۱۸۶
نهوض الإمام القاسم إلى صعدة و انتقاله إلى عيان ۱۸۸

الإمام القاسم بعيان و انتفاض بعض قبائل خولان ۱۸۹
رجوع الإمام إلى عيان و مسيره إلى الجوف ۱۹۱
مسير الإمام القاسم بن على إلى نجران و خبر الصلح ۱۹۲
رجوع الإمام إلى صعده ۱۹۴
كتاب الإمام القاسم بولايهٔ الزيدى على صنعاء ۱۹۶
وصول الأشراف و وفد عنس إلى الإمام القاسم ۱۹۷
احتلال صعده و احداث المليح بن ابراهيم و أخبار الزيدى ۱۹۸
عزم الإمام لحرب نجران ۱۹۹
الوحشهٔ بين الإمام و القاسم الزيدى ۲۰۰
ولايهٔ جعفر بن الإمام على صنعاء و وثوب الزيدى عليها ۲۰۲
فى سيرهٔ الإمام القاسم ما خلاصته ۲۰۳
احداث الزيدى و اضطراب الأحوال ۲۰۴
الدسائس و المؤامرات و انتفاض الأشراف ۲۰۵
خروج الإمام القاسم من صنعاء و انتشار دعايهٔ الزيدى ۲۰۷
اطلاق الزيدى جعفر بين الإمام و طلبه الصلح ۲۰۸
بقيهٔ أخبار الداعى يوسف ۲۱۱
دعوهٔ الإمام المهدى الحسن بن العلم العيانى ۲۱۲
دخول الإمام المهدى صنعاء و قتل الشريف الزيدى ۲۱۳
احداث زيد بن محمد الزيدى ۲۱۴
تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۶۷
اعتزام الرجوع إلى صنعاء و قتله ۲۱۵
نفوذ الأحباش أمراء زبيد فى بلاد الجبال ۲۱۹
ظهور المعيد الناعطى ۲۲۰
الإمام ابو هاشم النفس الزكيهٔ ۲۲۲
الإمام ابو الفتح الديلمى ۲۲۴
قيام على بن محمد الصليحى و أخباره ۲۲۶
عزم الشريف الفاضل إلى صعده ۲۳۳
عزم الصليحى إلى جنوب اليمن و محاربهٔ آل الكرندى ۲۳۷
مسير الصليحى للحج و مقتله ۲۴۲
أحوال صنعاء بعد قتل الصليحى و ظهور الإمام حمزهٔ ۲۴۵ تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع ؛ ص۳۶۷
وع الشريف الفاضل إلى اليمن ۲۴۷
استنجاد الحرهٔ اسماء و ولدها المكرم ۲۴۸
انذار الأحباش و دخول المكرّم زبيد ۲۴۹

ما كان بين الأشراف و المكرم بعد عوده من زبيد ۲۵۰
اتخاذ الأشراف لشهارة معقلا ۲۵۱
الإمام أبو الفتح الديلمى و الشريف الفاضل و مهاجمة صنعاء ۲۵۳
حصار شهارة و ما بعده من الأحداث ۲۵۷
استيلاء الشريف الفاضل على صعدة ۲۶۰
احتلال حصن مسور و الاستيلاء على بلاد المغرب ۲۶۱
محاولة المكرم لاسترجاع يناع ۲۶۳
مصرع الشريف الفاضل ۲۶۶
الأمير بعد هلك الشرفين ۲۶۸
عودة الأمير الحبشى سعيد الأحوال إلى زبيد ۲۶۹
قتل سعيد الأحول و فرار جياش إلى الهند ۲۷۰
وفاة المكرم و قيام الداعى سبأ بن احمد الصليحى ۲۷۵
زواج الداعى سبأ بن أحمد بالحرة السيدة ۲۷۶
طائفة الغز الواصلة لإنجاد جياش بن نجاح ۲۷۸
تاريخ اليمن الإسلامى، مطاع، ص: ۳۶۸
السيدة بنت احمد بعد وفاة الداعى سبأ ۲۸۰
ذكر المتغلبين على صنعاء بعد بنى الصليحى ۲۸۱
الحرب بين الخطاب ابن ابى الحفاظ الحجورى و أخيه ۲۸۳
قيام الإمام المحسن بن محمد ۲۹۱
طريق البصرة و طريق حضرموت ۲۹۶
ظهور الإمام على بن زيد و قتله ۲۹۸
الإمام المتوكل على اللّه أحمد بن سليمان عليه السلام ۳۰۲
عزم الإمام إلى نجران و استيلاؤه على صعدة ۳۱۰
عزم الإمام لتأديب الشقى ابن الطحل ۳۱۲
خلاف أهل الجوف ۳۱۴
ظهور على بن مهدى الحميرى ۳۱۵
ثورة الشريف المهول بحقل صعدة ۳۱۵
ذكر من وفد على الإمام المتوكل من العلماء ۳۱۷
اجتماع الأشراف و مبايعتهم الإمام المتوكل ۳۱۹
إنتقال الإمام إلى عمران و فتح صنعاء ۳۲۱
ظهور دولة على بن مهدى الحميرى ۳۲۴
بقية أخبار الإمام المتوكل بصنعاء ۳۲۷
حرب القليس و سير الإمام إلى الجوف ۳۲۸

تظاهر يام بمذاهب الباطنية و مسير الإمام لحربهم ۳۳۲
وقعة الشرزة أو نجد شيعان و دخول الإمام صنعاء ۳۳۶
عزم الإمام إلى ذمار ۳۳۸
ذكر مهاجمة على بن مهدى لمدينة زبيد و أحداثه ۳۳۹
قيام مهدى بن على و أحداثه ۳۴۷
احداث عبد النبى بن على بن مهدى ۳۴۹
خلاف الشريف فليته بن القاسم القاسمى و أحداثه ۳۵۹
وفاة الإمام احمد بن سليمان عليه السلام ۳۶۲

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامِيل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹